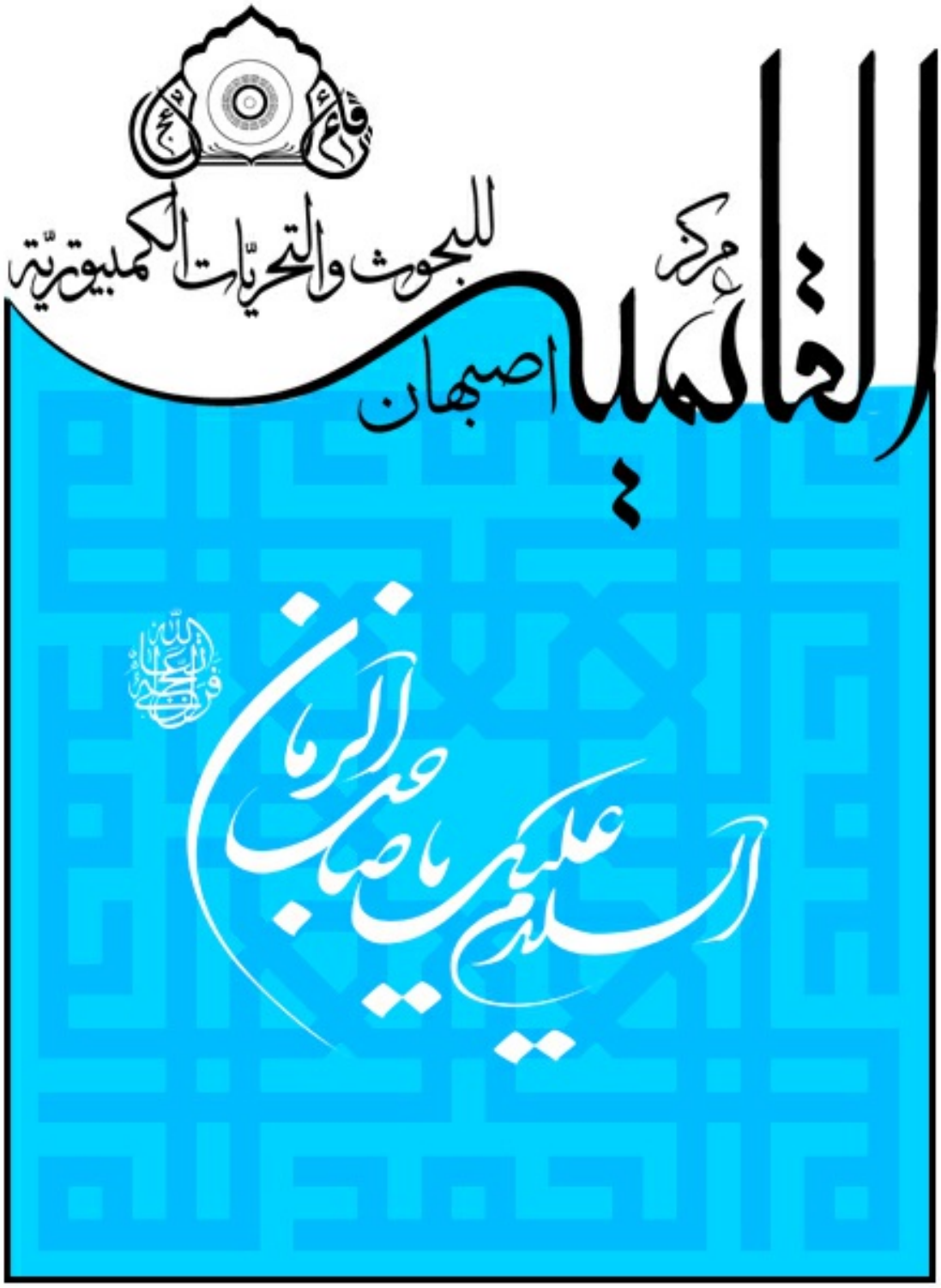

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

بحث قرآني . روائي . علمي . فقهي . على اثبات أن

مشاهدنا وقبور أهل البيت عليهم السلام في مشاعر الهيه

محاضرات آية الله الشيخ محمد سند

بقلم

الشيخ محمد رجب عبد الوهاب

دار العصمة

بسم الله الرحمن الرحیم

مشاهدنا و قبور اهل البيت عليهم السلام مشاعر الهيه

كاتب:

محمد السند

نشرت في الطباعة:

مشعر

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

مشاهدنا و قبور اهل البيت عليهم السلام مشاعر الهيه 10

اشارة 10

اشارة 10

المقدمة 14

الفصل الأول: أدلة القول بحرمة بناء القبور و عمارتها 24

البحث القرآنی و العقلی: 24

الدليل الأول:الذی استند إليه السلفيون فی جحد شعيرة زيارة 24

البحث الروائی: 28

الدليل الثانی و الثالث و الرابع لاشتماله علی ثلاثة ألسن: 28

اللسان الأول/هدم القبور: 28

اللسان الثانی و الثالث:لعن زائری القبور و المتخذينها مساجد: 29

اشارة 29

أزمة منهج الاستظهار عند السلفية: 30

كراهة ارتفاع القبور عند جمهور علماء السنة لا الحرمة: 32

اختصاص هدم القبور بالمشركين: 36

سبب نسخ النهی عن زيارة القبور: 37

اتفاق جمهور السنة علی رجحان زيارة القبور: 38

الحكمة فی الأمر بهدم قبور المشركين: 39

و قد يشكل فی دلالة آية القيام علی القبر: 40

وضوح دلالة الآيتين علی سنة زيارة القبور: 40

الحكمة فی النهی ثم الأمر بزيارة القبور: 41

جملة أخری من روايات المستدل بها علی الحرمة: 42

الحكمة فی نهی النساء عن زیارة القبور مقیدة: 42
زیارة فاطمة بنت النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لقبر حمزة: 43
نسخ کل من النهی عن زیارة القبور و النهی عن عمارتها: 44
الدلیل الرابع:الروایات الواردة الناهیة عن اتخاذ قبور الأنبیاء مساجد 45
اشارة 45
و فی مسند أحمد بن حنبل: 46
اتخاذ قبره وثنا أی نصب التماثیل کأصنام علی القبر: 48
الحکمة فی النهی عن جعل القبور محلا لسجود الصلاة: 49
اتخاذ القبور مساجد أی السجود و الصلاة علیها: 50
بناء قبر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی الصدر الأول: 51
اتخاذ قبره وثنا هو بالقول بأنه ابن اللّه أو بالقول بتعدد 51
اتخاذ قبور الأنبیاء أو الأولیاء مساجد أی بالقول بتألیههم: 53
حرم جمهور علماء السنة علی عدم حرمة السفر إلی غیر المساجد 56
فضیلة المسجد النبوی بأهل البیت علیهم السّلام: 57
الحیاة فی الآخرة و البرزخ أشد قوة من الدنیا: 59
الیأس من الموتی و أصحاب القبور من صفة الکفار و المنافقین 61
الصدّ عن زیارة القبور صدّ عن الآخرة و دعوة للعکوف علی 62
الفصل الثانی: وجوب عمارة قبر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أهل بیته علیهم السّلام و تشعیرها کمشعر و حرم إلهی 66
الدلیل الأول:البیانات القرآنیة 66
اشارة 66
جهات البحث 68
اشارة 68
إن هذا افتراء بحت و کذب محض علی الشیعة الإمامیة 75
من تمام الحج ولایة النبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: 76
نبذ ولایة النبی الأکرم هو العود إلی الوثنیة الجاهلیة: 78

أن زيارة قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قبور عترته هى من تمام العبادات: 92
الغاية من إسكان هاجر و إسماعيل عند بيته الحرام: 93
النتيجة:بأن الآية مشتملة على ثلاثة فقرات 100
سبع المثانى فاتحة الكتاب هى أم القرآن: 109
مقام إبراهيم عليه السّلام: 116
بيان آخر للآية الكريمة: 118
التبرك بمواضع الأنبياء: 120
النموذج الثالث:السامرى و العجل 121
و قد وردت هذه القصة فى روايات الفريقين: 122
بيان آخر بأن أهل البيت و الأنبياء و الأوصياء هم معدن الطهارة 124
اشارة 124
1-آية التطهير 124
2-مريم بنت عمران عليها السّلام 124
3-يوسف عليه السّلام 125
البقعة المباركة: 127
أهل البيت عليهم السّلام أنوار إلهية: 130
الأئمة التسعة من ولد الحسين عليه السّلام فى آية النور: 135
بيان آخر للآية المباركة: 136
خلقة أهل البيت عليهم السّلام النورية: 139
التوجه بالنبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته شرط فى قبول العبادة: 141
اقتران اسم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته بأعظم العبادات: 143
اقتران الصلاة على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى بقية العبادات: 145
«برهان آخر» 151
التوسل عبادة توحيدية: 160
1-التوسل آية للزلفى و القربى إلى البارى تعالى: 160

2-شرطية التوسل بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى طلب المغفرة: 162
شرطية التوسل بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: 168
التوسل بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ميثاق الأنبياء: 172
الأنبياء على دين النبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: 173
أهل البيت عليه السّلام شركاء النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى دائرة الميثاق: 177
اقتران أهل البيت عليهم السّلام بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الطهارة: 182
النبى و أهل بيته هم كلمات اللّه التامّات«صلوات اللّه عليهم 183
كذلک بنفس البيان مفاد ما ورد فى قوله تعالى: 188
التسليم زيارة للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم 190
حبط الأعمال و قبولها: 191
التكذيب بآيات اللّه تعالى موجب لحبط الأعمال: 193
التوجه إلى خليفة اللّه لنيل المقامات و قبول الطاعات فى جميع 197
تأييد رسالة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و وساطته فى الوحى الإلهى لجميع 200
أهل الكهف آيات للعالمين 202
إحياء اللّه الموتى بعد مماتهم: 204
البعث و المعاد الجسمانى: 205
و جاء فى كتاب الاحتجاج عن الصادق عليه السّلام فى حديث: 207
تعظيم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأنه من الشرک: 210
الفتاوى الشيطانية فى هدم القبة النبوية: 217
الفصل الثالث: فى أدلة القول بوجوب عمارة قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قبور أهل بيته الطاهرين صلوات اللّه عليهم أجمعين 224
اشارة 224
سيرة المسلمين فى قبور الانبياء: 225
شعيرية قبور الأنبياء فى المسجد الحرام 227
حفظ قبور الأنبياء عن الاندراس بعمارتها: 227
الروضة عند قبره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مشعر عند المسلمين: 228

فضيلة المشاهد المشرفة عند جمهور علماء السنة: 229
تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة على سائر البقاع: 230
الروضة بين بيوته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شاملة لقبور ذريته الأطهار: 230
كذلک ما رود فی قدسية أرض كربلاء فی الوسائل أبواب 237
سن النبی صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إقامة المأتم عند قبور أهل بيته عليهم السّلام: 238
سن النبی صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الدعاء و العبادة عند قبور أهل بيته عليهم السّلام: 240
جملة من سنن النبی صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فی زيارة قبر والدته عليهم السّلام: 241
توقيته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الحج بزيارة قبره: 244
الحج و زيارة قبر النبی و أهل بيته من دون التفريط بكل 246
ثبت المصادر 268
الفهرس 283
تعريف مركز 290

مشاهدنا و قبور اهل البیت علیهم السلام مشاعر الهیه

اشارة

سرشناسه:عابدینی، حسین، 1349 -

عنوان قراردادی:مشاهدنا و قبور اهل البیت علیهم السلام مشاعر الهیه .فارسی

عنوان و نام پدیدآور:زیارتگاه های اهل بیت علیهم السلام جایگاه تعظیم شعائر الهی [کتاب]/ تالیف محمد رجب عبدالوهاب ؛ محاضرات محمد سند ؛ مترجم مجتبی باقری.

مشخصات نشر:تهران: نشر مشعر، 1394.

مشخصات ظاهری:279 ص.

شابک:78000 ریال: 978-964-540-548-7

وضعیت فهرست نویسی:فاپا

یادداشت:کتابنامه : ص. [275] - 279 ؛ همچنین به صورت زیرنویس.

موضوع:گورها و گورستان ها -- زیارت -- احادیث

موضوع:گورها و گورستان ها -- زیارت -- دفاعیه ها و ردیه ها

شناسه افزوده:عبدالوهاب، محمدرجب، گردآورنده

شناسه افزوده:باقری، مجتبی، 1353 - ، مترجم

رده بندی کنگره:BP226/74/س86م5041 139

رده بندی دیویی:297/76

شماره کتابشناسی ملی:3656450

ص:1

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

ص:2

مشاهدنا و قبور اهل البیت علیهم السلام مشاعر الهیه

تالیف محمد رجب عبدالوهاب

محاضرات محمد سند

مترجم مجتبی باقری

ص:3

المقدمة

الحمد للّه رب العالمين و الصلاة و السلام على محمد و آله الطاهرين و لعنة اللّه على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

اللّهمّ صل على محمد و آل محمد الكهف الحصين،و غياث المضطر المستكين،و ملجأ الهاربين،و عصمة المعتصمين.اللّهم صل على محمد و آل محمد صلاة كثيرة،تكون لهم رضا،و لحق محمد و آل محمد أداء و قضاء،بحول منک و قوة يا رب العالمين.

إن بحث الشعائر بصورة عامة من أهم البحوث العقائدية التى هى مرتبطة بمعرفة اللّه عزّ و جل و التى تتجلى فى آياته و أسمائه العظمى حيث قال النبى الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعلى عليه السّلام:«ثلاث أقسم أنهن حق،إنک و الأوصياء من بعدک عرفاء و لا يعرف اللّه إلا بسبيل معرفتكم،و عرفاء لا يدخل الجنة إلا من عرفكم و عرفتموه،و عرفاء لا يدخل النار إلا من أنكركم و أنكرتموه»(1)و بهذا لا سبيل لمعرفة اللّه و عظمته إلا بمعرفة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته و بالخضوع و التوجه إليهم و زيارتهم و التوسل بهم.

كما أن هذه البحوث بمادتها العلمية و تحليلها توصل للمنهج الصحيح فى معرفتهم عليهم السّلام و التى تعكس هذه المنزلة العظيمة لهم عند

1- (1) الخصال للصدوق/باب قول النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثلاث أقسم أنهن حق ص 150.

اللّه عزّ و جل،و هـذه المعرفـة لأهل البيت عليهم السّـلام تبعث فى الأمـة الأمان و الرحمة الإلهية،خصوصا عند ذكرهم و إحياء مآثرهم و تشييدها بالقول و الفعل حيث تبقى شفاعتها للإنسان فى الآخرة قبل هذه الدنيا الفانية.

فإن الحسـين عليه السّـلام لـم يأت للكوفيين بدافع مراسـلتهم و الاستجابة لدعوتهم بل إن المسؤولية العظمى و الواجب الإلهى كان يتحتم على الإمـام الوقوف لأجـل الأـمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الـدفاع عن ثروات المسـلمين المنهوبـة و الحقوق المضـيعة التى كانت تصـرف فى إقامـة حفلاتهم الماجنة و الفاجرة فى الوقت الذى يقبع الناس فى الفقر المدقع، و قد أشار الحسـين عليه السّـلام إلى هذا الأمر حيث قال:«إن هـذه الدنيا قد تغيرت و تنكرت و أدبر معروفها،فلم يبق منها إلا صـبابة كصـبابة الإناء و خسـيس العيش كالمرعى الوبيل،ألا ترون الحق لا يعمل به و أن الباطل لا ينهى عنه،ليرغب المؤمن فى لقاء اللّه محقا فإنى لا أرى الموت إلا سعادة و لا الحياة مع الظالمين إلا برما،إنّ الناس عبيد الدنيا و الدين لعق على ألسـنتهم يحوطونه ما درت معائشهم،فإذا محصوا بالبلاء،قلّ الديانون»(1).مما يتبين بأن الدافع الأساسـى لنهضـته المباركـة هو الإصـلاح و القضاء على الفساد الـذى سـببه انحراف هؤلاء عن جادة الحق،و إحياء البدع،و ضـياع السـنة النبويـة،و انتشار الفساد و الانحراف الـدينى،و ذلک بهدف هدم عقائد المسـلمين و إبعادهم عن أهل البيت و الرسالة و من ثم إحياء السـنن الجاهلية الأولى.

1- (1) تحـف العقول:245؛مقتـل أبى مخنف:86؛تاريخ الطبرى:229،و قـد نقـل الخطبـة باختلاـف طفيـف ابـن عسـاكر فى تـاريخ دمشق:214،و السيد ابن طاوس فى اللهوف:33،و المجلسى فى البحار الأنوار:192/44،و وفقا لما نقله ابن عساكر و المجلسى فإن الإمام عليه السّلام خطبها فى كربلاء بعد ان اصطدم بجيش عمر بن سعد.

فکـان لنهضـته علیه السّلام الـدور الکبیر فی تحرر المسـلمین من ذل العبودیـة و اسـتعادة العزة و الحریـة علی نطـاق واسع ضـد الظلم و الاضـطهاد،و التی ساهمت فی القضاء علی الإعلام الزائف للسـلطة الحاکمـة التی زرعت الحقـد و البغض فی نفوس الجماهیر اتجاه أهل البیت و الرسالـة دون أن یمحی ذکرهم و حبهم فی وجـدان الأـحرار و الأتبـاع منهم علی الرغم من مرور عقود طویلـة من الزمن حـاولت السلطة اجتثاث و تشویه ذکرهم سلام اللّه علیهم أجمعین.

فهذه النهضة المبارکة کانت حرکة نحو تغییر شامل لأوضاع سیاسـیة و اجتماعیة تحیطها رعایة إلهیة مقدسة تسـتلهم تعالیمها من السـماء و التی تحمل رسالة خالدة إلی کل الأجیال المنصـرمة و الحاضرة،و التی تمهد طریق النضال و التحریر من الاستغلال و الاستعباد و التسلط و تعید النفس البشـریة إلی العزة و الکرامة بإتباعها هذا الخط الإسـلامی الأصیل الممتد إلی رسالة النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أهل بیته الطاهرین.

و من هـذا المنطلق یعلم بأن إحیاء هذه المثل و القیم التی جسدها الإمام علیه السّلام هو إحیاء للدین و الشـریعة،و قد ورد فی قول الإمام جعفر الصادق علیه السّلام أنّه قال:(اتقوا اللّه و کونوا أخوة بررة متحابّین فی اللّه متواصلین متواضعین متراحمین،تزاوروا و تلاقوا و تذاکروا و أحیوا أمرنا)(1).

و کـذلک ما روی عن الإمام الرضا علیه السّلام فی إحیاء ذکرهم حیث قال:(من تذکر مصابنا فبکی و أبکی لـم تبک عینه یوم تبکی العیون و من جلس مجلسا یحیی فیه أمرنا لـم یمت قلبه یوم تموت القلوب)(2).

1- (1) الکافی/باب التراحم و التعاطف ح 1 ج 2.
2- (2) عیون أخبار الرضا/باب فضائل علی علیه السّلام ح 48 ج 2.

و تأسيسا على هذه النتيجة فإن إحياء هذه الشعائر ليس بدعا و لا شركا بل هو عين التوحيد و الطاعة الإلهية،فإن البحث سينصب فى صراط بيان عظمة هذه الشعائر و كونها المصداق الأبرز و النموذج الأوضح لمعالم الدين و الشعائر التى وجهت الشريعة المعظمة إلى ضرورة تعظيمها و إحيائها بكل الأشكال و الأساليب المتعدّدة،حتى تسرى فى غالب سيرة الأفراد و الجماعات.

و الكتاب الذى بين أيدينا أيها القارئ الكريم هو من البحوث الهامة فى هذا المجال و الذى يؤسس و يثبت القاعدة الشرعية فى أن تعظيم شعائر اللّه هو من تقوى القلوب و أن عمارة قبور الأنبياء و الأوصياء يصب فى صراط التوحيد الخالص باللّه عزّ و جل و المنبثق من ثوابت العقيدة الإسلامية،و هو من البحوث العقائدية التى ألقاها الأستاذ المحقق آية اللّه الشيخ محمد سند(حفظه اللّه)على جمع من طلبة العلوم الدينية مؤكدا على أنّ قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و أهل بيته و المشاهد المشرفة مشاعر إلهية و أنها من أوضح و أجلى مصاديق قوله تعالى:ذلِکَ وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (1)أليس لأنها معلم من معالم الدين و حقيقة من حقائق التوحيد.

و بناء عليه فقبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قبور أهل بيته عليهم أفضل الصلاة و السلام و تشييدها و حفظها عن الاندراس و عمارتها هى من أفضل العبادات على الإطلاق و التى تقبل بها الأعمال كما سيأتى إثباته إن شاء اللّه تعالى.

ففى تشريع الملة الحنيفية أن قبور الأنبياء تقصد و يتوجه إليها و يطاف بها،و هذا لا ينافى التوحيد التام،لاسيما و أن اللّه عزّ و جل أمر

1- (1) سورة الحج،الآية:32.

إبراهيم و إسماعيل عليهم السّلام بتطهير البيت من الشرک و المشرکين،قال تعالى:

وَ عَهِدْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ لِلطّائِفِينَ وَ الْعاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ (1).

و مع وجود القبور المعلومة للأنبياء و المقامات المقدسة الثابتة إليهم،و التى لم يأتى النهى عن التعلق بها،فإن ذلک يدل على أن مثل هذا التعليق ليس من الشرک أصلا،و مما يؤكد هذا الأمر قوله تعالى وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى (2).

و أما التعبير بالمشاعر فقد أشار إليه جملة من العلماء الأعلام، منهم الفقيه الكبير الفذ الشيخ جعفر كاشف الغطاء(رحمه اللّه)فى كتابه (كشف الغطاء)بأن قبور الأئمة عليهم السّلام قد شعرت،فهى مشاعر،و من ثم تجرى عليها أحكام المساجد(3).

و قد تميز الشيخ الكبير كاشف الغطاء بهذا الاستدلال عن بقية الأعلام و بالإشارة إلى أن وجه إلحاق قبور الأئمة عليهم السّلام بالمساجد هو كونها شعّرت مشاعر،فهو إذن يذهب إلى أن المشاعر لا تختص بأفعال الحج،و لا تختص بالعبادات،بل تشمل دائرة أوسع من ذلک..

و المشعر إنما يشعّر ليس بخصوصه بل بنص من اللّه عزّ و جل فتكون حرميته و وقفيته أشد من بقية الأوقاف الأخرى كما هى فى تشعير بيت اللّه الحرام و حرم المدينة،و قد أقسم اللّه عزّ و جل بهذه البقاع المباركة و ذلک فى قوله تعاليوَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ (1)وَ طُورِ سِينِينَ (2)وَ هذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3) (4)،

1- (1) سورة البقرة،الآية:125.

2- (2) سورة البقرة،الآية:125.

3- (3) كشف الغطاء:54(عند قراءة الفاتحة بعد الطعام و رجحان الشعائر الحسينية).

4- (4) سورة التين،الآيات:1-3.

ببلـد التين و هو المدينـة،و بلـد الزيتون و هو بيت المقـدس،و طور سـينين الكوفة،و البلد الأمين و هو مكة،كما ورد ذلک عن الكاظم عليه السّلام حيث قال:(و اختار من البلدان أربعة فقال عزّ و جل:وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ (1)وَ طُورِ سِينِينَ (2)وَ هذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3) (فالتين المدينة،و الزيتون بيت المقدس، و طور سينين الكوفة،و هذا البلد الأمين مكة)(1)هذا من طرقنا.

و كذلک من طرق السـنة،و لكن بتفسـير التين بالبيت الحرام، و تفسير الطور بأنه الجبل الذى كلم اللّه عزّ و جل موسى عليه السّلام(2)،و لا تنافى فى ذلک إذ لعل ذلک هو الوادى المقدس بين جبل طور و الكوفة،كما ذكر ذلک بعض المفسرين.

و قـد ورد فى الحـديث أن محـل قبر أمير المؤمنين عليه السّلام أول طور سـيناء،عن أبى جعفر الباقر عليه السّلام قال:(كان فى وصـية أمير المؤمنين عليه السّلام أن أخرجونى إلى الظهر(أى ظهر الكوفة)فإذا تصوبت أقدامكم و اسـتقبلكم ريح فادفنونى،و هو أول طور سيناء،ففعلوا ذلک)(3).

و الحاصل:بأن القرآن الكريم يؤكـد أن هناک بقاع مقدسـة مباركـة تعظم و يتقرب فيها إلى اللّه عزّ و جل و جعل الحرمـة لها فهذه الآية فى صـدد القسم و التعظيم بدلالـة الاقتضاء بدلالة الالتزامية بأن اللّه سـبحانه و تعالى يعظم هذه المواضع الأربعة فعندما يعظم هذه المواضـع الأربعة بدلالة الالتزامية فإنه يجعل لها حرمة و بالتالى يشعرها و بأنها محل تعظيم و حفاوة ربانية منه تعالى.

1- (1) معانى الأخبار ص 365/الخصال للشيخ الصدوق:ص 225/روضة الواعظين للنيسابوى:ص 405.

2- (2) زاد المسير لابن الجوزى:ص 275 ج 8.

3- (3) التهذيب:ص 37 ج 6.

و لکی یستفاد من هذه الآیة بأنها فی صدد تشعیر هذه المواضع المقصودة نحتاج إلی عدة مقدمات بحیث یستفاد منها ذلک المعنی و نحن فی صدد بیان هذه القاعدة الفقهیة التی لها جذر عقائدی بأن قبور و مشاهد أئمة أهل البیت علیهم أفضل الصلاة و السلام مشاعر إلهیة،فإذا هذه القاعدة الدینیة و المعلم الدینی العظیم العالم له حرمة بل حرمات فی قبال من ینتهج هتک هذه الحرمة و یسمها بسمات و نعوت هو أحق أن یوصف بها قائلا قول زور بأنها مظاهر شرک باللّه و کفر و تألیه.

و سنبین فی تفاصیل البحث بأن القائلین بهذه الدعوة(و هی کون قبور أهل البیت علیهم السّلام تمثل مظاهر وثنیة)هم أصحاب الأوثان بنص من القرآن الکریم.

کما سنذکر الروایات الواردة لدی الفریقین فی هذه القاعدة المتسالم علیها عند فقهاء الإمامیة بأن هذه القبور و المواضع المشرفة لها حرمات کحرمة الکعبة بل أعظم من ذلک.

و نتعرض فی هذا البحث بشکل خاص و دراسة متعمقة فی الإیمان بالشهادة الثانیة و الثالثة التی هی ولایة أهل البیت علیهم السّلام و تثبیت العقائد الدینیة بالدلیل العلمی لرد الشبهات و الانتقادات التی تثار حول عقیدة التوسل و التبرک.

و ختاما..لا یفوتنی إلا أن أشکر اللّه تعالی جل شأنه قبل أی أحد علی ما وفقنی لتحریر و إخراج هذا الکتاب،ثم أشکر کل من أعان و ساهم فی هذا المجال،و أخص منهم بالذکر سماحة الشیخ عقیل رضی،علی ما بذله من جهد یستحق الشکر علیه،و ختاما أسأله سبحانه و تعالی ببرکة سید الشهداء و مقام سید الأولیاء و الأوصیاء أن یجعل هذا

الجهد ذخرا لأستاذنا المحاضر-دام عزه-و أجرا لی،ليوم لا ينفع فيه مال و لا بنون إلا من أتی اللّه بقلب سليم.

و الحمد للّه رب العالمين و الصلاة و السلام علی سيد المرسلين محمد صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و أولاده المنتجبين.

الشيخ محمد رجب 12/ذو القعدة/1430 ه الموافق 2009/10/31 م

ص:12

ص:13

الفصل الأول: أدلة القول بحرمة بناء القبور و عمارتها

البحث القرآنی و العقلی:

الدليل الأول:الذی استند إليه السلفيون فی جحد شعيرة زيارة

القبور أو قبر النبی و أهل بيته عليهم السّلام

و قبور الأنبياء و الأوصياء بشكل عام كون زيارة القبور و البناء عليها و تشييدها هو توسل بالأنبياء و الأوصياء و الاستشفاع بهم إلى اللّه فی قضاء الحاجات و التوجه بهم؛فهم يجحدون التوجه و الاستشفاع و ليس فقط ركنيته فی الدين بل يجحدون التدين به؛ و من ثم يسّوغون لأنفسهم هدم قبور الأنبياء و الأوصياء حتی أن لديهم الإصدارات التی دوّن فيها استحلالهم لهدم قبر سيد الأنبياء.

و الجواب:علی الدليل الأول أن الاستشفاع و التوسل و التوجه بالنبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته عليهم السّلام و الأنبياء و الأوصياء ليس أمرا مشروعا و راجحا و مرغبا فيه فحسب بل قد دلت جملة من الآيات القرآنية علی كونه شرطا لقبول الأعمال بل لقبول الإيمان كما فی قوله تعالی:إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتّی يَلِجَ الْجَمَلُ فِی سَمِّ الْخِياطِ وَ كَذلِكَ نَجْزِی الْمُجْرِمِينَ (1).

1- (1) سورة الأعراف،الآية:40.

فأشارت الآية إلى كل من محذور التكذيب و محذور الاستكبار و الصدّ عنها،و ان كلاّ منها موبقة برأسه و المقصود من الآيات التى يكذب بها فى قبال التصديق بها هم الحجج الناطقون عن السماء من الأنبياء و الأوصياء كما ورد إطلاق لفظ الآية على النبى عيسى ابن مريم قال تعالى:وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً (1).

كما أن التعبير فى الآيةوَ اسْ تَكْبَرُوا عَنْها هو تضمين معنى الصد عنها فى معنى الاستكبار و هذا التعبير بعينه قد استعمله القرآن الكريم فى قصة إبليس مع آدم كما وردأَبى وَ اسْتَكْبَرَ .

كما سيأتى التعبير عن موقف المنافقين مع سيد الأنبياء فى قوله تعالى:وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْ تَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللّهِ لَوَّوْا رُؤُسَ هُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْ تَكْبِرُونَ (2)فهذه الآية تنذر بالتهديد فى التكذيب الذى يقابل التصديق و تنذر فى الاستكبار الذى يقابل الخضوع و التوجه.

إن كلاّ من هذين الفعلين(التكذيب و الاستكبار)يسدّ أبواب السماء عن صعود إيمان العبد و عمله إلى اللّه و أن المفتاح لأبواب السماء و لوفود عقيدة العبد و عمله إلى اللّه(الحضرة الإلهية)هو ليس صرف الإيمان بالحجج الإلهية بل لا بدّ من الخضوع إليها و التوجه بها و الإقبال عليها و بالتالى التوسل بها إلى اللّه.

إذ قد بينت الآيات أن كلاّ من العقيدة و العمل الصالح لا بدّ من ارتفاعه إلى اللّه فى مقام القبول كما فى قوله تعالى:إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ (3).

1- (1) سورة المؤمنون،الآية:50.

2- (2) سورة المنافقون،الآية:5.

3- (3) سورة فاطر،الآية:10.

فهذه الآية تبين كون الصدّ عن حجج اللّه و عدم التوجه بهم إلى اللّه يحبط و يخلّ بالإيمان فضلا عن العبادات و الأعمال.

و علماء الإمامية رضوان اللّه تعالى عليهم و إن كانوا قد نبهوا على شرطية ولاية أهل البيت عليهم السّلام فى الإيمان و العبادات و الأعمال إلاّ أن الظاهر من هذا التعبير هو خصوص الإيمان بأهل البيت عليهم السّلام و لكن الصحيح عدم الاقتصار على استفادة شرطية الإيمان من الأدلة بل لا بدّ أن ينضم إليه شرطية ولايتهم بدرجة التوسل و التوجه بهم إلى اللّه عزّ و جل، فإن صرف الإيمان بهم من دون توليهم فى أنحاء الولاء الأخرى و من دون الارتباط بهم و التوسل و الإتباع و الانتهاج بهم لا يحقق الشرط من ولايتهم الذى هو ركن الإيمان و صحة الأعمال و العبادات.

و يدل على ذلک قوله تعالى فى صفة المنافقين فى الآية السابقة بأن سلب الإيمان عن المنافقين بصدهم عن التوجه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مقام التوبة،فهذه الآية مبنية لركنية التوسل بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و التوجه به إلى اللّه فى تحقق الإيمان مضافا إلى بيانها لشرطية التوسل بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و الاستشفاع به فى حصول التوبة و الإنابة إلى اللّه عزّ و جل،و منه يتضح دلالة الآيات الواردة فى إبليس و رفضه الانقياد لأمر اللّه عزّ و جل بالسجود لآدم و التوجه به إلى اللّه مما أوجب حبط إيمان إبليس باللّه و اليوم الآخر.

و كذلک قوله تعالى:وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوّاباً رَحِيماً (1).

حيث اشترطت الآية ثلاثة شروط بنحو الترتيب الشرطى و جعلت الأول منها:هو التوجه و اللوذ و الاستغاثة بحضرة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى اللّه تعالى.

1- (1) سورة النساء،الآية:64.ملاحظة:بأن بقية البحث فى الدليل الأول سوف يأتى توضيحه فى الأدلة القرآنية.

الشرط الثانی:وقوعا و ترتیبا هو استغفار المذنب.

الشرط الثالث:تشفع النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و شفاعته فی توبة مذنبی الأمة عند اللّه.

الشرط الرابع:نفس الترتیب و هو شرط مثل الترتیب فی أفعال الصلاة إن أتی بالرکوع قبل القراءة فإنه یبطل الصلاة.

فهـذه الآیة سـنة إلهیة إلی یوم القیامة شأنها شأن بقیة الآیات و الفرائض المتعلقة بالنبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم أو ذات الارتباط بالنبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقد جاء فی قوله تعالی:یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ (1).

و لیست الطاعة فقط فی خصوص حیاته بل هی تسری ما بعد رحیله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلی الرفیق الأعلی.

و کما جاء فی قوله تعالی:وَ ما آتاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِیدُ الْعِقابِ (2).

إلی غیر ذلک من الآیات و کما هو الحال فی الشـهادة الثانیـة فإنه رکن فی التوحیـد و الـدخول فی حضـیرة الإسـلام إلی یوم القیامـة و لیس مختصـا بحیـاة النبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم فی دار الـدنیا و قـد مر فی بحث الآیـات کلاـم مبسوط فی بیان رکنیـة التوسل و التوجه و الاستشفاع فی الدین الحنیف، و أن جحد هذا الرکن العظیم یستهدف عدم الالتزام بالشهادة الثانیة بنحو مبطن و من ثم لا ترون فی أدبیاتهم بیان مؤدیات الشهادة الثانیة و تداعیاتها.

1- (1) سورة النساء،الآیة:59.

2- (2) سورة الحشر،الآیة:7.

البحث الروائی:

الدلیل الثانی و الثالث و الرابع لاشتماله علی ثلاثة ألسن:

اللسان الأول/هدم القبور:

و منها روایة أبی الهیاج الأسدی رواها أحمد بن حنبل فی مسنده:(حدثنا وکیع حدثنا سفیان،عن حبیب،عن أبی وائل،عن أبی الهیاج الأسدی،قال:قال لی علیّ:أبعثک علی ما بعثنی علیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن لا تدع تمثالا إلا طمسته و لا قبرا مشرفا إلا سویته)(1)رواه أیضا مسلم فی باب الأمر بتسویة القبر(2)و النسائی رواه فی سننه أیضا فی کتاب الجنائز باب الساعات التی نهی عن إقبار الموتی فیهن(3)و الحاکم النیسابوری فی المستدرک فی باب صفة قبر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم(4).

التقریب:الاستدلال الذی ذکروه هو أن النهی ورد فی سیاق واحد مع النهی عن التماثیل التی تتخذ کأصنام و أوثان مما یدل علی أن مناط النهی هو الشرک الموجود فی کلا موردی النهی فاستدل بهذا الاستدلال ابن تیمیة فی کتاب منهاج السنة و محمد عبد الوهاب فی کتابه کشف الشبهات.

کما ورد فی کتبنا و مصادرنا شبیه لهذه الروایة کما هو فی کتاب الوسائل:

محمد بن یعقوب،عن علی بن إبراهیم،عن أبیه،عن النوفلی،

1- (1) أحمد بن حنبل:المجلد 1 مسند علی بن أبی طالب.

2- (2) صحیح مسلم/فی باب الأمر بتسویة القبر ج 3.

3- (3) النسائی/کتاب الجنائز:باب الساعات التی نهی عنها عن إقبار الموتی.

4- (4) الحاکم فی المستدرک/فی باب صفة قبر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ج 1.

عن السكونى،عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

(بعثنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى المدينة فقال:لا تدع صورة إلا محوتها،و لا قبرا إلا سويته،و لا كلبا إلا قتلته)(1).

قال صاحب الوسائل:و تقدم الأمر بتربيع القبر(2).

اللسان الثانى و الثالث:لعن زائرى القبور و المتخذينها مساجد:

اشارة

منها:و من أدلتهم على الحرمة هذا الحديث رواه أبى داود فى سننه باب زيارة النساء للقبور:(حدثنا محمد بن كثير،أخبرنا شعبة،عن محمد بن جحادة،قال:سمعت أبا صالح يحدث،عن ابن عباس، قال:لعن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم زائرات القبور و المتخذين عليها المساجد و السرج)(3).

و قال الحاكم النيسابورى فى المستدرک بعد روايته لهذه الرواية (لعن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم زائرات القبور و المتخذين عليها المساجد و السرج)(4).

و ما رواه أحمد فى مسنده بأكثر من طرق(قال سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:«إن من البيان لسحرا و شرار الناس الذين تدركهم الساعة أحياء و الذين يتخذون قبورهم مساجد»)(5).

1- (1) وسائل الشيعة/باب عدم جواز نبش القبور ج 3.

2- (2) تقدم ما يدل عليه فى الحديث 5 الباب 9 من صلاة الجنائز و على حكم التسوية فى الحديث 22 الباب 5 منها و الحديث 5 الباب 21 من هذه الأبواب و على حكم التربيع فى الباب 31 من هذه الأبواب.

3- (3) سنن أبى داود/باب فى زيارة النساء القبور ج 2.

4- (4) المستدرک/باب الأمر بخلع النعال فى القبور ج 1.

5- (5) مسند أحمد/مسند عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه عنه ج 1.

و ما رواه مسلم و البخارى(ألا و أن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم و صالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد أنى أنهاكم عن ذلک)(1).

ثم قال(الترمذى)و قد رأى بعض أهل العلم أن يرخص النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى زيارة القبور.فلما رخص دخل فى رخصته الرجال و النساء و قال بعضهم:إنما كره زيارة القبور للنساء،لقلة صبرهن و كثرة جزعهن(2)ثم عقد باب ما جاء فى زيارة القبور للنساء و روى فى زيارة عائشة لأخيها عبد الرحمن.

الجواب على الاستدلال بهذه الأحاديث:إن هذا الاستدلال عجيب و غريب لأنه مبنى على مقدمات مزعومة خلافية غير مسلّم بها فى ظهور الحديث،فإن الحديث له وجوه متعددة من الدلالة ذكرت عند علماء الفريقين أضعفها ما ذكروه و ما استدلوا به.

فكيف يبنون عقيدة يكفرون بها طوائف المسلمين مبنية على مثل هذه الدلالة الاحتمالية و الهلوسة فى الاستظهار و على تخرصات ظنية ما أنزل اللّه بها من سلطان مع أن التكفير لا ـ يبنى على دليل ظنى تام فضلا عن غير التام،بل و لا على الدليل الظنى القطعى،بل و لا على القطعى الضرورى ما لم يكن ضروريا تنفى معه الشبهة فكيف بهم يخرجون عن ميزان الملة فى منهاج الاستدلال فى الشريعة و قواعد الدين.

أزمة منهج الاستظهار عند السلفية:

أولا:إن مورد النهى و الأمر بطمس التماثيل و الصور كما فى رواية

1- (1) صحيح مسلم/باب فضل بناء المساجد و الحث عليها ج 2.
2- (2) سنن الترمذى/باب ما جاء فى كراهية زيارة القبور للنساء ج 2.

النسائی(و لا صورة فی بیت إلا طمستها)لیس خاصا بالأصنام و الأوثان بل الظاهر عدم إرادة الأصنام و الأوثان لأنه البعث الحاصل لأبی الهیاج کان فی خلافة علی علیه السّلام و لم یکن بعثه إلی دیار المشرکین،إذ لو کان البعث إلی دیار المشرکین لکان أمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بقتال المشرکین أولا حتی یقروا بالشهادتین،بینما لم یتضمن أمر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لعلی علیه السّلام ذلک و لا أمر علی علیه السّلام لأبی الهیاج کذلک،و هذا مما یعزز أن الأمر بطمس التماثیل فی البیوت هو لکراهتها و لحرمة صنع التماثیل و الصور لذوات الأرواح و الأمر بالطمس و النهی عن الصور و التماثیل بعیدان کل البعد عن بحث الشرک.

ثانیا:لو سلمنا أن النهی عن الصور و التماثیل بطمسها وارد فی مورد الأصنام و الأوثان فما هو صلة الأمر بتسویة القبور بذلک،إذ وحدة السیاق لا تدل علی وحدة المتعلق فی النهی بل غایة ما یتشبث فی الوحدة هو بالسیاق الذی هو أضعف القرائن،و هو لأجل تحدید مفاد الحکم من کون الحکم الإلزامی أو الندبی أو الکراهتی فی الجمل المتعاقبة،و أما أن متعلق النهی و الأمر أن سببهما واحد فهذا مما لا سبیل إلی استفادته من وحدة السیاق و هی مغایرة لوحدة المتعلق و من ثمة لا صلة بین النهیین و الأمرین ألا تری فی قوله تعالی:

وَ قَضی رَبُّکَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِیّاهُ وَ بِالْوالِدَیْنِ إِحْساناً (1).

فهل لأحد أن یستظهر أن الأمر بالإحسان إلی الوالدین من أحکام العقیدة و الاعتقاد فضلا أن یکون من أرکان التوحید کی یکفر به العاق لوالدیه بل لیس الأمر بالإحسان إلی الوالدین حکما وجوبیا بل أن

1- (1) سورة الإسراء،الآیة:23.

الإحسان للوالدين محمول على الندب نعم عقوق الوالدين محرم من الكبائر و لكن ليس من أحكام مسائل العقيدة.

فالمحرم فى الوالدين هو جهة العقوق لهما لا وجوب كافة درجات الإحسان لهما و من ثم يحتمل فى الحديث أن تسوية القبر المشرف ذى الشرفة محمول على الكراهة إلى غير ذلک من موارد الاستعمال الكثيرة المعطوف فيها الأمر الفرعى على الأمر الاعتقادى فى موارد استخدام القرآن الكريم.

ثالثا:إن الأمر بتسوية القبور فى مقابل إشرافها قد استظهر منه الكثير إرادة تسطيح القبور فى مقابل تسنيمها و قد حكاه ذلک ابن تيمية نفسه فى كتابه منهاج السنة عن جملة من علماء السنة(1)و قد إلتزم ابن تيمية بذلک.

كما أنه قد حكى النووى فى شرح مسلم(2)قوله(يأمر بتسويتها) و فى رواية أخرى(و لا قبرا مشرفا إلا سويته)فيه أن من السنة أن لا يرفع القبر على الأرض رفعا كثيرا و لا يسنم بل يرفع نحو شبر و يسطح و هذا مذهب الشافعى و من وافقه،و نقل القاضى عياض عن أكثر العلماء أن الأفضل عندهم تسنيمها و هو مذهب مالک قوله(أن لا تدع تمثالا إلا طمسته)فيه الأمر بتغيير صور ذوات الأرواح.

كراهة ارتفاع القبور عند جمهور علماء السنة لا الحرمة:

و كلامه يقرر جملة أمور:

1- (1) منهاج السنة لابن تيمية ص 143 ج 2.

2- (2) شرح مسلم للنووى:باب(اللحد و نصب اللبن على الميت)ج 7.

منها:أن جمهور علماء السنة لم يحملوا الأمر بالتسوية على اللزوم بل حملوه على الندب،لذلک ذهب أكثرهم إلى القول بالتسنيم مخالفة للروافض من أتباع أهل البيت عليهم السّلام.

فمن الغريب بعد ذلک ادعاء السلفية و الوهابية أن الأمة مجمعة على بدعية رفع القبور و لزوم تسويتها و قد مر فى كلام النووى أيضا أنه الأفضل لا اللزوم،و كذلک عند مذهب الشافعى رفع القبر على نحو شبر و هو حمل التسوية على التسطيح.

و منها:إن صريح كلام النووى فى الأمر بطمس التمثال هو فى الصور ذوات الأرواح لا فى الأوثان و الأصنام(1).

و قال العينى فى عمدة القارى فى شرح البخارى فى مسألة تسنيم القبر و تسطيحه:(و قبر أبى بكر و عمر مسنمين)و رواه أبو نعيم فى (المستخرج):(و قبر أبى بكر و عمر كذلک)(2).

و قال إبراهيم النخعى:أخبرنى من رأى قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و صاحبيه مسنمة ناشزة من الأرض عليها مرمر أبيض.

و قال الشعبى:رأيت قبور شهداء أحد مسنمة،و كذا فعل بقبر عمر و ابن عباس،رضى اللّه عنه.و قال الليث:حدثنى يزيد بن أبى حبيب أنه يستحب أن تسنم القبور و لا ترفع و لا يكون عليها تراب كثير،و هو قول الكوفيين و الثورى و مالک و أحمد،و اختاره جماعة من الشافعية منهم،المزنى:أن القبور تسنم لأنها أمنع من الجلوس عليها،و قال أشهب و ابن حبيب:

1- (1) شرح مسلم للنووى باب اللحد و نصب اللبن على الميت ص 36 ج 7.
2- (2) تحفة الأحوذى للمباركفورى باب ما جاء فى تسوية القبر ص 130 ج 4/عمدة القارى للعينى 224 ج 8.

أحب إلی أن یسنم القبر،و إن یرفع فلا بأس.و قال ابن طاوس:کان یعجبهم أن یرفع القبر شیئا حتی یعلم أنه قبر،و ادعی القاضی حسین اتفاق أصحاب الشافعی علی التسنیم،ورد علیه بأن جماعة من قدماء الشافعیة استحبوا التسطیح،کما نص علیه الشافعی،و به جزم الماوردی و آخرون.و فی(التوضیح):و قال الشافعی:تسطح القبور و لا تبنی و لا ترفع و تکون علی وجه الأرض نحوا من شبر.قال:بلغنا أن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم سطح قبر ابنه إبراهیم علیه السّلام و وضع علیه الحصباء و رش علیه الماء(1)و أن مقبرة الأنصار و المهاجرین مسطحة قبورهم،و روی عن مالک مثله و احتج الشافعی أیضا بما روی الترمذی عن أبی الهیاج الأسدی،و اسمه:

حیان.قال لی علیّ:ألا أبعثک علی ما بلغنی علیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:(أن لا أدع قبرا مشرفا إلا سویته،و لا تمثالا إلا طمسته)(2).

و کما جاء فی سنن أبی داود:(حدثنا أحمد بن صالح،حدثنا ابن أبی فدیک،أخبرنی عمرو بن عثمان بن هانی،عن القاسم،قال:

دخلت علی عائشة فقلت:یا أمه،اکشفی لی عن قبر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و صاحبیه رضی اللّه عنهما،فکشفت لی عن ثلاثة قبور لا مشرفة و لا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء قال أبو علی:قال إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مقدم(3).

و فی(المغنی):و اختار التسنیم أبو علی الطبری و أبو علی بن أبی هریرة و الجوینی و الغزالی و الرویانی و السرخسی،و ذکر القاضی حسین اتفاقهم علیه،ثم فسر حدیث الترمذی أن المراد من المشرفة و المذکورة فیه(الحدیث)هی المبنیة التی یطلب بها المباهاة(4).

1- (1) عمدة القاری للعینی/224 ج 8.

2- (2) عمدة القاری للعینی/224 ج 8.

3- (3) سنن أبی داود:باب الجنائز باب المیت یصلی علی قبره بعد حین ج 2.

4- (4) عمدة القاری/224 ج 8.

ثم نقل قول السرخسی:أن التربیع من شعار الرافضة،و قال ابن قدامة:التسطیح هو شعار أهل البدع فکان مکروها.

و قـد حکی الشوکانی فی نیل الأوطار قریب من هـذا الکلام و ذکر فی زمن أمارة خلافـة عمر بن عبـد العزیز علی المدینة بنی القبر من قبل الولید بن عبد الملک و صیروها مرتفعة(1).

و قال ابن حجر فی فتح الباری و ما یکره من الصلاة فی القبور یتناول ما إذا وقعت الصلاة علی القبر أو إلی القبر أو بین القبرین(2).

و فی ذلک حدیث رواه مسلم من طریق أبی مرثد الغنوی مرفوعا «لا تجلسوا علی القبور و لا تصلوا إلیها أو علیها»(3).

قلت:و لیس هو علی شرط البخاری فأشار إلیه فی الترجمة، و أورد معه أثر عمر الدال علی أن النهی عن ذلک لا یقتضی فساد الصلاة،و ذکر تمادی أنس فی استمرار الصلاة عند القبر،و لو کان ذلک یقتضی فسادها لقطعها و استأنف(4).

أقول یظهر من ابن حجر و غیره إن المشـهور عند علماء السـنة عدی الفرقة الوهابیة و السلفیة حمل اللعن علی الکراهة و تفسیر اللعن بمعنی البعد عن رحمة اللّه(5)نظیر ما ورد فی کراهة الأکل منفردا و النوم وحده

1- (1) نیل الأوطار:باب اختلاف العلماء فی أفضلیة تسنیم القبر أو تسطیحه ج 4.
2- (2) فتح الباری لابن حجر/باب هل تنبش قبور مشرکی الجاهلیة ج 1.
3- (3) صحیح مسلم کتاب الجنائز/باب الصلاة علی جنازة فی المسجد ج 3.
4- (4) فتح الباری/باب هل تنبش قبور مشرکی الجاهلیة ج 1.
5- (5) و من ثم کان اللعن درجات أی أن البعـد عن ساحـة رحمته تعالی درجات متفاوته کما أن القرب درجات أیضا فی مقابل البعـد،و بعبارة أخری أن الأفعال فی تسبیبها و تأثیرها للبعد عن رحمة اللّه تعالی هی متفاوته شدة و ضـعفا بحسب شدة البعد و قلته فالبعد الحاصل من المکروه الضعیف أقل من الحاصل من المکروه-

لقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:(لعن اللّه من أكل وحده و سافر وحده و نام وحده)فإن مطلق اللعن كما هو الحال فى مطلق النهى يستعمل بكثرة فى الكراهة و هذا مما يشير إلى الأزمة بين الوهابية و سائر المسلمين فى منهجهم الحشوى فى الاستظهار من الألفاظ فى الروايات الواردة.

كما مر فى كلام العينى أن قبره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان مبنيا و مرتفعا فى الصدر الأول أقول يستفاد من كلامهما جملة أمور:

منها:أن جمهور علماء السنة عدا السلفية(سواء المذاهب الأربعة أو غيرهم)لم يذهبوا إلى كون الأمر بالتسوية عزيمة أى إلزاميا و من ثم سوغوا التسنيم أو سوغوا الارتفاع مقدار شبر.

منها:أن قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان مبنيا و فى البنية ارتفاع فى صدر الأول و أعيد بناؤه عدة مرات فى القرن الأول و الثانى مع اختلاف فى درجات الارتفاع و كذلک قبر عمر و أبى بكر و المهاجرين و الأنصار و قبور شهداء أحد.

منها:أن جملة منهم حمل النهى عن إشراف القبر مع كونه تنزيهيا على ما لو أريد به المباهاة و الخيلاء و أين هذا من ما لو أريد به الشعيرة الدينية و ذكر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته.

اختصاص هدم القبور بالمشركين:

كما روى هذا الحديث بألفاظ مختلفة فقد روى فى جملة من مصادرهم عن على عليه السّلام قال:(كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى جنازة فقال:

«أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثنا إلا كسره و لا قبرا إلا سواه

و لا صورة إلا لطخها»فقال رجل:أنا يا رسول اللّه فانطلق فهاب أهل المدينة فرجع فقال على رضى اللّه عنه:أنا أنطلق يا رسول اللّه فانطلق ثم رجع فقال:يا رسول اللّه لم ادع بها وثنا إلا كسرته و لا قبرا إلا سويته و لا صورة إلا لطختها ثم قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«من عاد لصنعة شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»)(1).

سبب نسخ النهى عن زيارة القبور:

و الحديث بهذه الألفاظ ظاهر فى مورده و هو خصوص قبور المشركين كما هو مورد جملة من الأحاديث التى استدل بها فى المقام، كما هو الحال فى الحديث الآتى النهى عن زيارة القبور ثم نسخ بالأمر فى زيارتها،و فى الحقيقة أن النسخ فى المقام هو من باب تبديل الموضوع،فإن النهى الأول عن زيارتها فى صدر الإسلام كان فى مورد خصوص قبور المشركين بخلاف الأمر بزيارة القبور فإنه لقبور المسلمين الموحدين،و لذلك كان سيرته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما يأتى فى حديث زيارة قبور المسلمين فى بقيع الفرقد و فى بعض الروايات كان يزورهم كل ليلة.

و سوف نذكر جملة من القرائن الروائية على اختصاص النهى بقبور المشركين و ما روى مستفيضا من قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها،و روى النسائى فى سننه(باب زيارة القبور)بألفاظ أخرى و الشهيد الأول الذكرى فى أحكام الشريعة- البحث الخامس فى زيارة القبور(2).

1- (1) مسند أحمد/مسند على بن أبى طالب ج 1.

2- (2) ذكرى الشيعة فى أحكام الشريعة/البحث الخامس:زيارة القبور ج 2.

كما روى ابن ماجه فى باب الجنائز(باب زيارة القبور)حدثنا يونس بن عبد الأعلى،حدثنا ابن وهب،أنبانا ابن جريح،عن أيوب بن هانئ،عن مسروق بن الأجدع،عن ابن مسعود،أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:«كنت نهيتكم عن زيارة القبور،فزوروها.فإنها تزهد فى الدنيا، و تذكر الآخرة»(1).

كذلک ما ذكره عن ابن أبى مليكة عن عائشة:(أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رخص فى زيارة القبور).

اتفاق جمهور السنة على رجحان زيارة القبور:

و رواه الترمذى فى باب ما جاء فى الرخصة فى زيارة القبور:

(قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور،فقد أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه،فزوروها،فإنها تذكر الآخرة»قال:و فى الباب عن أبى سعيد و ابن مسعود و أنس و أبى هريرة و أم سلمة،قال أبو عيسى حديث بريدة حديث حسن صحيح.و العمل على هذا عند أهل العلم لا يرون بزيارة القبور بأسا.و هو قول ابن المبارک و الشافعى و أحمد و إسحاق(2).

و من ثم عرف عندهم بنسخ النهى عن زيارة القبور إلى الأمر بها و إذا أمعنا النظر فى ذلک و ما رواه الفريقان من الأمر بزيارتها بعد النهى عنها يظهر منه أن ذلک لتبدل الموضوع و إن النهى السابق فى صدر البعثة النبوية إنما كان متعلقا بقبور المشركين و أهل الجاهلية،و أن الأمر بزيارة

1- (1) سنن ابن ماجه/باب زيارة القبور ج 1.

2- (2) سنن الترمذى/باب ما جاء فى الرخصة فى زيارة القبور ج 2.

القبور إنما هو بقبور المسلمين و الموحدين و يعضد هذا الاستظهار السابق و اللحوق الزمنى.

و يعضد هذا الاستظهار أيضا ما رواه البخارى من أمره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بنبش قبور المشركين أى تسويتها بالأرض و إعفاء أثرها و اتخاذ المساجد عليها بعد ذلک و عقد بابا تحت عنوان هل تنبش قبور مشركى الجاهلية و يتخذ مكانها مساجد(1).

الحكمة فى الأمر بهدم قبور المشركين:

يظهر من مجموع الروايات أن النهى عن الاحتفاء بالقبور فى أوائل البعثة النبوية أو عندما بعث علىّ إلى اليمن فى بداية عهدهم للإسلام أو عندما بعث على أبا الهياج إلى بعض الأطراف الداخلة لتوها فى الإسلام و الأمر بهدم القبور المبنية أو المشرفة(المرفوعة)و الأمر بإعفائها و طمسها هو لأجل قطع العلاقة بين الجيل الأول الداخل فى الإسلام عن الجيل السابق من أقوامهم الذين كانوا على شرک الوثنية لكى لا يتأثر أهل القبور من ذويهم كما يشير إلى ذلک قوله تعالى:ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ (2).

و فى قوله تعالى:وَ لا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَ لا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ ماتُوا وَ هُمْ فاسِقُونَ (3).

فالآيتان تنصان على الفصل بين موتى و قبور المشركين و موتى

1- (1) صحيح البخارى/باب هجرة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أصحابه إلى المدينة ج 4.

2- (2) سورة التوبة،الآية:113.

3- (3) سورة التوبة،الآية:84.

و قبور المؤمنين فإنه لا يجوز التردد و القيام و الاحتفاء بقبور النمط الأول بخلاف النمط الثانى فإنهما دالتان على مفروغية عبادية و هى زيارة القبور و القيام و الدعاء عندها و أنه سنة فى أصل الشريعة فإن لسانهما كالاستثناء من العموم السابق المقدر، مضافا إلى اشتمالهما على التعليل للنهى عن زيارة قبور المنافقين بأنهم كفروا و أشركوا و التعليل يخصص و يفيد التفصيل.

و قد يشكل فى دلالة آية القيام على القبر:

الإشكال الأول:إنها ليست فى صدد تفصيل الزيارة للقبور لأن عنوان الزيارة غير عنوان القيام على القبر.

الإشكال الثانى:إن القيام على القبر فعل يؤتى به عقب الدفن للصلاة على الميت لا مطلقا.

وضوح دلالة الآيتين على سنة زيارة القبور:

الجواب على ذلک:بأن هذا القول مكابرة واضحة فإن الزيارة إلى القبر ليست إلا الذهاب إلى القبر و الكون عنده سواء فى حالة الوقوف أو الجلوس أى(الإقامة عنده)و القيام عند القبر لا يتحقق إلا بالذهاب إليه و الكون عنده قريبا سواء كانت الحالة وقوفا أو جلوسا فوحدة المراد بين العنوانين من الكناية المستعمل فيها لفظ البعض أو الغاية مع إرادة الكل و المغيى.

و لكى يتضح هذا المطلب نقول بأن القيام عند القبر غاية للذهاب الذى يحصل به مقدمة الزيارة كما إنه بعض من مجموع فعل الزيارة و هذا نظير ما ورد فى كتاب الحج من لفظ الوقوفين فى عرفات و المزدلفة فإن المراد منه الكينونة فى ذلک المكانين لا خصوص الوقوف مقابل

الجلوس،و الحاصل أن النهی عن القیام علی قبور المنافقین إنما هو بلحاظ الـدعاء لهم و الترحم علیهم نظیر مفاد الآیـة الأولی و هذا الأمر یمارس عند زیارة القبور و لیس المنهی عنه هو الوقوف المجرد و لا یلتزم أحد بحرمة الوقوف المجرد عند قبور المشرکین و الاقتراب منها بل الغایة هی التحریم بلحاظ الاسـتغفار و الترحم و الدعاء لهم و هو عمدة ما یمارس فی زیارة القبور حتی فی صیغة التسلیم علی أهل القبور فإنه نمط من الدعاء و الترحم و الدعاء بالسـلامة و الأمن لهم،و منه یظهر الجواب علی الإشـکال الثانی بأن الدعاء و التسلیم علی المیت لا یختص بمراسم الدفن فقط بل هو مستمر.

فإنه قد روی مسـتفیضا زیارته صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم للبقیع کل أسبوع و تسلیمه علیهم و الدعاء لهم و قراءته الحمد و أنها تنیر و تزیل ظلمـة قبورهم،فقیـامه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم علی القبور غیر مخصوص بمراسم الـدفن و کـذلک ما کانت تفعله سـیدة النساء فاطمة المطهرة الصدیقة من زیارتها لقبر سـید الشـهداء حمزة أو شـهداء أحد،ثم إن هناک فائدة حکاها الآلوسـی فی روح المعانی عن السیوطی و هی دلالة هذه الآیة و دلالة زیارته صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم لأمه آمنة بنت وهب علی کونها من الموحدین حیث إنه قد ورد فی الحدیث تکرار زیارته صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم لوالدته مرة فی عام الحدیبیة و مرة بعد غزوة تبوک عند رجوعه منها کما سیأتی فی الفصل الثانی فی أدلة الوجوب.

الحکمة فی النهی ثم الأمر بزیارة القبور:

و قال العینی فی عمدة القاری و معنی النهی عن زیارة القبور إنما کان فی أول الإسلام عند قربهم بعبادة الأوثان و اتخاذ القبور مساجد، فلما استحکم الإسلام و قوی فی قلوب الناس و أمنت عبادة القبور و الصلاة إلیها نسخ النهی عن زیارتها لأنها تذکر الآخرة و تزهد فی

الدنیا،و قال قبل ذلک و فی(التوضیح)أیضا:و الأمة مجمعة علی زیارة قبر نبینا،صلّی اللّه علیه و آله و سلّم(1)و یعضد ذلک أیضا ما رواه الفریقان من زیارته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لقبر أمه آمنة بنت وهب.

جملة أخری من روایات المستدل بها علی الحرمة:

و من أدلتهم علی الحرمة هذا الحدیث روی أبی داود فی سننه:

(حدثنا محمد بن کثیر،أخبرنا شعبة،عن محمد بن جحادة،قال:

سمعت أبا صالح یحدث،عن ابن عباس،قال:لعن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم زائرات القبور و المتخذین علیها المساجد و السرج)(2).

کما جاء فی الترمذی(باب ما جاء فی کراهیة زیارة القبور للنساء):(حدثنا قتیبة أخبرنا أبو عوانة عن عمر بن أبی سلمة،عن أبیه، عن أبی هریرة:أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لعن زوارات القبور)(3).

و قال الحاکم النیسابوری فی المستدرک بعد روایته لهذه الروایة:

(لعن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم زائرات القبور المتخذین علیها المساجد و السرج)(4).

الحکمة فی نهی النساء عن زیارة القبور مقیدة:

و فی تحفة الأحوذی:(و یؤید الجواز-أی فی زیارة النساء للقبور حدیث أنس قال مر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بامرأة تبکی عند قبر فقال اتقی اللّه و اصبری الخ...فإنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لم ینکر علی المرأة قعودها عند القبر و تقریره حجة)(5).

1- (1) عمدة القاری/70 ج 8.

2- (2) سنن أبی داود/باب فی زیارة النساء القبور ج 2.

3- (3) سنن الترمذی/باب ما جاء فی کراهیة زیارة القبور للنساء ج 2.

4- (4) الحاکم النیسابوری/باب الأمر یخلع النعال فی القبور ج 1.

5- (5) تحفة الأحوذی/باب ما جاء فی کراهیة زیارة النساء ج 4.

و على هـذا يـدل أن نهى النساء عن زيارة القبور لأجل جزعهن و عدم جلدهن(1)و تبرمهن من قضـاء اللّه و قـدره و ما يصاحب ذلک من بعض المفاتن،و إلا مع أمن کل ذلک و کون زيارتهن لإحياء ذکرى معالم الـدين و ذکريات حجج الدين و أيامهم الخالدة فإن ذلک شـعيرة عظيمة البتة.

زيارة فاطمة بنت النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لقبر حمزة:

کما روى البيهقى فى السـنن الکبرى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على بن حسين عن أبيه:(أن فاطمة بنت رسول النبى اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم کانت تزور قبر عمها حمزة کل جمعة فتصلى و تبکى عنده)(2).

و قال الحاکم فى المسـتدرک:(هـذا الحـديث رواته عن آخرهم ثقات (روايـة أن فاطمة)و قال و قد استقصـيت فى الحث على زيارة القبور تحريا للمشارکة فى الترغيب و ليعلم الشحيح بذنبه أنها سنة مسنونة)(3).

و کذلک ما ذکره ابن الحجر العسقلانى فى تلخيص الحبير(4)و الشوکانى فى نيل الأوطار(5)و قد مر فى کلام جملة من الأعلام بأن النهى عن زيارة القبور هو بسبب الجزع و عدم الصبر على ذلک.

و فى الترمذى عن ابن عباس و حسان بن ثابت قال أبو عيسى هذا الحديث حسن صحيح،و قد رأى بعض أهل العلم أن هذا کان قبل أن

1- (1) أحکام الجنائز للألبانى باب استدلال حافظ به على زيارة النساء للقبور ص 185.

2- (2) السنن الکبرى للبيهقى/باب ما يقول إذا دخل مقبرة ج 4.

3- (3) المستدرک للحاکم النيسابورى/باب کانت فاطمة رضى اللّه عنها تزور قبر عمها حمزة کل جمعة ج 1.

4- (4) تلخيص الحبير/باب المستحب فى حال الاختيار أن يدفن کل ميت فى قبر ج 5.

5- (5) نيل الأوطار/باب تفصيل حکم زيارة القبور للنساء ج 4.

يرخص النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی زیارة القبور فلما رخص دخل فی رخصته الرجال و النساء،و قال بعضهم:(إنما کره زیارة القبور للنساء،لقلة صبرهن و کثرة جزعهن)(1).

کما جاء فی سنن النسائی:عن عبد اللّه بن بریدة عن أبیه أنه کان فی مجلس فیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال:«إنی کنت نهیتکم أن تأکلوا لحوم الأضاحی»إلخ الحدیث ثم قال:«و نهیتکم عن زیارة القبور فمن أراد أن یزور فلیزر و لا تقولوا هجرا»(2).

فیدل علی أن النهی عن زیارة النساء للقبور أو غیرهن محمول علی خوف و قول ما یسیئ الکلام مع اللّه و التذمر من قضاء اللّه و قدره و نحو ذلک.

و ذکر فی تحفة الأحوذی قوله(لعن زوارات القبور)قال القرطبی هذا اللعن إنما هو للمکثرات من الزیارة لما تقتضیه الصیغة من المبالغة، و لعل السبب ما یفضی إلیه ذلک من تضییع حق الزوج و ما ینشأ منهن من الصیاح و نحو ذلک فقد یقال إذا أمن جمیع ذلک فلا مانع من الإذن لأن تذکر الموت یحتاج إلیه الرجال و النساء علی سواء(3).

نسخ کل من النهی عن زیارة القبور و النهی عن عمارتها:

و قال الشوکانی فی النیل و هذا الکلام هو الذی ینبغی اعتماده فی الجمع بین أحادیث الباب المتعارضة فی الظاهر(4).

1- (1) سنن الترمذی/باب ما جاء فی کراهیة زیارة القبور للنساء ج 2.

2- (2) سنن النسائی/باب الساعات التی نهی عن إقبار الموتی فیهن ج 4.

3- (3) تحفة الأحوذی/باب ما جاء فی کراهیة زیارة القبور للنساء ج 4.

4- (4) تحفة الأحوذی/باب ما جاء فی کراهیة زیارة القبور للنساء ج 4.

قال و هـذه الأحاديث المرويـة فی النهی عن زيارة القبور منسوخـة و الناسـخ لها حديث علقمة بن مرثد،عن سـليمان عن بريدة،عن أبيه عن النبی صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم«قـد كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها»فقد أذن اللّه تعالی لنبيه صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم فی زيارة قبر أمه،و هذا الحديث مخرج فی الكتابين الصحيحين للشيخين(1).

أقول فيظهر من الحاكم أن الأمر بزيارة القبور قـد نسخ كلاّ من النهی عن زيارتها و نسخ النهی عن عمارتها كما أنه يظهر مما حكاه الترمذی عن بعض أهل العلم و ما ذكر القرطبی و الشوكانی أن النهی عن زيارة القبور و اتخاذ السـرج و المساجد عليها هو لأجل الجزع و التبرم من قضاء اللّه و قدره و الظاهر من كثرة العكوف عليها و من الواضح أن كل هذه المعانی بعيدة عن شـعيرة عمارة قبر النبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و قبور أهل بيته عليهم السّلام.

الدليل الرابع:الروايات الواردة الناهية عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد

اشارة

منها:عن النبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم فی مرضه الذی لم يقم منه«لعن اللّه اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»صحيح البخاری(2).

فقد روی عن عائشة رضـی اللّه عنها:(قالت لما اشتكی النبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها ماريـة و كانت أم سـلمة و أم حبيبة رضـی اللّه عنها أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسـنها و تصاوير فيها فرفع رأسه فقال:«أولئک إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا علی قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلک الصورة أولئک شرار الخلق عند اللّه»)(3).

1- (1) المستدرک علی الصحيحين/كتاب الجنائز ح 1385.

2- (2) صحيح البخاری/باب مرض النبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و وفاته ج 5.

3- (3) صحيح البخاری/باب فی الجنائز ج 2.

و فی مسند أحمد بن حنبل:

عن عبـد اللّه بن عبیـد اللّه،و عن عائشة،أنهما قالا لما نزل برسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم طفق یلقی خمیصة علی وجهه فلما اغتم رفعناها عنه و هو یقول لعن اللّه الیهود و النصاری اتخذوا قبور أنبیائهم مساجد تقول عائشة یحذرهم مثل الذی صنعوا(1).

و روی الـدارمی فی سـننه بألفاظ أخری عن ابن عباس و عائشة قالا لما نزل بالنبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم طفق یطرح خمیصه له علی وجهه فإذا اغتم کشفها عن وجهه فقال و هو کذلک«لعنة اللّه علی الیهود و النصاری اتخذوا قبور أنبیائهم مساجد یحذر مثل ما صنعوا»(2).

و روی أحمد فی مسـنده عن أبی هریرة عن النبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم:«اللّهم لا تجعل قبری وثنا لعن اللّه قوما اتخذوا قبور أنبیائهم مساجد»(3).

و روی عن عائشـة قالت قال رسول صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم فی مرضه الـذی لم یقم منه:«لعن اللّه الیهود و النصاری فإنهم اتخذوا قبور أنبیائهم مساجد قال قلت و لولا ذلک أبرز قبره غیر أنه خشی أن یتخذ مسجدا»(4).

و روی عن مالک فی الموطأ عن زید بن أسـلم،عن عطاء بن یسار،أن رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم قال:«اللّهم لا تجعل قبری وثنا یعبد اشتد غضب اللّه علی قوم اتخذوا قبور أنبیائهم مساجد»قال ابن عبد البر لا خلاف عن مالک فی إرسال هذا الحدیث(5).

1- (1) مسند أحمد/مسند عبد اللّه بن عباس بن عبد المطلب ج 1.

2- (2) سنن الدارمی/باب النهی عن اتخاذ القبور مساجد ج 1،السـنن الکبری ذکر ما کان یفعله رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی وجعه ج 4.

3- (3) مسند أحمد/مسند أبی هریرة ج 2.

4- (4) مسند أحمد/حدیث السیدة عائشة رضی اللّه عنها ج 6.

5- (5) الموطأ/باب جامع الصلاة ح 414 ج 1.

و رواه أحمد فی مسنده عن أبی هریرة،قال قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

«لا تتخذوا قبری عیدا و لا تجعلوا بیوتکم قبورا و حیثما کنتم فصلوا علی فإن صلاتکم تبلغنی»(1).

و ما جاء فی سنن أبی داود عن أبی هریرة،قال:قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

«لا تجعلوا بیوتکم قبورا،و لا تجعلوا قبری عیدا،وصلوا علی، فإن صلاتکم تبلغنی حیث کنتم»(2).

و فی مجمع الزوائد للهیثمی عن أبی عبیدة قال کان آخر ما تکلم به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم«أخرجوا یهود أهل الحجاز و أهل نجران من جزیرة العرب اعلموا أن شرار الناس الذین اتخذوا قبور أنبیائهم مساجد»رواه أحمد بإسنادین(3).

و روی الهیثمی فی قوله(لا تجعلن قبری وثنا)عن أبی هریرة قال:

(لا تجعلن قبری وثنا لعن اللّه قوما اتخذوا قبور أنبیائهم مساجد)رواه أبو یعلی و فیه إسحاق بن أبی إسرائیل(4)و حدیث عائشة رواه النسائی فی سننه باب النهی عن اتخاذ القبور مساجد(5)و ما رواه البیهقی فی سننه فی باب النهی عن الصلاة إلی القبور و کذلک فی مجمع الزوائد عن أسامة بن زید(6).

1- (1) مسند أحمد/مسند أبی هریرة ج 2.

2- (2) سنن أبی داود/باب زیارة القبور ج 1 ح 2042.

3- (3) مجمع الزوائد للهیثمی/باب فی جزیرة العرب و إخراج الکفرة ج 5.

4- (4) مجمع الزوائد للهیثمی/باب قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لا تجعل قبری وثنا ج 4.

5- (5) سنن النسائی/باب اتخاذ القبور مساجد ج 4.

6- (6) مجمع الزوائد/باب فی الصلاة بین القبور و اتخاذها مساجد ج 2.

و یؤید ذلک ما روی من قول ابن عباس فی ذیل قوله تعالیوَ قالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَکُمْ وَ لا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لا سُواعاً وَ لا یَغُوثَ وَ یَعُوقَ وَ نَسْراً (1).

عن عطاء عن ابن عباس رضی اللّه عنهم:صارت الأوثان التی کانت فی قوم نوح فی العرب بعد،أما ود:کانت لکلب بدومة الجندل،و أما سواع:

کانت لهذیل،و أما یغوث:کانت لمراد،ثم لبنی غطیف بالجوف عند سبأ و أما یعوق فکانت لهمدان و أما نسر فکانت لحمیر لآل ذی کلاع أسماء رجال صالحین من قوم نوح فلما هلکوا أوحی الشیطان إلی قومهم أن أنصبوا إلی مجالسهم التی کانوا یجلسون أنصابا و سموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتی إذا هلک أولئک و تنسخ العلم عبدت(2).

و اعترف ابن تیمیة فی منهاج السنة أن النهی عن عبادة الأصنام لا مجرد زیارة القبور(3).

اتخاذ قبره وثنا أی نصب التماثیل کأصنام علی القبر:

الجواب بالاستدلال علی هذه الأحادیث:أن لسان هذه الروایات رادعة عن اتخاذ الأوثان من الصور و التماثیل التی علی هیئة رسم صاحب القبر من الأنبیاء أو الصالحین فتتخذ تلک التماثیل و الصور أصناما تعبد کآلهة علی نسق ما یفعله المشرکون فهی بعیدة کل البعد عن عمارة قبر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و اتخاذ قبره و روضته مکانا لعبادة اللّه و التوجه به إلی اللّه و المراد من هذه الروایات ذلک دون عمارة قبر النبی صلّی اللّه علیه و آله أفضل الصلوات و تشعیره موطنا عبادیا و یدل علی ذلک ما ورد من جملة قرائن.

1- (1) سورة نوح،الآیة:23.

2- (2) صحیح البخاری/باب سورة قل أوحی إلی ج 6.

3- (3) منهاج السنة/27 ج 1.

منها:ما سیأتی فی أدلة وجوب عمارة قبر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من تشعیر قبره مشعرا عبادیا کما فی قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم المستفیض المتواتر:(ما بین منبری و بیتی روضة من ریاض الجنة)و مفاده الحث علی اتخاذ قبره مشعرا لعبادة اللّه کما فی قوله تعالی:وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِیمَ مُصَلًّی (1).

و منها:ما سیأتی فی أدلة الوجوب من الروایات الحاثة أکیدا علی زیارة قبره الشریف و توقیت فعل الحج بزیارة.

و منها:ما مر فی ألفاظ بعض هذه الطائفة من الروایات-التی استدلوا بها-من التصریح بأن هؤلاء الذین لعنوا قد صوروا علی صور الأنبیاء و الصالحین فعبدوها کذلک ذکر لفظة تماثیل.

الحکمة فی النهی عن جعل القبور محلا لسجود الصلاة:

و من ثم حمل ابن حبان فی صحیحه بعد ما روی عن ابن عباس أتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علی قبر منبوذ فصلی علیه فصلینا معه قال أبو حاتم رضی اللّه عنه فی هذا الخبر بیان واضح أن صلاة المصطفی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علی القبر إنما کانت علی قبر منبوذ و المنبوذ ناحیة فدلتک هذه اللفظة علی أن الصلاة علی القبر جائزة إذا کان جدیدا فی ناحیة لم تنبش أو فی وسط القبور لم تنبش فأما القبور التی نبشت و قلب ترابها صار ترابها نجسا لا تجوز الصلاة علی النجاسة إلاّ أن یقوم الإنسان علی شیء نظیف ثم یصلی علی القبر المنبوش دون المنبوذ الذی لم ینبش(2).

1- (1) سورة البقرة،الآیة:125.

2- (2) صحیح ابن حبان/باب إباحة الصلاة علی قبر المدفون ج 7.

اتخاذ القبور مساجد أی السجود و الصلاة علیها:

و مقتضی کلامهم أن کراهة اتخاذ القبور مساجد(إنما یکره باعتبار القرب من احتمال النجاسة).

أقول:مما یعضد حمل النهی علی أنه ما لو أتخذ فوق القبر صور و تماثیل کالأوثان و الأصنام و أن حدیث عائشة المتقدم و النهی من قبل النبی الأکرم هو تحذیر للمسلمین مما صنع الیهود و النصاری مع أنبیائهم حیث دیدن فعلهم علی رسم تصاویر للسید المسیح و السیدة العذراء مریم و هم یتخذونها آلهة ثلاثة مع اللّه کما هو نص الآیة القرآنیة فی قوله تعالی:وَ لا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ (1)فیعبدون الصور.

و نظیر هذه الطائفة ما رواه ابن حنبل فی مسنده عن أبی عبیدة(قال آخر ما تکلم به النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم اخرجوا یهود أهل الحجاز و أهل نجران من جزیرة العرب و اعلموا ان شرار الناس الذین اتخذوا قبور أنبیائهم مساجد)(2).

و فی بعض طرق روایته عن عروة بن الزبیر عن عائشة قالت قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:(فی مرضه الذی لم یقم منه لعن اللّه الیهود و النصاری اتخذوا قبور أنبیائهم مساجد قال قلت و لولا ذلک أبرز قبره غیر أنه خشی أن یتخذ مسجدا)(3).

و أما الجواب التفصیلی عن الروایة الأولی:فقد تقدم أنها محمولة إما علی فعل الیهود و النصاری من تألیه عیسی و عزیر علیهما السّلام حیث قالوا

1- (1) سورة النساء،الآیة:171.

2- (2) مسند أحمد/حدیث أبی عبیدة بن الجراح ج 1.

3- (3) مسند أحمد/حدیث السیدة عائشة رضی اللّه عنها ج 6.

أنهما ابنا اللّه،و قد مر لسان تلک الأحادیث تفسیر هذه الجملة بذلک و یحتمل فی معنی الروایة ما ذکره غیر واحد من شراح الحدیث من لعن الصلاة علی القبور و الوقوف برجلیه علیه مما یوجب إزراء و هتک لصاحب القبر.

بناء قبر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی الصدر الأول:

و أما الجواب علی الروایة الثانیة:فیفند الذیل الذی هو من کلام الراوی لا من الحدیث المروی بأن إبراز قبره الشریف قد حصل منذ أول ساعة دفنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،حیث إنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم دفن فی غرفته المشترکة بینه و بین فاطمة سلام اللّه علیها و هی التی قبض فیها و تعین دفنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی موضع القبر بتدبیر من أمیر المؤمنین علیه السّلام و الظاهر أنه بوصیة منه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و کان بمرآی جمیع المسلمین من الصدر الأول و الغرفة بنیان مرتفع بالجدران المحیطة من الجوانب الأربع و هی محیطة بالقبر الشریف کإحاطة الضریح و شبابیک و بالتالی فیکون دفنه فی الغرفة من البدء هو تخصیص لقبره الشریف و تشیید و بناء حوله و إبراز و إظهار للقبر الشریف کمعلم و تشعیر للموضع فضلا عن التشعیر الذی ورد فی قوله تعالی:فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ (1)و قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«ما بین قبری و منبری روضة من ریاض الجنة»(2).

اتخاذ قبره وثنا هو بالقول بأنه ابن اللّه أو بالقول بتعدد

الآلهة:

و نظیر ذلک مقالة الیهود من کون عزیر هو ابن اللّه کما یعضد ذلک ما روته عائشة من إنه لو لا ذلک لأبرز قبره غیر أنه خشی أن یتخذ

1- (1) سورة النور،الآیة:36.

2- (2) مسند أحمد/مسند أبی سعید الخدری ج 3،حدیث عبد اللّه بن زید عاصم ج 4.

مسـجدا فإن قولها ذلک مع کون قبره مبرزا بلحاظ بناء الحجرة التی جعل فیها القبر الشریف فیکون المراد من إبراز القبر و اتخاذه مسجدا أی معبودا و قبلة بنصب تمثال و صورة.

کما یفعل النصاری فی کنائسـهم و جعل النبی عیسـی علیه السّلام إلها فیسـتقبل تمثاله للعبادة کما أنه لیس کل استقبال عبادة إذا کان من دون تألیه و إلا لکان أمر القرآن الکریم لاستقبال مقام إبراهیم قبله مع الکعبة هی عباده لإبراهیم و حاشا القرآن عن ذلک.

و مما یعضـد هـذا الحمل أیضا اقتران النهی عن اتخاذه وثنا بما فعلته الیهود و النصاری لقبور أنبیائهم فإن الاقتران بین الأمرین یدل علی أن الجهـة المنهیة عنه فی اتخاذ قبره وثنا لیس عمارة قبره الشـریف لعبادة اللّه جنب القبر بل المراد عدم الانزلاق إلی ما فعله النصاری من تألیه الأنبیاء و القول بأنهم أبناء اللّه أو أن الآلهة ثلاثة.

و مما یعضد ذلک عندهم ما رواه بطرق مختلفة منها ما جاء فی السنن الکبری للبیقهی:

(حدثنا أنس قال قمت یوما أصلی و بین یدی قبر لا أشعر به فنادانی عمر القبر القبر فظننت یعنی أنه یعنی القمر فقال لی بعض من یلینی إنما یعنی القبر فتنحیت عنه). مما یعنی إنه تقدم و صـلی و جاز القبر (و فی روایة أخری اسـتمر فی صـلاته)لم یقطع صـلاته(1)،و قد استدلوا به علی عموم عدم استعادة الصلاة و إنها جائزة و إن کانت مکروهة(2).

و قد حکی ذلک فی عمدة القاری عن جماعة کثیرة مثل عبد اللّه بن

1- (1) السنن الکبری/باب النهی عن الصلاة إلی القبور ج 2.

2- (2) عمدة القاری/172 ج 4.

عمر و جماعة من التابعين مثل الحسن البصرى و حكى عن شرح الترمذى و مالک فيظهر منهم صحة الصلاة عند القبر و المقابر(1).

و قد مر فى كلام ابن حجر بأنه(و لو كان ذلک يقتضى فسادها لقطعها)مما يعنى ذلک بأن الصلاة إلى القبر و جعله قبلة ليس هو عبادة لصاحب القبر و تأليه و إلا لبطلت الصلاة قطعا.

اتخاذ قبور الأنبياء أو الأولياء مساجد أى بالقول بتأليههم:

قوله و ما يكره من الصلاة فى القبور:يتناول ما إذا وقعت الصلاة على القبر أو إلى القبر أو بين القبرين و قال البيضاوى:لما كانت اليهود و النصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيما لشأنهم و يجعلونها قبلة يتوجهون فى الصلاة نحوها و اتخذوها أوثانا لعنهم و منع المسلمين عن مثل ذلک فأما من اتخذ مسجدا فى جوار صالح و قصد التبرک بالقرب منه لا التعظيم له و لا التوجه نحوه فلا يدخل فى ذلک الوعيد(فى حديث جواز الحكاية)(2).

و حكى أصحابنا اختلافا فى الحكمة من النهى عن الصلاة فى المقبرة،فقيل:(المعنى فيه ما تحت مصلاه من النجاسة)و قال القاضى حسين:إنه لا كراهة مع الفرش على النجاسة مطلقا.و حكى ابن الرافعة فى(الكفاية):إن الذى دل عليه كلام القاضى:أن الكراهة إنما لحرمة الموتى(3).

1- (1) عمدة القارى ج 173/4.

2- (2) عمدة القارى ج 174/4،فتح البارى:باب هل تنبش قبور مشركى الجاهلية ج 1.

3- (3) عمدة القارى ج 173/4.

ثم حكى عن القرطبى أن ما جاء فى روايـة اتخاذ الصور و التماثيل على القبور الصالحين قوله(إنما صور أوائلهم الصور ليأتنسوا برؤيـة تلك الصور و يتـذكروا أفعالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم و يعبدون اللّه عند قبورهم ثم خلف من بعدهم خلوف جهلوا مرادهم و وسوس الشـيطان أن أسـلافكم كانوا يعبدون هذه الصور و يعظمونها فعبدوها،فحذر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن مثل ذلک،و لما احتاجت الصـحابة رضـى اللّه عنهم،و التابعون إلى زيادة مسـجده عليه الصـلاة و السـلام بنوا على القبر حيطانا مرتفعة مسـتديرة حوله لئلا تصل إليه العوام فيؤدى ذلک إلى المحذور.ثم ذكر العينى عن ابن بطال قوله إنما النهى عنه لاتخاذهم القبور و الصور آلهة.

و حكى عن الشـافعى و أصـحابه القول بكراهـة بناء المساجـد على القبور،ثم حكى البيضاوى حمل النهى على التأليه و قال و أما من اتخذ مسجدا فى جوار صالح و قصد التبرک بالقرب منه لا للتعظيم له و لا للتوجه إليه فلا يدخل فى الوعيد المذكور(1).

بل أقول و كلماتهم شاهد على إرادة معنى التأليه من النهى المزبور لا بما فهمه السـلفيون من عمارة قبر النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم و زيارته و عبادة اللّه عند قبره الشريف.

و يجاب أيضا على فرض التسليم بإيهام دلالتها أن أحاديث زيارة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عمارة قبره و أهل بيته مقدمة على إيهام دلالة هذه الروايات لوجوه:

منها:أنها متواترة كما فى الحديث المستفيض«ما بين قبرى و منبرى روضة من رياض الجنة»و مضمونه قطعى ضرورى بين المسلمين

1- (1) عمدة القارى ج 174/4.

عبر الأجيال و القرون و معتضدة بالسيرة القطعية للمسلمين من الصدر الأول بل بسيرة المسلمين فی التعاطی مع قبر إبراهيم الخليل عليه السّلام و قبور بقية الأنبياء فی أراضی الشامات مضافا إلی أن هذه الروايات أخص فی زيارته صلّی اللّه عليه و آله و سلّم من الروايات الناهية،و إنها معتضدة بالكتاب كقوله تعالی:

وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّی و قوله تعالی:فِی بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ و أن الأدلة الآمرة(بزيارة قبره صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و عمارته)بينما الروايات الناهية فی اتخاذ القبور مساجد محتملة لوجوه متعددة و قد عرفت أن أظهرها وجه آخر.

الدليل الخامس:رواه مسلم عنه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم«لا تشدّ الرحال إلا إلی ثلاثة مساجد:مسجدی هذا،و المسجد الحرام،و المسجد الأقصی»(1).

و رواه الطبرانی فی معجم الكبير:قال رسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم«لا تشدّ الرحال إلا إلی ثلاثة مساجد:المسجد الحرام،و مسجد الرسول،و مسجد الأقصی»(2).

و رواه الهيثمی فی مجمع الزوائد(3)و رواه البزاز بتقريب أن النهی بالحرمة فيدل علی حرمة السفر إلی زيارة القبور.

الإجابة:

و يرد عليه أنه قد تقدم و سيأتی جملة من الأجوبة علی الاستدلال بهذا الحديث و ملخصها.

1- (1) صحيح مسلم:باب لا تشد الرحال إلا إلی ثلاثة مساجد ج 4،و باب سفر المرأة مع محرم ج 4.

2- (2) المعجم الكبير للطبرانی ج 277/2،ج 366/22.

3- (3) مجمع الزوائد للهيثمی:باب قوله صلّی اللّه عليه و آله و سلّم لا تشد الرحال ج 4.

حرم جمهور علماء السنة على عدم حرمة السفر إلى غير المساجد

الثلاثة:

أولا:أن(لا)هنا ليست للنهى بل لنفى مطلق الكمال الأتم و حصرها فى المساجد لمعهودية هذا الاستعمال فى هذا المعنى و يشهد له أيضا ورود لفظ الحديث بلسان غير مشتمل على لفظة(لا)نظير(أنما يسافر إلى ثلاثة)و بنحو آخر نظير(تشد الرحال إلى ثلاثة)و لأجل ذلک ذكر النووى فى شرح مسلم أن الصحيح عند الجمهور هو الذى اختاره المحققون و إمام الحرمين أنه لا يحرم و لا يكره السفر إلى غير الثلاثة و إنما المراد أن الفضيلة التامة إنما هى فى شد الرحال إلى هذه الثلاثة خاصة(1).

ثانيا:أن المستثنى منه غير مذكور فلابد له من نحو تقدير،فإن قدر لفظ المسجد فيكون معنى الحديث أنه لا تشد الرحال إلى مسجد إلا ثلاثة فلا يدل المعنى على مطلوبهم من قصد السفر إلى زيارة قبورهم الشريفة.

و إن قدر مطلق السفر القربى أى لا تشد الرحال إلى سفر ابتغاء وجه اللّه إلا إلى ثلاثة و هذا مع أنه تقدير بلا شاهد و تمحض من التأويل الذى ينكرونه فى منهجهم و يرتكبونه فيما يتبنونه من الشذوذ فى معتقداتهم التى يخالفون بها المسلمين،فإنه مع ذلک لا يمكن الالتزام به لتخصيصه بالأكثر و هو مستهجن فإن السفر لأجل صلة الرحم و صلة الأخوان المؤمنين و الجهاد فى سبيل اللّه و المرابطة و طلب العلم و البر و التعاون على المعروف و الهجرة إلى اللّه و رسوله و فى شتى السبل للغير كل ذلک

1- (1) شرح مسلم للنووى-باب سفر المرأة مع المحرم إلى حج و غيره ج 9.

ما لا يحصى من رجحانه الأكيد فى الشريعة بالإضافة لو سلمنا بالعموم فهو مخصص بما دل على رجحان زيارة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

كما أن ما دل على شعيرية قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أخص مطلقا من هذا العموم(لا تشد الرحال)مضافا إلى أن ما دل على شعيرية زيارته مطابق لدليل القرآن و هو قوله تعالىوَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى و لقوله تعالىفِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ كما تبين ذلک فى البحث القرآنى مفصلا.

فضيلة المسجد النبوى بأهل البيت عليهم السّلام:

ثالثا:أن استثناء المسجد النبوى كما سيأتى من عدم شد الرحال يعنى فى الحقيقة استثناء قبر النبى و قبور أهل بيته لأن مسجده صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنما اكتسب الفضيلة لنسبته إلى بيوته و هو قوله تعالى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:(ما بين منبرى و بيوتى روضة من رياض الجنة).

نظير قوله تعالى فى شأن مسجد النبى موسى عليه السّلاموَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى وَ أَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (1).

و تقريب الاستدلال:أن مسجد النبى أضيف إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ابن عمه على بن أبى طالب كما أضيف مسجد موسى إليه و إلى أخيه هارون و كما سدّ موسى عليه السّلام الأبواب عن المسجد إلا بابه و باب أخيه هارون فكذلک سدّ النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الأبواب عن مسجده إلا بابه و باب على و فاطمة و ذريتهما و هى إحدى الموارد التى قال فيها صلوات اللّه عليه(أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى)فتضاعف الثواب فى

1- (1) سورة يونس،الآية:87.

المسجد لمكان بيوته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فصار روضة من رياض الجنة،و سيأتى أعظم مواضع الروضة هى نفس بيوته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و التى منها بيت على و فاطمة و بيوته شاملة لبيوت ذريته المعصومين فيندرج فى استثناء مسجده كافة بيوت الأنبياء و قبورهم و بيوت أهل البيت عليهم السّلام و قبورهم.

رابعا:إن استحباب شدّ الرحال إلى المسجد النبوى يلازم زيارة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأن مسجده فى جنب قبره الشريف فالمجىء إلى مسجده يلازم الذهاب إلى القبر الشريف،و كذلك رجحان شدّ الرحال إلى المسجد الحرام فإنه يلازم زيارة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لما ورد(من حجّ و لم يزرنى فقد جفانى).

الدليل السادس:قوله تعالى:وَ ما يَسْتَوِى الْأَحْياءُ وَ لاَ الْأَمْواتُ إِنَّ اللّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وَ ما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِى الْقُبُورِ (1).

و قوله تعالى:يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَما يَئِسَ الْكُفّارُ مِنْ أَصْحابِ الْقُبُورِ (2).

و تقريب الدلالة للآية الأولى:أن الظاهر و المتبادر من هذه الآية أن من فى القبور لا يسمعون و لا يمكن للحى أن يخاطبهم و لا أن يكلمهم،فطريق الاتصال بين الأحياء و الأموات منقطع فلا معنى حينئذ يتحصل لزيارتهم،و يظهر من الآية الثانية:خطاب للمؤمنين باللّه و رسوله بأن لا يوالوا قوما غضب اللّه عليهم و الذين حل عليهم الغضب الإلهى نتيجة أعمالهم السيئة و القبيحة فى هذه الدنيا و يأسهم من رحمة اللّه عزّ و جل و ثواب الآخرة لعدم إدخارهم العمل الصالح،فإن هؤلاء حالهم كمن يئس من أصحاب القبور و الموتى و النشأة الثانية فلا يرجونهم فى جلب

1- (1) سورة فاطر،الآية:22.

2- (2) سورة الممتحنة،الآية:13.

نفع و لا ضر و ذلک لاعتقادهم بأن المیت انقطع عن هذه الحیاة بموته و لا جدوی من زیارته.

و ضم إلی الاستدلال بهاتین الآیتین الاستدلال بما ورد فی الحدیث النبوی الشریف(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث (ولد صالح یدعو له،أو علم ینتفع به،أو صدقة جاریة)(1)بتقریب أن زیارة الزائر للمیت لا تنفعه بشیء لانقطاع العمل فلا یستزید عملا من الحی الزائر و لا یستزید الحی من المیت کذلک لأن المیت لا یقوی و لا یستطیع أن یأتی بعمل ینفع به نفسه و لا عملا ینفع به الآخرین من الأحیاء.

الحیاة فی الآخرة و البرزخ أشد قوة من الدنیا:

و الجواب:أن دلالـة الآیتین علی عکس ما قرر تماما فإن الآیـة الأولی تبین أن الذی یکذب برسالة الرسل و برسالة الرسول صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم و بالبشارة و النذیر الإلهی هو میت و إن کان یحیا فی دار الدنیا و ان من یصدق و یؤمن بالإیمان فهو حیّ و هو الذی یسمعه اللّه دینه و أما الذی یکذب فهو فی صمم و عمی بمثابة المیت الذی عطلت أعضائه عن الحرکة نظیر ما ورد فی قوله تعالیاً فَلَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَتَکُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ یَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ یَسْمَعُونَ بِها فَإِنَّها لا تَعْمَی الْأَبْصارُ وَ لکِنْ تَعْمَی الْقُلُوبُ الَّتِی فِی الصُّدُورِ (2).

حیث رکز القرآن الکریم علی أعضاء جوانح الروح و أنها أهم فی صفة الحیاة و الموت من أعضاء جوارح البدن الدنیوی.

1- (1) بحار الأنوار ج 2:باب ثواب الهدایة و التعلیم و فضلهما.

2- (2) سورة الحج،الآیة:46.

و نظیر ما ورد فی قوله:وَ مَنْ کانَ فِی هذِهِ أَعْمی فَهُوَ فِی الآخِرَةِ أَعْمی وَ أَضَلُّ سَبِیلاً (1).

فإن المراد لیس هو عمی العین کعضو للبدن بل عمی القلب و من ثم ورد أن الجاهل بین العلماء کالمیت بین الأحیاء و أن العالم بین الجهال کالحی بین الأموات،فالحیاة و الموت بلحاظ الروح تختلف عن الحیاة و الموت بلحاظ البدن،فالإدراک و الشعور حیاة،و الجهل و الغفلة موت،و الإیمان حیاة فاعلة،و الکفر و التکذیب بالحق موت،و هذا نظیر اصطلاح القرآن الکریم فی لفظة القریة و القری و لفظة المدینة کما فی قوله تعالی:وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحابَ الْقَرْیَةِ إِذْ جاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (2).

قال تعالی:وَ جاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِینَةِ رَجُلٌ یَسْعی قالَ یا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِینَ (3)فإن المرسلین الثلاثة أرسلوا إلی المدینة العامرة،و مع ذلک سماها القرآن قریة و ذلک لکون أهلها کفار و بعکس ذلک المکان الذی منه أتی المؤمن(حبیب النجار)فی العمران و البناء و ذلک لکون أهلها مؤمنین و التمدن فی القرآن هی بلحاظ الإیمان الذی هو کمال و تطور للبشریة و الکفر تخلف و انحطاط لها.

و نظیر ذلک الأمیة و العلم و التعلم فی القرآن فإنه أطلق علی أهل مکة بالأمیین لأنه لم یبعث فیهم رسولا من قبل و لم ینزل علیهم کتاب فلیسوا بأهل الکتاب فی مقابل أهل العلم و نظیر ذلک قوله تعالی:

وَ إِنَّ الدّارَ الآخِرَةَ لَهِیَ الْحَیَوانُ (4).

1- (1) سورة الإسراء،الآیة:72.

2- (2) سورة یس،الآیة:13.

3- (3) سورة یس،الآیة:20.

4- (4) سورة العنکبوت،الآیة:64.

حیث دلت علی أن الـدار المفعمة بالحیویة و الحیاة ذات النفخ الحیوی هی دار الآخرة و کأنما دار الدنیا و الحیاة فیها أقرب إلی الموت منها إلی الحیاة و الدار الآخرة أقرب إلی الحیاة منها إلی الموت.

و قوله تعالی:وَ الآخِرَةُ خَیْرٌ وَ أَبْقی (1)و کما فی قوله صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم(الناس نیام إذا ماتوا انتبهوا)مما یعنی بأن الحواس الخمس التی یمتلکها الإنسان فی دار الآخرة هی أشد بمراتب من الکائن فی دار الدنیا.

کما یشـیر إلی ذلک أیضا قوله تعالی:فَکَشَفْنا عَنْکَ غِطاءَکَ فَبَصَرُکَ الْیَوْمَ حَدِیدٌ (2)فتشیر الآیة إلی أن البصر فی دار الدنیا محجوب بغطاء و لا حدة فیه لیبصـر الحقائق و الواقع،و نظیر ذلک ما ورد عن سـید الشهداء الحسین علیه السّلام:(إنّ الدنیا حلوها و مرها حلم)فیتحصل من مجموع الآیات و الروایات أن الشعور و الإبصار و السماع عند أهل الآخرة أشدّ و أقوی و أحدّ من إدراک أهل دار الدنیا.

الیأس من الموتی و أصحاب القبور من صفة الکفار و المنافقین

و الإیمان بأصحاب القبور من صفات المؤمنین:

و أما الآیة الثانیة:فدلالتها صـریحة فی خطأ الکفار فیما یعتقدون اتجاه أصحاب القبور نظیر خطأ المغضوب علیهم فی الیأس من الآخرة فإن المغضوب علیهم لعـدم إیمانهم بالآخرة لا یعولون و لا یطمئنون إلی وجود الآخرة و ما فیها من ثواب اللّه و رضوانه و دار أنعامه مع أن الدار الآخرة هی حقیقة واقعة و موجودة و هی دار أعظم شأنا وسعة و فسحة و جمالا و جلالا و بهاءا من دار الدنیا إلاّ أن المغضوب علیهم بسبب عدم

1- (1) سورة الأعلی،الآیة:17.

2- (2) سورة ق،الآیة:22.

إيمانهم أخطؤوا و جهلوا هذا الأمر نظير جهل الكفار بشأن أصحاب القبور و أنهم موجودون فی دار البرزخ منعمون إن كانوا من أهل النجاة و معـذبون إن كـانوا من أهل الهلاک فاليأس من أصـحاب القبور هی من صـفات الكفار و المنافقين لعـدم إيمانهم بالآخرة بينما الأمل فی أصـحاب القبور بوجودهم و التواصـل معهم و الصـلة بهم،و الارتبـاط هی من صـفات المؤمنين بالآـخرة و المعاد،فلا غرو و لا عجب فی تشديـد النكير على زيارة أهل القبور و الأولياء و الأصـفياء و الصالحين من قبل الوهابية،فإن هذا لا يصب إلا فی مواجهة الإيمان بالآخرة و المعاد و الحساب،و أنه نظير مقولـة الكفار فی قوله تعالى:وَ قالُوا ما هِیَ إِلاّ حَياتُنَا الـدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا وَ ما يُهْلِكُنا إِلاَّ الـدَّهْرُ وَ ما لَهُمْ بِذلِکَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاّ يَظُنُّونَ (1).

فحصـروا الحياة بـدار الـدنيا و أنكروا الحياة الآخرة و البرزخ و فی قوله تعالى:وَ جِیءَ يَوْمَئِـذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِـذٍ يَتَـذَكَّرُ الْإِنْسانُ وَ أَنّى لَهُ الذِّكْرى (23)يَقُولُ يا لَيْتَنِی قَدَّمْتُ لِحَياتِی (24) (2).

و قوله تعالى:لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاّ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (3).

الصدّ عن زيارة القبور صدّ عن الآخرة و دعوة للعكوف على

الدنيا:

حيث تدل الآية على أن الموت انتقال من دار إلى دار و يريد الميت أن يرجع كما ورد فی الحديث النبوی:

1- (1) سورة الجاثية،الآية:24.

2- (2) سورة الفجر،الآيتان:23-24.

3- (3) سورة المؤمنون،الآية:100.

(و إنما تنقلون من دار إلى دار)و يقسم بها الإنسان الميت عند سوقه إلى الممر الذى يؤدى به إلى البرزخ و الآيات و الروايات الدالة على الحياة البرزخية أكثر من أن تحصى،فالصدّ عن زيارة القبور صدّ عن التوجه إلى الآخرة و دعوة إلى العكوف على الدار الدنيا الذى هى مرام الدهريين و قد تكرر فى القرآن الكريم التعبير عن الموت بأنه وفاة و توفى و الوفاء هو التمام و الإتمام و استيفاء التمام كما فى قوله تعالىحَتّى إِذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوَفَّوْنَهُمْ (1).

فالتعبير بتوفته أى أنهم يستوفون تمام ذات الإنسان من دون نقص أى أن تمام حقيقة ذاته تستوفيها الملائكة عند الموت و لا يبقى منها شىء فى دار الدنيا بل ينتقل بتمامه إلى البرزخ و من ثم فذات الإنسان لا تتبدد و لا تفنى كما يزعم هؤلاء المنكرون للدار الآخرة و قد أطلق على نفس هذا الفعل أنه نزع أى نزع للروح عن البدن و انتقال بها إلى بدن برزخى كما فى قوله تعالى:وَ النّازِعاتِ غَرْقاً(1) (2).

و أطلق عليه السوق و الانتقال و الحركة أيضا كما فى قوله تعالى:

وَ الْتَفَّتِ السّاقُ بِالسّاقِ (29)إِلى رَبِّکَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ (30) (3)و قوله تعالى:كَلاّ إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ (4).

فيشير إلى نزع الروح و بلوغها التراقى حين الموت و أنه حينئذ تساق ذات الإنسان و روحه إلى اللّه فلا تفنى و لا تتبدد،و لو أردنا أن نخص الآيات فى ذلک لطال بنا المقام فهؤلاء فى دعوتهم للصدّ عن زيارة

1- (1) سورة الأعراف،الآية:37.

2- (2) سورة النازعات،الآية:1.

3- (3) سورة القيامة،الآيتان:29-30.

4- (4) سورة القيامة،الآية:26.

القبور یصـدون عن سبیل الآخرة و یزعجهم و یؤرقهم تذکر الآخرة فیریدون من الناس العکوف علی دار الدنیا و الالتهاء بها و الغفلة عن دار الجزاء و الغفلـة عن الموت و الانشـغال بمتاع الـدنیا فکم هی دعوة هدامـة یروج لها أبناء الدنیا لمحاربة أبناء الآخرة و قد أشـیر فی الحدیث النبوی المتقـدم إلی الحکمـة من زیارة القبور أنها تـذکر الآخرة فهؤلاء فی صـدهم عن زیارة القبور یصـدون عن تذکر الآخرة و عن التفکیر فیها.

و أما الحـدیث فـدلالته علی عکس مطلوبهم(فإن دعاء الولـد الصالح للأب المیت یفید المیت و هذا لا یختص بدعاء الولد بل بکل صالح یسـتجاب دعائه فی حق المیت بل بکل صالـح یدعو له کما ورد فی الروایة النبویة عن أبی هریرة عنه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم:(إن هذه القبور مملوءة ظلمـة علی أهلهـا و إن اللّه عزّ و جل ینورها بصـلاتی علیها)،کما هو فی مسـند أحمـد و ابن داود فهـذا باب یـدل الحـدیث الشـریف علی انتفاع المیت بدعاء الصالحین،بل إن الإنسان قد یسـتفید من عمل الأموات إذا کانوا صالحین کما دلت علیه الآیة الشـریفة:وَ أَمَّا الْجِ دارُ فَکـانَ لِغُلاـمَیْنِ یَتِیمَیْنِ فِی الْمَدِینَـةِ وَ کانَ تَحْتَهُ کَنْزٌ لَهُما وَ کانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّکَ أَنْ یَبْلُغا أَشُدَّهُما وَ یَسْ تَخْرِجا کَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ وَ ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِی ذلِکَ تَأْوِیلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَیْهِ صَبْراً (1).

1- (1) سورة الکهف،الآیة:82.

الفصل الثانی: وجوب عمارة قبر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أهل بیته علیهم السّلام و تشعیرها کمشعر و حرم إلهی

الدلیل الأول:البیانات القرآنیة

اشارة

ص:57

جهات البحث

اشارة

تحديد موضوع البحث و هى أن عمارة قبر النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قبور عترته مشعر و مشاعر إلهية و نحاول تفصيل البحث فيها عبر الجهات التالية:

الجهة الأولى:و هى أنّ عمارة قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قبور عترته مشاعر إلهية و ركن من معالم الدين.

الجهة الثانية:و هى أقوال الفريقين و المذاهب الإسلامية فى هذه القاعدة الشريفة الاعتقادية الإسلامية.

و فى قبال ذلک رصـدت الكتب الإسـلامية أفعال هـذه الشـرذمة التى تحارب المشاهـد المشـرفة و ما فعلوا من الأفاعيل النكراء فى مكة و المدينـة فى كتب كثيرة فى صـدد هـذا المطلب شاهدا على أفعال هؤلاء الذين يحملون شـعار المادية و الحس المادى كمحور يقدس قبال الغيب باسم التوحيد و يقومون بهدم عقائد المسلمين.

كما تبين الحكم الشـرعى لهذه القاعدة الشـريفة و هى وجوب عمارة قبر النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و قبور عترته سلام اللّه عليهم و بأنها مشاعر إلهية خلافا لهذه الفئة.

و من الضرورى أن نبين بأن البحث ليس فى صدد بيان مشروعية هذه القاعدة الشريفة أو عدمها بل هذه مرحلة متراجعة عند المسلمين

أمام شـقائق الزندقية لهؤلاء و إنما نحن فى صدد بيان بأن عمارة قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قبور عترته ركن من معالم الدين و أن هذه المشعرية أعظم من مشعرية الكعبة و أعظم من مشعرية المسجد الحرام عندما استعرضنا كلمات جملة من علماء المذاهب الإسلامية المجمعين على أن موضع الأعضاء الشريفة للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أعظم و أشرف من الكعبة و هذا أمر مسلّم لديهم كما فى نقل السمهودى فى أوائل كتابه وفاء الوفاء.

و الهـدف من هـذا البحث بيان الأمور على حقيقتها كما فى إجماع المـذاهب الأربعـة بأن التراب حول الأعضاء الشـريفة أعظم من الكعبة فضـلا عن المسـجد الحرام،و هـذا عنـد الإمامية أمر واضح و مسـلّم،كما أن هناک بعض الكلمات الساذجة الانهزامية فى الوسط الداخلى تسـتنكر و تسـتغرب من القول بأفضـلية كربلاء المقدسـة على الكعبة مع أن النصوص الواردة لدينا مسـتفيضة و متضافرة فى ذلک و هذا فى الواقع طمس للحقائق المسلمة عند الإمامية.

الجهة الثالثة:هى عبارة عن اسـتعراض جملة من النفثات الباطلة لهذه الفئة فى قبال هذه القاعدة الشـريفة كما نذكر بعض الفتاوى الشيطانية التى تشـبث بها هؤلاء الذين يتجرؤون فى صريح الكلام على إنهم لو أتوا القدرة لهدموا القبة النبوية فإن مثل هذه التعابير الشيطانية الجريئة جاءت لهدم الدين و نبذ التوحيد و العياذ باللّه.

و من المهم أن نبين بأن الكلام ليس فى مطلق زيارة القبور و إن كانت من أجزاء مقـدمات البحث لكن الكلام فى خصوص قبر النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قبور عترته و بأنها قاعدة شرعية و من معالم الدين.

فهنالک جملة من الوجوه التى ذكرها هؤلاء الذين يحملون راية المادية و صنمية الحس باسم التوحيد:

الوجه الأول:بأن زيارة النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قبور عترته توسل و تشفع و هذا شرک فی زعمهم و العیاذ باللّه.

قال الشوکانی فی الدر النضید:فقد ثبت إجماع الصحابة علی التوسل برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بذوات الصالحین بعد موته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم(1)(فمن أنکر التوسل بذات رسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بعد موته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أو بذوات الصالحین فقد خرق الإجماع و القول الخارق للإجماع باطل و مردود بالاتفاق)فلذا رد العلماء کافة علی ابن تیمیة إذ قال بعدم جواز التوسل بذوات الصالحین و من تبعه فی ذلک.

أقول:زیارة النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و التقرب به إلی اللّه و بقبور عترته التی أمر اللّه بتعظیمها و حث علیها ینعتها هؤلاء بالشرک مع أنها من الأمور التوحیدیة التی تحصل بها الزلفی و التقرب إلی اللّه سبحانه و تعالی، و سنبین إن شاء اللّه بأن التوسل و التشفع هو الطریق الوحید لتوحید اللّه بنص القرآن الکریم من خلال هذه القاعدة التوحیدیة بینما هؤلاء الشواذ یصفون التوحید بالشرک و بالتالی یرفعون رایة المادیة و المذهب الحسی باسم التوحید.

الوجه الثانی:إن زیارة النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قبور عترته فیه دعاء للمقبور و استغاثة به و إلحاح علیه فی الدعاء و الطلب منه،و کل هذه الأمور بزعمهم لا تجوز لغیر اللّه سبحانه و تعالی کما أنه یحصل فی أثناء الزیارة سجود للقبر و بأن الزائر یأتی إلی هذه الأماکن بحالة خشوع و سکینة و تأثر یصل إلی حدّ البکاء و تذلل لصاحب القبر و بأن هذه الأمور نوع من الخضوع لغیر اللّه عزّ و جل و العیاذ باللّه.

1- (1) الدر النضید فی إخلاص کلمة التوحید:باب التوسل إلی اللّه سبحانه بأحد من خلقه ص 6.

مـع أنه لـم ينكر على التوسـل أحـد حـتى ابن تيميـة يؤكـد على هـذه الشـعيرة و بـأن السـلف توسـل من هـذا القبيـل فى كتـابه(التوسـل و الوسيلة)(1)نقل عن أحمـد بن حنبل فى منسک المروزى التوسل بالنبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فى الـدعاء و نحوه(2)و هذا هو نص عبارة أحمد بن حنبل،كما فى منسک المروزى بعد كلام ما نصه:و سل اللّه حاجتک متوسـلا إليه بنبيه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم تقضى من اللّه عزّ و جل.هكذا ذكره ابن تيمية فى الرد على الأخنائى(3).

فبهذا الوجه يتبين بأنهم يحاربون اللّه و رسوله و لا يمكن حمل تفسـير كلماتهم بأنها اجتهادية بل هى محاربة للدين بمقتضـى هذه القاعدة الشريفة.

الوجه الثالث:أن زيارة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تعظيم بحيث يلازمه تذلل للمعظم و التذلل و الخشوع لغير اللّه سبحانه و تعالى لا يجوز و أن بنـاء القبور و وضع السـتور عليها و تجصيصـها و تزينها بالـذهب و الفضـة و اتخاذ السـرج و تطييبها بأحسن طيب بحيث يمثل عظمة لصاحب القبر و هذا التعظيم لا يجوز.

أو نفس البناء يوجب نوعا من التعظيم للقبور و بالتالى هذه السبل شرک باللّه عزّ و جل و نبذ للتوحيد.

الوجه الرابع:يستدلون بهذه الآية الكريمة:وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللّهِ قُلْ أَ تُنَبِّئُونَ اللّهَ بِما لا يَعْلَمُ فِى السَّماواتِ وَ لا فِى الْأَرْضِ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ (4).

1- (1) التوسل و الوسيلة:98.

2- (2) منسک المروزى:155.

3- (3) سورة الرد على الأخنائى:168.

4- (4) سورة يونس،الآية:18.

يزعمون بأن النبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم أخبر من جعل بینه و بین اللّه وسائط یسألهم الشـفاعة فقـد عبـدهم و أشـرک بهم و ذلک أن الشـفاعة کلها للّه کما فی قول تعالی:مَنْ ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّ بِإِذْنِهِ (1)و أما ما حدث من سؤال الأنبیاء من الشـفاعة بعد موتهم و تعظیم قبورهم ببناء القباب علیها و إسراجها و الصلاة عندها و اتخاذها أعیادا و جعل السدنة و النذور لها فکل هذه الحوادث هی الأمور التی أخبر بها الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و حذر منها و سد کل طریق یؤدی إلی الشرک.

و من هـذا المنطلق کفّروا کافـة المسـلمین و فسّـروا الآیات علی أهوائهم الشـیطانیة و کتبوا رسائل فی ذلک کما هو فی(تطهیر الاعتقاد من أدران الإلحاد)لمحمد ابن الأمیر الصـنعانی حیث یقول:وجب علی تألیفه و تعین علی ترصـیفه لما رأیته معلمته من اتخاذ العباد الأنداد فی الأمصار و القری و جمیع البلاد من الیمن و الشام و مصر و نجد و تهامة و جمیع دیار الإسلام.،و هو الاعتقاد فی القبور و فی الأحیاء ممن یدعی العلم بالمغیبات و هو من أهل الفجور،لا یحضـر للمسـلمین مسجدا و لا یری للّه راکعا أو ساجدا،و لا یعرف السنة و لا الکتاب و لا یهـاب البعث و لاـ الحساب،فوجب علی أن أنکر ما أوجب للّه إنکاره)(2)فانظر أیها القارئ لکلامهم کیف ینعت المسـلمین بهذه النعوت القبیحة.

و یسـتدلون بآیات أخری کما فی قوله تعالی:وَ ما یَسْتَوِی الْأَحْیاءُ وَ لاَ الْأَمْواتُ إِنَّ اللّهَ یُسْمِعُ مَنْ یَشاءُ وَ ما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِی الْقُبُورِ (3)و یعللون بأن من فی القبور لا یضر و لا یسمع.

1- (1) سورة البقرة،الآیة:255.

2- (2) تطهیر الاعتقاد من أدران الألحاد ص 2.

3- (3) سورة فاطر،الآیة:22.

كما سنبين ما هو المقصود فی الآية الكريمة من قوله تعالى(مّن فی القبور)و أنه لديهم حياة برزخية،فيستدلون بالمتشابه يريدون ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله.

و أيضا يستدلون بهذه الآية الكريمة فی قوله تعالى:يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَما يَئِسَ الْكُفّارُ مِنْ أَصْحابِ الْقُبُورِ (1).

هذه مجمل الآيات ما ذكروه فی هذا الصدد كما ذكروا وجوها أخرى فی هذا الموضوع على وفق مفاد ما سبق.

الوجه الخامس:أن فی زيارة القبور يحصل التبرک بوسائلها و التمسح بها و تقبيلها،و التبرک يزعمون بأنه شرک باللّه عزّ و جل لا مظهرا للتوحيد و العبادة.

و هی التی يدعى فيها المقبور من دون اللّه سبحانه و تعالى،و يطلب منه قضاء الحوائج،و دفع المكروه و تفريج الكرب أو يصلى له أو يذبح له أو ينذر له و ما شابه ذلک فإنه غير جائز و شرک باللّه عزّ و جل.

الوجه السادس:بأن الأموال التی تصرف و توضع عند القبور إسراف و هذا غير جائز و محرم بنص القرآن الكريم و هذا الإشكال لديهم لتعاظم قدر المال فی أعينهم و تصاغر الأمور المعنوية لديهم فهم يبنون رؤيتهم على محورية المال و المادة فيقولون لا بد من تقليل الزيارة و ادخار الأموال فهذه هی الصنمية بعينها للمال و إلا فالزيارة هی من العبادات المؤكدة التی حث عليها الإسلام.

الوجه السابع:أن السفر و الذهاب إلى زيارة قبر النبی صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو إلى

1- (1) سورة الممتحنة،الآية:13.

الحضـرة العلويـة و إلى قبور الأئمـة و زيارة البقيع سـلام اللّه عليهم هذا حج و هو(حج القبور)و الحج لغير بيت اللّه الحرام و الطواف لغير الكعبة غير جائز.

سنبين بإذن اللّه بأن القصد و السـفر و الزيارة إلى هذه الأماكن من العبادات المجمع عليها و إنها من المراسم و الأعمال المقترنة مع الحج المنصوصة عند الإمامية و أهل السنة و هى من آداب الزيارة.

الوجه الثـامن:إن عمـارة قبر النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و قبور عترته يوجب تعطيل المساجـد بالعبادة و الصـلاة فيها كما تؤدى إلى خراب هذه البيوت العبادية حسب زعمهم و إفكهم و شدّ الرحال إلى هذه المشاهد يوجب تعطيل بيت اللّه الحرام.

مع أن هذا غير حاصل إذ اللازم أن لا يخلو الحج من المسـلمين فى عام من الأعوام من الذين يقصدون بيت اللّه الحرام لتأدية فريضة الحج و العمرة.

الوجه التـاسع:و هـذا من أهم الوجوه التى تشـبثوا بهـا بـأن هـذه القبور تتخـذ قبلـة بـدل الكعبـة و يستشـهدون بما اقتطعوه مبتورا من كلام المجلسى:إن استقبال القبر أمر لازم،و إن لـم يكن موافقا للقبلة...

و استقبال القبر للزائر بمنزلة استقبال القبلة،و هو وجه اللّه أى جهته التى أمر الناس باستقبالها فى تلك الحالة(1).

1- (1) بحـار الأنوار 369/98 ب 32-أبواب فضـل زيارة سـيد شـباب أهل الجنـة أبى عبـد اللّه الحسـين صـلوات اللّه عليه و نص كلام المجلسى فى البحار «بيان.....و اللّه يعلم»ح 12.

و ما ذكره المجلسى ليس فى صدد استدبار الكعبة فى أثناء الصلاة و جعل القبر قبلة للزائرين فى صلاتهم بل هو فى أثناء الزيارة و أما فى الصلاة فيستقبل الكعبة،نعم لا يتقدم على القبر فى الصلاة بل على جانبه الأيمن من طرف الرأس،و تراعى بذلک آداب الزيارة لكى لا يكون هناک جسارة و هتک للقبر الشريف و هذا ما أشارت إليه الآيات القرآنية من سورة البقرة فى قوله تعالى:وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى (1).

فهل لقائل أن يتوهم و يقول بأن اللّه أمر المسلمين أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى و جعله قبلة لهم بدل الكعبة أم هذه تخرصات و أراجيف هذه الفرقة الشاذة و من سار على نهجهم.

الوجه العاشر:هى مجموعة من الروايات الواردة لديهم فى النهى عن زيارة القبور أو بناء القبور التى تتخذ للعبادة و السجود عليها من دون اللّه عز و جل حيث يحذر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من هذه الأفعال الشركية و التى تنافى التوحيد.

منها:الحديث النبوى المعروف و هو قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:(لعن اللّه اليهود و النصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)أخرجه البخارى(2).

منها:عن عائشة رضى اللّه عنها قالت لما اشتكى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها مارية و كانت أم سلمة و أم حبيبة رضى اللّه عنهما أتتا أرض حبشة فذكرتا من حسنها و تصاوير فيها فرفع رأسه فقال:أولئک إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره

1- (1) سورة البقرة،الآية:125.

2- (2) صحيح البخارى/باب مرض النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ج 5.

مسجدا ثم صوروا فيه تلک الصورة أولئک شرار الخلق عند اللّه(1).

منها:عن ابن عباس قال:(لعن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم زائرات القبور و المتخذين عليها المساجد و السرج)(2).

منها:قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:(اللّهم لا تجعل قبری وثنا:لعن اللّه قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)لا تتخذوا قبری من بعدی وثنا(3).

منها:قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:(لا تتخذوا قبری عيدا و لا تجعلوا بيوتكم قبورا و حيثما كنتم فصلوا على فإن صلاتكم تبلغنی)لا يصلی فيها و لا يعبد عند هذه القبور(4).

و هذه مجمل الأحاديث التی تمسكت بها هذه الفئة و سيأتی فی البحث الروائی الجواب و توضيح الحال فی حقيقة مفاد هذه الأحاديث و الموازنة بينها و بين الروايات الأخری القطعية السند و الدلالة.

من تمام الحج ولاية النبی الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

من أسرار عظمة الرسول الخافية على الخلق و منزلته عند اللّه عزّ و جل بأن تمام الأعمال العبادية لا تقبل إلا بولاية النبی الأكرم بما فيها فرائض الحج.

و الجاحد لهذه الولاية هو فی الواقع جاحد للشهادة الأولی مما

1- (1) صحيح البخاری/باب فی الجنائز ج 2،باب هجرة الحبشة ج 4.
2- (2) سنن النسائی/باب اتخاذ القبور مساجد ج 4/سنن أبی داود باب فی زيارة القبور ح 3236 مسند أحمد بن حنبل ج 2/مسند عبد اللّه بن عباس بن عبد المطلب ج 1.
3- (3) مسند أحمد بن حنبل باب مسند أبی هريرة ص 246 ج 2.
4- (4) مسند أحمد بن حنبل باب مسند أبی هريرة ص 367 ج 2.

یعنی العود إلی الوثنیة الجاهلیة و أن هذه العبادات تکون عبادة وثن و صنم و العیاذ باللّه.

و هذه الولایة له صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ثابتة دائمة لا تزول ما دام العباد مکلفون بالفرائض و العبادات.

کما یذکر المقریزی فی کتابه(إمتاع الأسماع)قول العلامة زین الدین المراغی:و ینبغی لکل مسلم اعتقاد کون زیارته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-قربة، للأحادیث الواردة فی ذلک و لقوله تعالی:وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ (1)لأن تعظیمه-صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لا ینقطع بموته و لا یقال:إن استغفار الرسول لهم إنما هو فی حال حیاته،و لیست الزیارة کذلک،لما أجاب به بعض الأئمة المحققین:أن الآیة دلت علی تعلیق وجدان اللّه تعالی توابا رحیما بثلاثة أمور:المجیء،و استغفارهم،و استغفار الرسول لهم، و قد حصل استغفار الرسول لجمیع المؤمنین(و المؤمنات)لأنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قد استغفر للجمیع،قال اللّه تعالی:وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِکَ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِناتِ (2)فإذا وجد مجیئهم أو استغفارهم کملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة اللّه تعالی و رحمته،و قد أجمع المسلمون علی استحباب زیارة القبور،کما حکاه النووی،و أوجبها الظاهریة،فزیارته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مطلوبة بالعموم و الخصوص،و لأن زیارة القبور تعظیم،و تعظیمه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم واجب، و لهذا قال بعض العلماء:لا فرق فی زیارته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بین الرجال و النساء(3).

و فی الفصول القادمة سوف نبین بأن بناء المساجد و المسجد الحرام و عمارة الکعبة المشرفة دون ضم عمارة قبر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم تعتبر فی منطق

1- (1) سورة النساء،الآیة:64.

2- (2) سورة محمد،الآیة:19.

3- (3) إمتاع الأسماع:ج 14 باب ذکر ما جاء فی زیارة قبر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

القرآن كعبادة وثن و شـرک باللّه عزّ و جل خلافا لما تزعم هذه الشـرذمة الشاذة التی تدعی بأن اتخاذ قبر النبی قبلة بدل الکعبة شرک باللّه و وثن فلا یجوز اتخاذ القبلة من المخلوقین شـیئا إلا الکعبة،فالکعبة یتوجه إلی اللّه بها أما التوجه إلی اللّه بغیر الکعبة و اتخاذها قبلة فهذا وثن و عبادة شرکیة و صنمیة حسب ما یزعمون و الحال أن هناک روایات واردة لدیهم تنص علی أن جسد الرسول أشرف من الکعبة کما هو عند المذاهب الأربعة إجماعا.

نبذ ولایة النبی الأکرم هو العود إلی الوثنیة الجاهلیة:

ما هو الفرق بین حج المسـلمین و حج الجاهلیة القرشـیة الوثنیة«فإن المشرکین کانوا یمارسون الطقوس العبادیة فی الحج من الطواف حول البیت و السـعی بین الصـفا و المروة و الوقوف بعرفـات و یـذبحون القرابین فی منی کما کانت تمارس فی زمن إبراهیم الخلیل صـلوات اللّه علیه.

أقول:بأن المشـرکین کانوا یمارسون هذه الطقوس کما یمارسها المسلمون بلا فرق فی أعمالها العبادیة لکن مع ذلک یخاطب اللّه عز و جل المسلمین بأن المشرکین نجس کما فی قوله تعالی:

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْـرِکُونَ نَجَسٌ فَلا یَقْرَبُوا الْمَسْـجِدَ الْحَرامَ بَعْدَ عامِهِمْ هذا وَ إِنْ خِفْتُمْ عَیْلَةً فَسَوْفَ یُغْنِیکُمُ اللّهُ مِنْ فَضْـلِهِ إِنْ شاءَ إِنَّ اللّهَ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (1).

مما یعنی بأن نفس الحج الذی یأتی به المشرکون و الصلاة و العبادات لعمارة بیت اللّه الحرام یعتبرها القرآن الکریم عبادة وثن و صنم.

1- (1) سورة التوبة،الآیة:28.

فلم يخرج هؤلاء من الوثنية إلى الإسـلام و آمنوا باللّه سبحانه و تعالى إلا بالإقرار و التسليم و التدين بولاية النبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فإن بتر الإسلام عن الشهادة الثانية و تداعيات الشهادة الثانية و مؤديات الشهادة الثانية و معطيات الشهادة الثانية و مقتضيات الشهادة الثانيـة مما يعنى بتر الشـهادة الأولى عن الشـهادة الثانية هى فى الواقع عود للوثنية الجاهلية و هذا كما عليه هذه الشـرذمة الدعاة إلى الوثنية الجديدة.

الفرق إذا بين حج المشركين و حج المسلمين هو أن المشركين كانوا يأتون بهذه الطقوس العبادية و عمارة بيت اللّه الحرام لكنها كانت عبادة خاوية بالية تخالف الأمر الإلهى فهى تتبرأ من ولاية النبى الأكرم صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و التسـليم و الإقرار بها و عدم الإقرار بطاعة و ولايـة خاتم الأنبياء يعتبر فى منطق القرآن الكريم و أبجديات الدين الحنيف وثنية و شـركا،و إلا كان حج المشـركين حج يرتضـيه اللّه عزّ و جل بمجرد المجىء إلى بيت اللّه الحرام و تكون عبادة لهم بينما جعل اللّه هذه العبادة وثنية و شركا باللّه عزّ و جل كما فى قوله تعالى:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرامَ بَعْدَ عامِهِمْ هذا وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شاءَ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (1).

و من خلال هـذا البرهان التاريخى الأديانى تبين بأن هـذه الطقوس التى يمارسـها مشـركو قريش هى طقوس مختلقـة على نبى اللّه إبراهيم صلوات اللّه عليه لكنها لا تدين بدين خاتم الأنبياء و قطع هذه العبادات عن ولاية النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هى فى الواقع رجوع إلى الوثنية الجاهلية و ابتعادا عن هذه الشعائر و هذه القاعدة.

1- (1) سورة التوبة،الآية:28.

و هذا يتضح من البرهان الذى أشار إليه الإمام الباقر عليه أفضل الصلاة و السلام فى روايات أعلائية صحيحة السند بأن هذه الفعال فعال جاهلية و وثنية.

البرهان الأول

على بن إبراهيم،عن أبيه،عن ابن أبى عمير،عن ابن أذينة،عن الفضيل،عن أبى جعفر عليه السّلام قال:نظر إلى الناس يطوفون حول الكعبة، فقال:هكذا كانوا يطوفون فى الجاهلية،إنما امروا أن يطوفوا بها،ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم و مودتهم و يعرضوا علينا نصرتهم،ثم قرأ هذه الآيةفَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ (1)(2).

فى أصول الكافى الحسين بن محمد،عن معلى بن محمد عن على بن أسباط،عن داود بن النعمان عن أبى عبيدة قال:(سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول و رآى الناس بمكة و ما يعملون-قال فقال:فعال كفعال الجاهلية أما و اللّه ما أمروا بهذا و ما أمروا إلاّ أن يقضوا تفثهم و ليوفوا نذورهم فيمروا بنا فيخبرونا بولايتهم،و يعرضوا علينا نصرتهم)(3).

و فى هذا البرهان التاريخى الأديانى يبين الإمام الباقر عليه السّلام الوثنية فى مصطلح القرآن الكريم بأن هذه الفعال فعال جاهلية و هى طاعة لغير اللّه سبحانه و تعالى و ما أمروا بهذا فإن القرشيين و غيرهم كانوا يؤدون المناسک كما هو الحال عند المسلمين لكنها كانت مبتورة و مفتقدة لولاية خاتم الأنبياء و الرسل و هذا فى اصطلاح القرآن يعتبر وثنية جاهلية مع أنه

1- (1) سورة إبراهيم،الآية:37.

2- (2) الكافى/باب أن الواجب على الناس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام ج 1 ص 392.

3- (3) الكافى/باب أن الواجب على الناس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام ج 1 ص 392.

كانت طقوسهم المنسوبة لنبى اللّه إبراهيم خلافا لما تفهمه هذه الفئة.

فإن طاعة اللّه تكون من خلال الأبواب التى تصل منها أوامره و إلا تكون هذه الطاعة لغير اللّه و هذا ما عليه هذه الشرذمة من بتر الصلة بالنبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أن فعالهم كفعال الجاهلية الأولى و ما أمروا بهذا.

و بذلک هم يدعون إلى الوثنية و الزندقة باسم التوحيد و نفى الشرک و العياذ باللّه،و التوحيد إنما هو بضم عمارة قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و التدين بولايته.

و كانت قريش تزعم بأنها على الملة الحنيفية الإبراهيمية و أن النبى مرق و صبا عن الملة الإبراهيمية و فى قبال ذلک كانت تزعم أن سيد الأنبياء صبأ فتية قريش بينما القرآن الكريم يبين قاعدة ضرورية و هى أن قطع الصلة بولاية خاتم الأنبياء و بدون ارتباطكم بخاتم الأنبياء هذا وثن و ليس توحيد و مشكلة هذه الفئة الشاذة أنها تعتقد كلما قطعت الصلة و أوجدت القطيعة و الجفاء مع خاتم الأنبياء قد وحدت اللّه عزّ و جل.

فالتوحيد الحقيقى هو الذى يمر من بوابة محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فهو سبيل اللّه و الداعى إليه عزّ و جل و لا معنى لكل عبادة ما لم تكن متعلقة بهذه العروة الوثقى،فقريش الكافرة كانت لها شعائر تعتبرها دينية و تؤديها و تحافظ عليها و منها الطواف حول الكعبة باعتبارها المركز و القبلة،و قد وجهوا نقدهم للنبى الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عندما كان يستقبل بيت المقدس و بأنه جعل بيت المقدس قبلة للمسلمين و الحال أن القبلة فى ملة إبراهيم هو الكعبة و أنه صبأ عن دين اللّه عزّ و جل أى خرج عن دين آبائه و أجداده كما فى قوله تعالى:قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِکَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّکَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ مَا اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا يَعْمَلُونَ (1).

1- (1) سورة البقرة،الآية:144.

و الحال أن قريش و المشـركين كان لديهم طقوس ينسبونها بالنبى إبراهيم لكنها مع ذلک كانت مبتورة عن ولاية النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.كذلک أحد أسباب كون عبادة اليهود و النصارى عبادة وثنية و صنمية أن هذه الطقوس التى تتم فى الكنائس و الأديرة إشراک باللّه عزّ و جل لأنهم يعرضون عن ولايـة خاتم الأنبياء و الرسل صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم،و هكذا فإنّ قطع الصـلة بين المساجد و بين ولاية النبى الأكرم هى بنفسها فعال الجاهلية الأولى فهؤلاء يفرغون التوحيد عن مضمونه بحشو وثنى.

البرهان الثانى

على بن إبراهيم،عن أبيه،عن ابن أبى عمير،عن ابن أذينـة،عن زرارة،عن أبى جعفر عليه السّلام قـال:(إنمـا أمر النـاس أن يأتوا هـذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم و يعرضوا علينا نصرهم)(1).

و فى هذا البرهان العقائدى يبين الإمام عليه السـلام بأن الطاعة للنبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و بولاية النبى و ليس بأحجار الكعبة كما فى قوله تعـالى:وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنْتَ عَلَيْها إِلاّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ وَ إِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ (2).

و الهدف من استقبال القبلة هو طاعة الرسول لا كما يدعى هؤلاء (بأن التوحيد هو قطع الصلة و بتر ولاية النبى عن العبادات)المنقطعين عن الوسائط التى نصبها اللّه عزّ و جل أبوابا لهم و نبذ الوساطة و التوجه بالنبى الأكرم بل هذه هى الوثنية بعينها.

نبذ التسليم و الإقرار بولاية خاتم الأنبياء و جحود ولاية خاتم

1- (1) الكافى/باب اتباع الحج بالزيارة ج 4.

2- (2) سورة البقرة،الآية:143.

الأنبياء هی الوثنیـة و الصـنمیة فی منطق القرآن الکریم لأنه طاعة لغیره سـبحانه و تعالی کما نبه و أشار إلی بیانات القرآن أهل البیت علیهم أفضل الصـلاة و السلام فلا بد للإنسان من واسطة بینه و بین ربه و إلا من أین له أن یستلهم و یستعلم و یقف علی أوامر و إرادات و إرشادات ربه مما یتبین بأن هـذه التخرصات الشـیطانیة هی عبادة وثنیـة باعتبار أن الطاعـة و العبادة من دون تولی النبی و انـدماج طاعته فی طاعة اللّه تعالی لا تکون للّه سـبحانه و تعالی حتی طواف المسلمین حول الکعبة و التوجه به من دون أوامر اللّه تعتبر طواف حول الحجارة و هذه هی عبادة وثنیة و الطاعة لغیر اللّه هی وثن و صنمیة.

و من یجحد ولایة النبی صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ولایة أهل بیته من بعده یکون نابذا و عاصیا للّه سبحانه و تعالی و عابدا لغیر اللّه عزّ و جل و لا یمکن له أن یسـتعلم أوامر ربه و من ثم یخاطب الباقر علیه السّـلام بأن هـذه الفعال کفعال الجاهلیـة و أن هـذه العبادات من دون ولایة النبی تکون عبادة وثن.

و هـذا مـا قـاله اللّه تعـالی:وَ مـا جَعَلْنَا الْقِبْلَـةَ الَّتِی کُنْتَ عَلَیْها إِلاّ لِنَعْلَمَ مَنْ یَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ یَنْقَلِبُ عَلی عَقِبَیْهِ وَ إِنْ کانَتْ لَکَبِیرَةً إِلاّ عَلَی الَّذِینَ هَدَی اللّهُ وَ ما کانَ اللّهُ لِیُضِیعَ إِیمانَکُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِیمٌ (1).

هذا البرهان القرآنی هو بیان لنفس معنی الوثنیة فی قضـیة القبلة التی کان علیها النبی الأکرم صلوات اللّه علیه و هی اتجاه بیت المقدس- و کانت صعبة علی قریش و غیر قریش الذین اعتادوا علی استقبال الکعبة و التی کانت قبلة إبراهیم الخلیل صلوات اللّه علیه،لذلک عبر القرآن الکریم:وَ إِنْ کانَتْ لَکَبِیرَةً إِلاّ عَلَی الَّذِینَ هَدَی .

1- (1) سورة البقرة،الآیة:143.

من خلال هـذا البرهان القرآنی یتبین بأن العبادة و الصـلاة إلی القبلـة لیس الغرض الأساسـی منها بما هی بل لأجل الطاعة و التدین بولایة خاتم الأنبیاء و الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بأنه هو القبلة الواقعیة و المرکزیة فی هذه العبادة و إلا فهی عبادة صنمیة و وثنیة.

و هذا ما صـرح به الإمام الباقر علیه أفضل الصـلاة و السلام حینما قیل له:(یا بن رسول اللّه فلم أمر بالقبلة الأولی؟-یعنی الرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سـلّم-فقال:لما قال اللّه عزّ و جل:وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَـةَ الَّتِی کُنْتَ عَلَیْها و هی بیت المقـدس-إلا لنعلم من یتبع الرسول ممن ینقلب علی عقبیه إلا لنعلم ذلک منه وجودا بعد أن علمناه سـیوجد،و ذلک أن هوی أهل مکة کان فی الکعبة فأراد اللّه أن یبین متبع محمدا صلّی اللّه علیه و آله و سـلّم من مخالفیه باتباع القبلة التی کرهها،و محمد صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم یأمر بها،و لما کان هوی أهل المدینة فی بیت المقدس أمرهم بمخالفتها و التوجه إلی الکعبة لیبین من یوافق محمدا فیما یکرهه فهو مصدقه و موافقه(1).

قال تعالی:وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَـةَ الَّتِی کُنْتَ عَلَیْها إِلاّ لِنَعْلَمَ مَنْ یَتَّبِعُ الرَّسُولَ فهذه الواقعة القرآنیة واضـحة و صـریحة الدلالة علی أن التوحید فی العبادة و اتباع أوامر اللّه لیس فی نبذ ولایة النبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بل الطاعة بولایته التی تؤدی إلی طاعة اللّه عزّ و جل قال تعـالی:مَنْ یُطِعِ الرَّسُولَ فَقَـدْ أَطـاعَ اللّهَ وَ مَنْ تَوَلّی فَما أَرْسَـلْناکَ عَلَیْهِمْ حَفِیظاً (2)و إلا هـذه العبادات من الصـلاة و الاسـتقبال للکعبة و الطواف حولها هی عبادة وثنیة و جاهلیة.

و من ثم ذکرنا فی بدء البحث فی الجواب عن تشدقات هؤلاء بأن

1- (1) بحار الأنوار/باب الثالث البداء و النسخ ج 4.

2- (2) سورة النساء،الآیة:80.

الشـهادة الأولى من دون ضـمها إلى مقتضيات و مؤديات الشهادة الثانية تعتبر وثنية و لقلقة لسان فلا بد من ضم الشهادة الثانية إلى الشهادة الأولى.

فهـذا البرهان القرآنى قـد بينه أئمـة أهل البيت عليهم أفضل الصـلاة و السـلام على أن التوحيـد فى العبادة و نبذ الوثنية لا تتم إلا بالإقرار و التسليم لولاية خاتم الأنبياء محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته.

البرهان الثالث

قال تعالى:وَ إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَةِ إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَةً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها وَ یَسْفِکُ الدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِکَ وَ نُقَدِّسُ لَکَ قالَ إِنِّی أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ (1).

فى هـذا البرهان يسـتعرض القرآن الكريم قصـة إبليس لعنه اللّه فى أكثر من سـبعة سور قرآنيـة و هـذه القصـة و الحادثة هى فى الواقع بداية الفاتحـة للخليقـة البشـرية منـذ أن قال تعالى:إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَةً فهـذه الآيـة رمز عظيم جدا تحمل بين طياتها المعانى العالية و الساميـة أشار إليها أمير المؤمنين على عليه السّلام فى خطبته المعروفـة(بالقاصـعة)فى نهج البلاغة حيث يسـتعرض هذه الواقعة و يصـف إبليس لعنه اللّه و يقول:

(فعـدو اللّه إمـام المتعصبين،و سـلف المسـتكبرين،الـذى وضع أساس العصبيـة،و نازع اللّه رداء الجبريـة،و ادرع لباس التعزز،و خلع قناع التذلل ألا ترون كيف صغّره اللّه بتكبره،و وضعه بترفعه.فجعله فى الدّنيا مدحورا،و أعدّ له فى الآخرة سعيرا.

1- (1) سورة البقرة،الآية:30.

و لو أراد اللّه سبحانه-أن يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياؤه،و يبهر العقول رواؤه،و طيب يأخذ الأنفاس عرفه لفعل،و لو فعل لظلت له الأعناق خاضعة،و لخفت البلوى فيه على الملائكة لكن اللّه- سبحانه يبتلى خلقه ببعض ما يجهلون أصله تمييزا بالاختبار لهم و نفيا للاستكبار عنهم،و إبعادا للخيلاء منهم.فاعتبروا بما كان من فعل اللّه بإبليس إذ أحبط عمله الطويل،و جهده الجهيد،و كان قد عبد اللّه- سبحانه و تعالى-ستة آلاف سنة،و لا يدرى أمن سنى الدّنيا أم من سنى الآخرة،عن كبر ساعة واحدة.فمن ذا بعد إبليس يسلم على اللّه بمثل معصيته).

ثم قال:(فاحذروا،عباد اللّه،عدوا اللّه إبليس أن يعديكم بدائه، و أن يستنفزكم بندائه،و أن يجلب عليكم بخيله و رجله)فيبين الإمام عليه السّلام هذه الواقعة الخالدة و المعانى المشيدة(1).

كما أنه من خلال التعابير الواردة فى القرآن الكريم يتبين أن عبادة إبليس كفر باللّه عزّ و جل لأنه نابذ و جاحد لولاية ولى اللّه قال تعالى:قالَ ما مَنَعَکَ أَلاّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُکَ قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (2).

و قوله تعالى:وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِکَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أَبى وَ اسْتَکْبَرَ وَ کانَ مِنَ الْکافِرِينَ (3).

و عن الإمام الصادق عليه السّلام قال:أمر إبليس بالسجود لآدم،فقال:

(يا رب و عزتک إن أعفيتنى من السجود لآدم لأعبدنک عبادة ما عبدک

1- (1) نهج البلاغة:خطبة له عليه السّلام المعروفة بالقاصعة فى ذم إبليس.

2- (2) سورة الأعراف،الآية:12.

3- (3) سورة البقرة،الآية:34.

أحد قط مثلها،قال:اللّه جل جلاله:إنى أحب أن أطاع من حيث أريد)(1).

و هـذا ما عليه السـلفية فإنهم يجحـدون ولايـة النبى الأعظم بحجـة أن العبادة لغير اللّه شـرک و کفر باللّه و يطيعون من حيث يريـدون هم بحسب أهوائهم لا من حيث هو يريد و بذلک يتبين أن ما يعتقده هؤلاء و ما يزعمونه هو عين الوثنية الجديدة.

لو كان العابـد يريـد أن يعبـد المعبود من حيث يشاء العابد لكان العابد هو المعبود يعبد هوى نفسه مقدما على هوى خالقه لذلک خاطب اللّه إبليس بهذا الخطاب التوحيدى:(إنى أحب أن أطاع من حيث أريد لا من حيث تريد).

فنعت البارى فى القرآن الكريم إبليس بعد أن عبد اللّه سـتة آلاف سـنة بأنه:(أبى و اسـتكبر و كان من الكافرين)بعد أن نبذ و جحد ولاية أبى البشر آدم عليه السلام بأمر من اللّه عزّ و جلّ مع أنه على منطق هذه الفئة تكون عبادة إبليس عبادة خالصة و نابذة للواسطة و الحال أن البارى وصفها بأنها شرک و كفر.

و الخطاب المتمثل فى قوله تعالى:وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ يتجلى فى كل من يتمثل به الخلافة الإلهية كما قال تعالى:إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً فهذا السـجود غير مختص بآدم عليه السّـلام بل لكل خليفة من خلفاء اللّه إذ قلنا للملائكة و لكل مؤمن اسجدوا لخليفة اللّه المتمثل فى محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إبراهيم الخليل و داود أنى جاعلک خليفة و أولى

1- (1) البحار الأنوار:ج 11 باب هل كان إبليس من الملائكة أم لا عن قصص الأنبياء و روى نظيره عن تفسير العياشى أيضا ص 119.

العزم الذين هم أعلى منزلة من آدم عليه السّلام و هذا بحسب نفس البيان القرآنى فى قوله تعالى:

وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ البارى عزّ و جل لم يقل إنى جاعل فى الأرض نبيا أو رسولا بل خليفة يعنى له القدرة و التصرف و الصلاحية و القدرة و التدبير يعنى(الإمامة)أنى جاعل فى أرض خليفة،أى أن اللّه عزّ و جل يطوّع ملائكته و جميع ما خلق لخليفته فى الأرض فيخاطبهم اسجدوا لإبراهيم اسجدوا لعيسى و نوح عليهم أفضل الصلاة و السلام يعنى توجهوا فى عبادتكم و طاعتكم إلى من؟إلى خليفة اللّه و إلى ولى اللّه.

فإن اللّه سبحانه و تعالى لو أمر هذه الشرذمة بالسجود لسيد الأنبياء محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أن يتوجهوا فى طاعتهم و عبادتهم إليه لكانوا هم أول من يأبى و يصدّ و يستكبر و أول من يحارب النبى الأكرم مع إبليس لعنه اللّه و يستكبرون كما استكبر إبليس و أبى أن يسجد لآدم و النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كذلک أهل البيت صلوات اللّه عليهم،فإن الآية السابقة شاملة لأهل البيت بنص القرآن فى آيات أخر و بنص الحديث النبوى المتواتر لدى العامة و الخاصة.

عن جابر بن سمرة قال:سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول فى حجة الوداع«إن هذا الدين لن يزال ظاهرا على من ناواه لا يضره مخالف و لا مفارق حتى يمضى من أمتى اثنا عشر خليفة»ثم تكلم بشىء لم أفهمه فقلت لأبى ما قال؟قال:كلهم من قريش(1).

فكل من يصدق عليه عنوان خليفة اللّه فى الأرض فإنه مصداق لهذه

1- (1) مسند أحمد:ج 5 باب حديث جابر بن سمرة.

الآية الكريمة:وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ كما فى قوله تعالى:

إِنِّى جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِى قالَ لا يَنالُ عَهْدِى الظّالِمِينَ (1).

فإن الإمامة و الخلافة لا ينالها إلا المصطفون و المطهرون من ذرية إسماعيل و إبراهيم قال تعالى فى كتابه الكريم:هُوَ اجْتَباكُمْ وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِى هذا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ اعْتَصِمُوا بِاللّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلى وَ نِعْمَ النَّصِيرُ (2).

الاجتباء و الاصطفاء من اللّه عزّ و جل ثابت لآل محمد لأنهم الذين أبوهم إبراهيم و من ذرية إسماعيل و هم الذين منهم بعث الرسول خاتم النبيين فى دعاء إسماعيل و إبراهيم المذكور فى سورة البقرة و بذلک تثبت هذه الخاصية و الأمر الإلهى فى قوله تعالى:وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ و أن هذا الأمر و هذا العهد لا يناله غيرهم من الظالمين.

و يتضح من الآيات الأخرى بأن الأمر بالسجود لم يتعلق بعنوان آدم عليه السّلام بما هو كما فى قوله تعالى:إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّى خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ (71)فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ (72) (3)مما يعنى بأن اللّه سبحانه تعالى أمر بالسجود لهذا الخليفة الطينى البشرى و أنتم يا معشر البشر مأمورون بالسجود له و بإطاعته.

و أن هذه المنزلة الرفيعة لا ينالها إلا المصطفين من قبل اللّه عزّ و جل كما بينه القرآن الكريم فى آية التطهير و آية المباهلة و آية المودة و آية الفيء و آية الانفال و الخمس و غيرها فى أكثر من موقف بأن هذا المقام مختص

1- (1) سورة البقرة،الآية:124.

2- (2) سورة الحج،الآية:78.

3- (3) سورة ص،الآيتان:71-72.

بالأنبياء و الأوصياء،كما فى بيان الرضا عليه السّلام عندما أمر محمد بن الفضل بإحضار المتكلمين و العلماء فى دار حفص بن عمير بالكوفة ثم قال:

يا معاشر الناس أليس أنصف الناس من حاج خصمه بملته و بكتابه و بنبيه و شريعته؟قالوا:نعم،قال الرضا عليه السّلام:فاعلموا أنه ليس بإمام بعد محمد إلا من قام بما قام به محمد حين يفضى الأمر إليه، و لا يصلح للإمامة إلا من حاج الأمم بالبراهين للإمامة،فقال رأس الجالوت:و ما الدليل على الإمام؟قال:أن يكون عالما بالتوراة و الإنجيل و الزبور و القرآن الحكيم،فيحاج أهل التوراة بتوراتهم و أهل الإنجيل بإنجيلهم،و أهل القرآن بقرآنهم،و أن يكون عالما بجميع اللغات حتى لا يخفى عليه لسان واحد،فيحاج كل قوم بلغتهم،ثم يكون مع هذه الخصال تقيا نقيا من كل دنس طاهرا من كل عيب، عادلا منصفا حكيما رؤوفا رحيما غفورا عطوفا صادقا مشفقا بارا أمينا مأمونا راتقا فاتقا.

فقام إليه نصر بن مزاحم فقال:يا بن رسول اللّه ما تقول فى جعفر بن محمد؟قال:ما أقول فى إمام شهدت أمة محمد قاطبة بأنه كان أعلم أهل زمانه،قال:فما تقول فى موسى بن جعفر؟قال:كان مثله،قال:فإن الناس قد تحيروا فى أمره قال:إن موسى بن جعفر عمر برهة من الزمان فكان يكلم الأنباط بلسانهم،و يكلم أهل خراسان بالدرية و أهل روم بالرومية،و يكلم العجم بألسنتهم،و كان يرد عليه من الآفاق علماء اليهود و النصارى،فيحاجهم بكتبهم و ألسنتهم.

فلما نفذت مدته،و كان وقت وفاته أتانى مولى برسالته يقول:يا بنى إن الأجل قد نفد،و المدة قد انقضت،و أنت وصى أبيک فإن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لما كان وقت وفاته دعا عليا و أوصاه و دفع إلية الصحيفة

التی کان فیها الأسماء التی خص اللّه بها الأنبیاء و الأوصیاء،ثم قال:یا علی ادن منی،فغطی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم رأس علی علیه السّلام بملاءة ثم قال له:

أخرج لسانک،فأخرجه فختمه بخاتمه ثم قال:یا علی اجعل لسانی فی فیک،فمصّه و أبلغ عنی کل ما تجد فی فیک،ففعل علی ذلک فقال له:

إن اللّه قد فهّمک ما فهمنی،و بصّرک ما بصرنی،و أعطاک من العلم ما أعطانی،إلا النبوة،فإنه لا نبی بعدی ثم کذلک إمام بعد إمام،فلما مضی موسی علمت کل لسان و کل کتاب(1).

فمن خلال هذه الکلمات و الآیات البینة الناصعة تبین بأن السجود و الذی هو کنایة عن الطاعة المطلقة و الانقیاد التام و التسلیم الکامل و منتهی الخضوع لا ـ یختص بآدم علیه أفضل الصلاة و السلام و بأن التوحید فی العبادة إنما هو بالتوجه لولی اللّه إلی اللّه و هذا هو حقیقة القبلة و لیس الکعبة بما هی أحجار و الطواف حولها و هذا عین ما فی قوله تعالی:وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِی کُنْتَ عَلَیْها إِلاّ لِنَعْلَمَ مَنْ یَتَّبِعُ الرَّسُولَ (2).

تنصیص من القرآن کما ذکرنا فی قوله تعالی:وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِکَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ تجعلونه قبلة و تتجهون بولایته فی عبادتکم.

إذا هذا البرهان القرآنی الدامغ الناصع دال علی أن التوحید فی العبادة یکون فی التوجه بولی اللّه إلی اللّه و بخلیفة اللّه و بالحجة من قبل اللّه إلی اللّه لا قطع التوجه و الصلة به.

1- (1) بحار الأنوار:ج 49 باب وروده علیه السّلام بالکوفة.

2- (2) سورة البقرة،الآیة:143.

أن زيارة قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قبور عترته هى من تمام العبادات:

(فى عيون الأخبار و فى العلل)(1).

عن جعفر بن محمد عليه السّلام قال:إذا حج أحدكم فليختم حجه بزيارتنا،لأن ذلک من تمام الحج.

و فى(الخصال)بإسناده عن على عليه السّلام(فى حديث الأربعمائة)قال:

(أتموا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حجكم إذا خرجتم إلى بيت اللّه فإن تركه جفاء و بذلک أمرتم[و أتموا]بالقبور التى ألزمكم اللّه عزّ و جل حقها و زيارتها، و اطلبوا الرزق عندها)(2).

فمن هـذه الروايات و القرائن الأخرى الذى ذكرناها تظهر بأن المسـلم لابد له أن يضم جميع العبادات من زكاة و صـيام إلى زيارة قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و أن من تمامها و كمالها هى هـذه الزيارة و إلا لا تقبل أعماله و تذهب هباءا منثورا قال تعالى:وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هـ ذَا الْبَلَدَ آمِناً وَ اجْنُبْنِى وَ بَنِىَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْ نامَ (35)رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْ لَلْنَ كَثِيراً مِنَ النّ اسِ فَمَنْ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى وَ مَنْ عَصانِى فَإِنَّکَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (36) (3).

البرهان الرابع

قال تعالى:رَبَّنا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِکَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ (4).

1- (1) عيون أخبار الرضا:باب فى ذكر ثواب زيارة الإمام عليه السّلام ج 1،علل الشرائع:باب العلة التى من أجلها وجبت زيارة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمة عليهم السّلام بعد الحج فيهما:فليختم حجه بزيارتنا.

2- (2) الخصال:حديث الأربعمائة ص 616.

3- (3) سورة إبراهيم،الآيتان:35-36.

4- (4) سورة إبراهيم،الآية:37.

رَبَّنا إِنِّی أَسْکَنْتُ مِنْ ذُرِّیَّتِی بِوادٍ غَیْرِ ذِی زَرْعٍ عِنْدَ بَیْتِکَ الْمُحَرَّمِ یعنی المسجد الحرام(الکعبة)و الحرم المکی.

و ذکر فی(تفسیر العیاشی):عن الفضل بن موسی الکاتب،عن أبی الحسن موسی بن جعفر علیه السّلام قال:إن إبراهیم علیه السّلام لما أسکن إسماعیل و هاجر مکة و ودعهما لینصرف عنهما بکیا،فقال لهما إبراهیم:

ما یبکیکما فقد خلفتکما فی أحب الأرض إلی اللّه و فی حرم اللّه؟

فقالت له هاجر:یا إبراهیم ما کنت أری أن نبیا مثلک یفعل ما فعلت؟قال:و ما فعلت؟فقالت:إنک خلفت امرأة ضعیفة و غلاما ضعیفا لا حیلة لهما بلا أنیس من بشر و لا ماء یظهر،و لا زرع قد بلغ،و لا ضرع یحلب؟قال:فرقّ إبراهیم و دمعت عیناه عندما سمع منها فأقبل حتی انتهی إلی باب بیت اللّه المحرم فأخذ بعضادتی(1)الکعبة ثم قال:

(اللّهم إنی أسکنت من ذریتی بواد غیر ذی زرع عند بیتک الحرام ربنا لیقیموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوی إلیهم و ارزقهم من الثمرات لعلهم یشکرون)(2).

الغایة من إسکان هاجر و إسماعیل عند بیته الحرام:

..ما هو الهدف من إسکان هاجر و إسماعیل و نسل إسماعیل فی مکة و عند بیت اللّه الحرام فی أرض لیس فیها زرع و لا ضرع؟

رَبَّنا لِیُقِیمُوا الصَّلاةَ الهدف و الغایة منه إشادة الدین و تشیید معالم

1- (1) (عضادتی الباب:خشبتاه من جانبیه).

2- (2) البحار الباب الخامس أحوال أولاده و أزواجه صلوات اللّه علیه ج 12/تفسیر العیاشی ج 2 ص 232 باب ربنا إنی أسکنت من ذریتی.

الدين و عمارة المسجد الحرام بالصلاة و الحج و النّسک و کل مظاهر عمارة الدين و عمارة المسجد الحرام.

و هل هی الغاية النهائية وراء إسـکان إسـماعيل و أمه هاجر إلا نسل إبراهيم و هو النبی صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم و أهل بيته لکی يقيموا الصلاة عند بيته المحرم و فی واد غير ذی زرع الذی هو واد مقدس و إتيان کل مظاهر العبادة ماذا بعد ذلک و ما وراء ذلک؟

و الجواب:وراء ذلک التعبير الوارد فی الآيـة الکريمـة:فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِی إِلَيْهِمْ هـذا التفريع هی الثمرة و النتيجـة النهائيـة و فی کلمة(فاجعل)بيان للثمرة التی هی وراء ما ذکر قبلها فی الآية و أهل البيت يشـرحون کل کلمة فی الآية فی رواياتهم عليهم أفضل الصلاة و السلام.

هذا هو بيت القصيد فی قوله تعالی:فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِی إِلَيْهِمْ (1).

کمـا إنه لاـ بـد للفقيه أن يجمع القرائن الموجودة لکی يسـتکشف الأحکـام الشـرعية و ماهيتها من العبادات من القرآن الکريم و النصوص الواردة.

هـذه الآية الکريمة بنص مفادها کما أشار إلی ذلک الإمام الباقر عليه السّـلام هی من آيات الحج و ينبغی علی الفقهاء أن لا يغفلوا بأن هذه الآية من مجموع آيات و نصوص الحج.

و هی تقول بأن للحج غاية،لأن ما يقام و ما يشاد و يمارس و يبنی و يؤسّس عند بيت اللّه الحرام و الوادی المقدس غايته فی قوله تعالی:

1- (1) سورة إبراهيم،الآية:37.

فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ تهوی إلی من؟إلی ذریة و نسل إسماعیل و إبراهیم،تهوی إلیهم تمیل بقلوبها إلیهم،توالیهم،تمیل إلیهم،تحن إلیهم بقلبک،قال تعالی:قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبی (1)«علیه أجرا»علی الرسالة هذه هی الغایة من هذه الطقوس فی الحج التولی و الولایة لأهل البیت علیهم أفضل الصلاة و السلام.

و هذه الآیة صریحة فی مودة أهل البیت علیهم أفضل و السلام و بأنها من تمام إقامة الصلاة و الطواف و الاعتکاف و کل أبواب العبادة کما مر فی آیة استقبال الکعبة قال تعالی:طَهِّرا بَیْتِیَ لِلطّائِفِینَ وَ الْعاکِفِینَ وَ الرُّکَّعِ السُّجُودِ (2).

فنفس هذا المفاد الذی فی الآیة صریح فی قوله تعالی:وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِی کُنْتَ عَلَیْها إِلاّ لِنَعْلَمَ مَنْ یَتَّبِعُ الرَّسُولَ (3)انظر إلی هذا التناغم و التشاهد و التوافق و الاتحاد فی مفاد الآیات.

إذا من تمام الصلاة و العبادات و استقبال الکعبة ماذا؟لکی تهوی الناس إلیهم،تمیل إلی نسل إبراهیم و إسماعیل،و هی تلک الذریة المسلمة التی لا تشرک باللّه طرفة عین و هم دعوة إبراهیم و طلبه من اللّه تعالی فی قوله تعالی:رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَیْنِ لَکَ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَکَ وَ أَرِنا مَناسِکَنا وَ تُبْ عَلَیْنا إِنَّکَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحِیمُ (128)رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِیهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ (4)فإذا هذه الأمة لها مواصفات خاصة و هی عترة النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم هی

1- (1) سورة الشوری،الآیة:23.

2- (2) سورة البقرة،الآیة:125.

3- (3) سورة البقرة،الآیة:143.

4- (4) سورة البقرة،الآیتان:128-129.

الغاية من الحج و هى الغاية من العبادة،بولايتهم و بمودتهم و بصلتهم و زيارتهم يتم الحج.

فهل من الممكن أن لا يستجاب هذا الدعاء و لا يتحقق فى نسل إسماعيل و أن يكونوا كلهم مشركين و لا تكون فيه أمة مسلمة موحدة للّه تعالى؟

كما تدعى هذه الفئة الضالة التى تتجرأ على أبى طالب و عبد المطلب آباء و أجداد النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

هذا مضافا إلى ما فى قوله تعالى:وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ إِنَّنِى بَراءٌ مِمّا تَعْبُدُونَ (26)إِلاَّ الَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (27)وَ جَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِى عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (28) (1).

و جعلها كلمة باقية فى عقبه و فى نسله الذين لا يشركون باللّه طرفة عين،و قد جعل اللّه فى نسله أمة مسلمة و فى ذريته التى لها مواصفات خاصة الإمامة و الخلافة الإلهية و هى باقية فى عقبه لكى تميل و تهوى أفئدة الناس إليهم.

هذا هو دعاء إبراهيم الخليل و إسماعيل الذبيح بأن يجعل فى ذريتهما أمة مسلمة تعبد اللّه عزّ و جل و يجعل فى ذريته الإمامة و جعلها اللّه كلمة باقية فى عقبه إلى يوم القيامة و بذلک يتبين بأن مجموع هذه الآيات لا يمكن عزلها عن بعضها البعض فى بيان ماهية الحج و كمالات الحج و الغاية من الحج و إنما احتلت الكعبة هذه المركزية لأجل محبة هذه الذريةتَهْوِى إِلَيْهِمْ بولايتهم و هى أبواب معالم الدين.

فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ هذا سؤال من إبراهيم عليه السّلام

1- (1) سورة الزخرف،الآيات:26-28.

أن يجعل اللّه قلوب الخلق تحن إليهم لا إلى البيت و إلا لكان الضمير مفرد(إليه)كما أشار الإمام الباقر فى البرهان السابق فى قوله:(إنما أمر الناس أن يطوفوا بهذه الأحجار ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم)هذه هى الغاية المركزية من الطواف و بقية العبادات.

على عكس ما تـدّعى هـذه الشـرذمة بأن التوحيـد فى العبادة هو النفرة و القطيعـة و البغض للنبى و أهل بيته و أن عمارة قبر النبى و أهل بيته شرك باللّه بينما القرآن الكريم يقول:وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنْتَ عَلَيْها إِلاّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ (1).

إذا قوله تعالى:فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ تبين مودة أهل البيت فى قوله تعالى:قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى و من أبرز مصاديق المودة و الصـلة زيارة قبر النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قبور عترته عليهم السّلام مما يعنى بأن هذه الآية هى الآية الثانية الصـريحة فى مودة أهل البيت بعد آية القربى و المحبة لهم و الحنين إليهم لأن الحنين لهم هى من فطرة البشر و الذهاب إلى زيارة قبورهم صلوات اللّه عليهم أجمعين.

و من الشواهد على هذه الفطرة ما قام به النبى إسماعيل أنه عندما استأذن إبراهيم سارة فى أن يزور ابنه إسماعيل عليه السّلام:

فإنه قـد روى هـذه القصـة على بن إبراهيم،عن أبيه،عن ابن أبى عمير عن أبان،عن الصادق عليه السّلام و إن اختلفت بعض ألفاظه،و قال فى آخرها:(إذا جاء زوجک فقولى له جاء هاهنا شيخ،و هو يوصيک بعتبة بابک خيرا،قال فأكب إسماعيل على المقام يبكى و يقبله)(2).

1- (1) سورة البقرة،الآية:143.

2- (2) مجمع البيان للطبرسى:ج 1 باب و إذ جعلنا البيت مثابة للناس.

و کـذلک مـا رواه المجلسـی فی البحار:فعنـدما جاء إبراهیم حتی انتهی إلی باب إسـماعیل فقال لامرأته:أین صاحبک؟قالت:یتصـیّد و هو یجیء الآن إن شاء اللّه فأنزل یرحمک اللّه..إلی أن قال إبراهیم إذا جاء زوجک فأقرئیه السـلام و قولی له:قـد اسـتقامت عتبـة بابک:فلما جاء إسـماعیل وجـد ریـح أبیه فقال لامرأته:هل جاءک أحد؟قالت:نعم شـیخ أحسن الناس وجها و أطیبهم ریحا و قال لی کذا و کذا،و غسـلت رأسه، و هذا موضع قدمیه علی المقام،قال لها إسماعیل:ذلک إبراهیم علیه السّلام(1).

فنلاحظ هذه الفطرة البشریة فی الأنبیاء و الرسل«فأکبّ إسماعیل علی المقام یبکی و یقبله»یحن إلیه،عالم بمقام الأصفیاء الأولیاء، و ببصیرة الفطرة الوحیانیة،فهذا العمل من صمیم التوحید و العبادة الخالصة لوجه اللّه سبحانه و تعالی.

فهل لقائل أن یقول بأن إسـماعیل علیه السّـلام أشـرک باللّه حینما أخـذ یبکی عند مقام قدمی إبراهیم الخلیل علیه السّـلام و بأن هذا العمل ینافی التوحید باللّه عزّ و جل کما تدّعی هذه الفرقة الشاذة.

و إلی هذا المفاد یشـیر صدر دعاء الندبة حیث یبین منزلة النبی الأکرم صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم و أن أجر رسالته هی مودة أهل بیته کما هو فی القرآن الکریم:قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبی (2).

(لو لاـ أرسـلت إلینـا رسولا منـذرا و أقمت لنا علما هادیا فنتبع آیاتک من قبل أن نـذل و نخزی إلی أن انتهیت بالأمر إلی حبیبک و نجیبک محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فکان کما انتجبته سید من خلقته و صفوة من اصطفیته و أفضل من اجتبیته و أکرم من اعتمدته،قدّمته علی أنبیائک و بعثته إلی الثقلین من

1- (1) البحار الباب الخامس أحوال أولاده و أزواجه ج 12.

2- (2) سورة الشوری،الآیة:23.

عبـادک و أوطأته مشارقک و مغاربک و سـخّرت له البراق و عرجت بروحه إلی سـمائک و أودعته علم ما کان و ما یکون إلی انقضاء خلقک ثم نصـرته بالرعب و حففته بجبرائیل و میکائیل و المسوّمین من ملائکتک و وعدته أن تظهر دینه علی الدین کله و لو کره المشـرکون و ذلک بعـد أن بوأته مبوأ صدق من أهله و جعلت له و لهم أول بیت وضع للناس للذی ببکة مبارکا و هدی للعالمین فیه آیات بینات مقام إبراهیم و من دخله کـان آمنـا و قلت إنمـا یریـد اللّه لیـذهب عنکم الرجس أهل البیت و یطهرکم تطهیرا ثم جعلت أجر محمـد صـلواتک علیه و آله مودتهم فی کتابک فقلتقُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبی (1).

فهذه الکلمات الواردة تبین بأن الکعبة جعلت للنبی و ازدادت شـرفا بالنبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أهل بیته صلوات اللّه علیهم أجمعین و هذا هو مضمون الآیة:

رَبَّنا إِنِّی أَسْکَنْتُ مِنْ ذُرِّیَّتِی بِوادٍ غَیْرِ ذِی زَرْعٍ عِنْدَ بَیْتِکَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِیُقِیمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ (2).

بأن یجعل الکعبـة مرکزا للعبادة و إسـکان ذریـة إسـماعیل هناک لأجل أن یقام هـذا المعلم الـدینی و أن تکون عاصـمة دینیة تحیی بنسـل إسـماعیل و إبراهیم علیهم السّلام و أن یکون هناک اقتران بین نسل إسماعیل و إبراهیم و إحیاء مشاعر و معالم الدین و بالتالی توجه الناس إلی الکعبـة فی الحـج و الصـلاة هـو توجّه إلی اللّه سـبحانه و تعـالی من خلاـل توسـط و توجه إلی نسـل ذریـة إبراهیم و إسـماعیل علیهم السّلامفَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ .

1- (1) دعاء الندبة.

2- (2) سورة إبراهیم،الآیة:37.

النتيجة:بأن الآية مشتملة على ثلاثة فقرات

و هى الفقرة الأولى:قال تعالى:رَبَّنا إِنِّی أَسْکَنْتُ مِنْ ذُرِّیَّتِی بِوادٍ غَیْرِ ذِی زَرْعٍ عِنْدَ بَیْتِکَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِیُقِیمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ (1).

إسکان ذرية إبراهيم الخليل صلوات اللّه عليه فى واد غير ذى زرع (الوادى المقدس)عند بيته المحرام امتثال للأمر الإلهى رغم وجود هذه الشدائد التى لاقتها هاجر مع ابنها الرضيع.

كما أن هذا التكليف فى حدّ ذاته أمر شاق غير مقدور للفهم عند البشرية فكيف يأخذ نبى من أنبياء اللّه بزوجته و طفله الرضيع فى واد غير ذى زرع و يتركهم هناک؟و هذا نظير تكليف إبراهيم الخليل عليه السّلام بذبح ابنه إسماعيل عليه السّلام و الامتثال للأمر الإلهى.

الفقرة الثانية:قال تعالى:رَبَّنا لِیُقِیمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ ليقيموا الصلاة عند بيتک المحرم نظير خطاب اللّه عزّ و جل لإبراهيم و إسماعيل قال تعالى:طَهِّرا بَیْتِیَ لِلطّائِفِینَ وَ الْعاکِفِینَ وَ الرُّکَّعِ السُّجُودِ (2)يعنى إتيان لكل مظاهر العبادة و جعل الكعبة مركزا للعبادة و إشادة الدين.

الفقرة الثالثة:قال تعالى:فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ إسكان ذرية إبراهيم و إسماعيل عليهما السّلام فى بيت اللّه الحرام و تشييد الدين و جعلها مركزا للعبادة من خلال هذه الذرية الطاهرة.

فإن وراء هذين الأمرين غاية عظيمة و هى أن يتوجه الناس إلى

1- (1) سورة إبراهيم،الآية:37.

2- (2) سورة البقرة،الآية:125.

الكعبة و جعلها قبلة لهم و مركزا للعبادة فی الصلاة و الطواف و بهذا التوجه إلی الكعبة يتوجهون حينئذ إلی الذرية الطاهرةفَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِی إِلَيْهِمْ أی تدين اللّه بمودتهم و بالهوی إليهم و هذه هی غاية المركزية من استقبال الكعبة بحيث يحصل التوجه بالذرية الطاهرة إلی اللّه عزّ و جل و يتقرب إليه من هذين الأمرين و هذا ما أشار إليه الباقر عليه السّلام بأن:

(من تمام الحج هو لقاء الإمام)(1)و لا يمكن رفع اليد عنها فی كونها من آيات الحج.

كما روی الشيخ الصدوق:(قال حدثنا تميم بن بهلول عن أبيه عن إسماعيل بن مهران عن جعفر بن محمد عليه السّلام قال:إذا حج أحدكم فليختم حجه بزيارتنا لأن ذلک من تمام الحج)(2).

و كما فی صحيحة أبی عبيدة قال:سمعت أبا جعفر عليه السّلام و رأی الناس بمكة و ما يعملون-قال فقال:فعال كفعال الجاهلية،أما و اللّه ما أمروا بهذا و ما أمروا إلاّ أن يقضوا تفثهم و ليوفوا نذورهم فيمروا بنا فيخبرونا بولايتهم و يعرضوا علينا نصرتهم(3).

عن أبی جعفر عليه السّلام قال:(أتدرون أی بقاع أفضل عند اللّه منزلة؟) فلم يتكلم أحد منا و كان هو الراد علی نفسه قال ذلک مكة الحرام التی رضيها اللّه لنفسه حرما و جعل بيته فيها،ثم قال:أتدرون أی البقاع

1- (1) الكافی:ج 4 باب اتباع الحج بالزيارة/علل الشرائع ج 2:العلة التی من أجلها وجبت زيارة النبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمة بعد الحج/عيون أخبار الرضا:ج 1 باب فی ذكر ثواب زيارة الإمام.

2- (2) عيون أخبار الرضا:باب فی ذكر ثواب زيارة الإمام عليه السّلام ج 1،تفسير نور الثقلين للحويزی باب فإن حصرتم فما استيسر من الهدی ج 1.

3- (3) الكافی:باب أن الواجب علی الناس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام ج 1.

أفضل فيها عند اللّه حرمة؟فلم يتكلم أحد منا فكان هو الراد على نفسه فقال ذلک المسجد الحرام،ثم قال:أتدرون أی بقعة فی المسجد الحرام أفضل عند اللّه حرمة؟فلم يتكلم أحد منا فكان هو الراد على نفسه قال ذلک ما بين الركن الأسود و المقام و باب الكعبة و ذلک حطيم إسماعيل عليه السّلام ذلک الذی كان يذود غنيماته و يصلی فيه و اللّه و لو أن عبدا صف قدميه فی ذلک المكان قام ليلا مصليا حتی يجيئه النهار و صام حتی يجيئه الليل و لم يعرف حقنا و حرمتنا أهل البيت لم يقبل اللّه منه شيئا أبدا(1)أن آبانا إبراهيم صلوات اللّه عليه كان فيما اشترط على ربه أن قالفَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِی إِلَيْهِمْ أما أنه لم يقل الناس كلهم..إلی آخر الحديث(2).

و كما جاء فی تفسير العياشی:عن رجل ذكره،عن أبی جعفر عليه السّلام فی قول اللّه:إِنِّی أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِی بِوادٍ غَيْرِ ذِی زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ إلی قوله(لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) قال:فقال أبو جعفر عليه السّلام:(نحن هم،و نحن بقية تلک الذرية)و فی رواية أخری،عن حنان بن سدير،عنه عليه السّلام(نحن بقية تلک العترة)(3).

و كونهم ذرية إبراهيم التی أسكنت عند البيت هو بنفسه برهان مستقل على كونهم محل دعوة إبراهيم بأن يكونوا الأمة المسلمة و التی فيها الإمامة-عن الآية(37)فی سورة إبراهيم و لذلک عقد الكلينی بابا

1- (1) ثواب الأعمال للصدوق باب من جهل حق أهل البيت عليهم السّلام ص 205 و فی مصادر أخری أيضا مع اختلاف فی الألفاظ.

2- (2) تفسير العياشی:باب قوله تعالی:ربنا إنی أسكنت من ذريتی ج 2 ص 233 ح 40.

3- (3) تفسير العياشی:باب قوله تعالی:ربنا إنی أسكنت من ذريتی ج 2 ص 231 ح 35، 36.

لبیان هذا المطلب و أن الأوامر الثلاث فی الآیة الکریمة مقترنة مع بعضها البعض و لا تتجزأ و لا تنفک.

و روی عبد اللّه بن سنان عن ذریح المحاربی قال:قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام:إن اللّه أمرنی فی کتابه بأمر فأحب أن أعلمه قال:و ما ذاک؟قلت:قول اللّه عزّ و جلثُمَّ لْیَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لْیُوفُوا نُذُورَهُمْ قال:

(لْیَقْضُوا تَفَثَهُمْ) لقاء الإمام(وَ لْیُوفُوا نُذُورَهُمْ) تلک المناسک،فقال عبد اللّه بن سنان:فأتیت أبا عبد اللّه علیه السّلام فقلت:جعلنی اللّه فداک قول اللّه عزّ و جل(ثُمَّ لْیَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لْیُوفُوا نُذُورَهُمْ) قال أخذ الشارب و قص الأظفار و ما أشبه ذلک،قال:قلت:جعلت فداک فإن ذریح المحاربی حدثنی عنک أنک قلت له:«ثُمَّ لْیَقْضُوا تَفَثَهُمْ» لقاء الإمام و لیوفوا نذورهم تلک المناسک«فقال:صدق ذریح و صدقت،إن للقرآن ظاهرا و باطنا و من یحتمل ما یحتمل ذریح؟»(1).

و کیف تتحقق الصلة و نحن نعیش فی عالم الأجسام و المادة؟و هل هی بالقطیعة و قطع الصلة کما هو علیه النواصب و المعادون لأهل البیت علیهم السّلام؟

الجواب:

لا ـ تتم هذه الصلة إلا ـ بالحضور الجغرافی و الوفود إلیهم و الهوی إلیهم و الوفادة الجسمانیة مع التوجه إلی اللّه بهم فی الزیارة(فیمروا بنا فیخبرونا بولایتهم و یعرضوا علینا نصرتهم)و هذا ما أشار إلیه أئمة أهل البیت علیهم السّلام.

1- (1) بحار الأنوار ج 96:باب الخامس و الخمسون:الرجوع من منی إلی مکة للزیارة ح 20/معانی الأخبار للشیخ الصدوق:340.

ما تشير إليه الرواية معتبرة السند-على الأصح-التى يرويها الكلينى بسنده:

عن على بن إبراهيم،عن صالح بن السندى،عن جعفر بن بشير، و محمد بن يحيى،عن أحمد بن محمد بن عيسى،عن ابن فضال جميعا،عن أبى جميلة،عن خالد بن عمار،عن سدير قال:سمعت أبا جعفر عليه السّلام و هو داخل و أنا خارج و أخذ بيدى،ثم استقبل البيت فقال:يا سدير إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيعلمونا ولايتهم لنا و هو قول اللّه:وَ إِنِّى لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى (82) (1)ثم أومأ بيده إلى صدره-إلى ولايتنا.

ثم قال يا سدير فأريک الصادين عن دين اللّه،ثم نظر إلى أبى حنيفة و سفيان الثورى فى ذلک الزمان و هم حلق فى المسجد،فقال:

هؤلاء الصادون عن دين اللّه بلا هدى من اللّه و لا كتاب مبين،إن هؤلاء الأخابث لو جلسوا فى بيوتهم فجال الناس فلم يجدوا أحدا يخبرهم عن اللّه تبارک و تعالى و عن رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتى يأتونا فنخبرهم عن اللّه تبارک و تعالى و عن رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم(2).

و من الملاحظ بأن الكلينى عقد هذا البحث فى العقائد(كتاب الحجة)نظير ما فعله فى بحث الخمس و الأنفال ليبين بأن الخمس و الأنفال الذى هو من المنابع العامة أصله و تشريعه هو ولاية أهل البيت

1- (1) سورة طه،الآية:82.

2- (2) الكافى:باب أن الواجب على الناس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام ج 1.

على هذه الأموال،و الولاية هى بحث عقائدى و بذلک يتضح النکته و الغرض من جعلها فى باب الحجة.

کما أن بوابة الأنفال و الفيئ هى من الأبواب العظيمة فى الإسلام و بذلک تکون هذه الأموال تحت ولاية الإمام المعصوم عليه السّلام کما جاء فى بعض الروايات بأن الإمام هو رب التدبير فى الأرض الذى بإذنه تعالى يدير و يدبر بأمر من اللّه سبحانه و تعالى:(إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً) الذى له الولاية العظمى بأمر من اللّه عزّ و جل.

فلا بد للفقيه أن يبحث عن هذه المقدمات العقائدية لکى يؤسس على ذلک و ينطلق إلى البحث الفقهى و الأبواب الفقهية المتصلة و المرتبطة بذلک.

و فى هذا البرهان يشير الباقر عليه السّلام إلى التوحيد فى العبادة فى مقابل الوثنية فى قوله تعالى:وَ إِنِّى لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى (1).

هذه الآية القرآنية تبين بأن المغفرة من اللّه عزّ و جل تکون بالإيمان باللّه و العمل الصالح و من أبرز هذه المصاديق الحج کما ورد(بأن الحاج يخرج من ذنوبه کيوم ولدته أمه)لکن مع ذلک فإن الغفران من الذنوب بأى سبب من الأسباب مشروط بشرط آخر لا بد الإتيان به و هو (الاهتداء).

(و إنى لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحا ثم اهتدى)ثم أومأ بيده إلى صدره(إلى ولايتنا)و هذا يعنى بأن الإيمان بالوحدانية و العمل

1- (1) سورة طه،الآية:82.

الصالح لا يتم إلا بالاهتداء بأهل البيت عليهم السّلام و الاقتداء بتعاليمهم و إرشاداتهم.

كما روى الكلينى فى باب معرفة الإمام و الرد إليه:(إن اللّه تبارک و تعالى أخبر العباد بطرق الهدى و شرع لهم فيها المنار و أخبرهم كيف يسلكون،فقال:و إنى لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحا ثم اهتدى» و قال«(إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) فمن اتقى اللّه فيما أمره لقى اللّه مؤمنا بما جاء به محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،هيهات هيهات فات قوم و ماتوا قبل أن يهتدوا و ظنوا أنهم آمنوا،و أشركوا من حيث لا يعلمون.

إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى،و من أخذ فى غيرها سلک طريق الردى،وصل اللّه طاعة ولىّ أمره بطاعة رسوله،و طاعة رسوله بطاعته،فمن ترک طاعة ولاة الأمر لم يطع اللّه و لا رسوله،و هو الإقرار بما أنزل من عند اللّه عزّ و جل(1).

كما روى عن أبى جعفر محمد بن على الباقر عليه السّلام،عن أبيه،عن جده عليهم السّلام،قال:خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذات يوم و هو راكب،و خرج على عليه السّلام و هو يمشى،فقال له:يا أبا الحسن،إما أن تركب،و إما أن تنصرف،فإن اللّه عزّ و جل أمرنى أن تركب إذا ركبت،و تمشى إذا مشيت، و تجلس إذا جلست،إلاّ أن يكون حدّ من حدود اللّه لا بد لک من القيام و القعود فيه،و ما أكرمنى اللّه بكرامة إلا و قد أكرمک بمثلها،و خصّنى بالنبوة و الرسالة،و جعلک وليى فى ذلک،تقوم فى حدوده و فى صعب أموره،و الذى بعث محمدا بالحق نبيا ما آمن بى من أنكرک،و لا أقر بى من جحدک و لا آمن باللّه من كفر بک،و إن فضلک لمن فضلى،و إن فضلى لک لفضل اللّه،و هو قول ربى عزّ و جل:قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذلِکَ

1- (1) الكافى:ج 1 باب معرفة الإمام و الرد إليه.

فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ (1)ففضل اللّه نبوة نبيكم،و رحمته ولايـة على بن أبى طالب(فبـذلک)قال:بالنبوة و الولايـة(فليفرحوا)يعنى الشيعة (هُوَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ) يعنى مخاليفهم من الأهل و المال و الولد فى دار الدنيا.

و اللّه(يا على)ما خلقت إلا ليعبـد ربک،و لتعرف بک معالم الـدين،و يصـلح بک دارس السبيل،و لقد ضل من ضل عنک،و لن يهتدى إلى اللّه عزّ و جـل من لم يهتـد إليـک و إلى ولايتـک،و هو قول ربى عزّ و جـل:وَ إِنِّى لَغَفّارٌ لِمَنْ تـابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى (82) (2)يعنى إلى ولايتک.

و لقـد أمرنى ربى تبـارک و تعالى أن افترض من حقک ما افترضه من حقى،و إن حقک لمفروض على من آمن بى،و لولاک لـم يعرف حزب اللّه،و بک يعرف عدو اللّه،و من لم يلقه بولايتک لـم يلقه بشـىء،و لقد أنزل اللّه عزّ و جل إلىّ يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ يعنى فى ولايتک يا عليوَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ (3)و لو لـم أبلغ ما أمرت به من ولايتک لحبط عملى،و من لقى اللّه عزّ و جل بغير ولايتک فقـد حبط عمله،وعـد ينجز لى،و ما أقول إلا قول ربى تبارک و تعالى،و إن الـذى أقول لمن اللّه عزّ و جل أنزله فيک و صـلى اللّه على رسوله محمد و آله المعصومين(4).

فيتبين من مفاد الآية أن من أسباب المغفرة التوبة و العمل الصالح و لا تتم إلا بالاهتداء و الهداية و لا يهتدى العبد إلى اللّه عزّ و جل ما لم يهتد

1- (1) سورة يونس،الآية:58.

2- (2) سورة طه،الآية:82.

3- (3) سورة المائدة،الآية:67.

4- (4) الأمالى الشيخ الصدوق باب فضائل على عليه السّلام.

إلى ولايـة أهل البيت عليهم أفضل الصـلاة و السـلام بنص هذه الآية الكريمة:وَ إِنِّی لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدی (82) لذلک أومأ الإمام عليه السّلام بيده إلى صدره لكى يشير إلى هذا البرهان العقائدى و أن هذه الأعمال كالحج و الصلاة الذى هو من أسباب المغفرة لا نفع فيها و لا تقبل إلا(بالاهتداء)إلى ولاية أهل البيت عليهم أفضل الصـلاة و السـلام التى يتم بها التوحيد فى العبادة و أن مجرد التوبة و أصل الاعتقاد بالتوحيد و كثرة العمل الصالح لا يفى بتحقق الغفران الإلهى و القبول إلا بالاهتداء زائدا على ذلک و ليس وراء معرفة التوحيد إلا الولاية للّه تعالى و لرسوله و للأوصياء من عترته.

انظر إلى هـذا الاسـتدلال العام الـذى يطبق على عموم أسـباب المغفرة كما جاء فى روايات الفريقين أن الصـلوات الخمس و هى الفرائض اليومية مطهرة و مسـببة للمغفرة عن الذنوب كما هو فى روايات أهل البيت عليهم السّـلام خاصة:عن أبى جعفر عليه السّـلام قال:قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

«لو كان على باب دار أحدكم نهر فاغتسل فى كل يوم منه خمس مرات، أكان يبقى فى جسده من الدرن شىء؟،قلنا:لا،قال:فإن مثل الصلاة كمثل النهر الجارى،كلما صلى صلاة كفرت ما بينهما من الذنوب»(1).

فهذه الصلاة المفروضة رغم أنها عبادة و مغفرة من الذنوب مشروطة بالاهتداء بالائمة و الولاية لهم عليهم أفضل الصلاة و السلام و الجاحد لهذه الولاية لا تقبل له عبادة مدى الدهر كما قال:أبو عبد اللّه عليه السّلام:

(إن فوق كل عبادة عبادة،و حبنا أهل البيت أفضل عبادة)(2).

1- (1) وسائل الشيعة:باب وجوب صلوات الخمس ج 4 ح 4387.

2- (2) المحاسن للبرقى:كتاب الصفوة و النور و الرحمة باب الحب ج 1.

سبع المثانی فاتحة الکتاب هی أم القرآن:

و هـذا اللسان الوارد فی سورة طه بعینها أشار إلیه الأئمـة أهل البیت علیه السّـلام فی(سورة الحمـد)التی جمعت فیها القرآن و بأنها القرآن العظیم کما فی قوله تعالی:وَ لَقَدْ آتَیْناکَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِی وَ الْقُرْآنَ الْعَظِیمَ (1).

و سورة الحمد هی من المثانی التی توضح آیتها بعضـها البعض و یصدق بعضه البعض کما فی قول أمیر المؤمنین علی علیه السّلام:(ینطق بعضه ببعض و یشهد بعضه علی بعض).

کما نزلت سورة الحمـد علی النبی الأکرم مرتین لأهمیتها و أهمیة محتواها الذی ذکره أهل البیت علیه السّـلام و منه ما روی عن محمد بن مسـلم قال:«سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه عزّ و جل«وَ لَقَدْ آتَیْناکَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِی وَ الْقُرْآنَ الْعَظِیمَ» فقال فاتحة الکتاب یثنی فیهـا القـول.و قـال رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم إن اللّه تعـالی منّ علیّ بفاتحـة الکتـاب من کنز الجنـة،فیهـا «بسم اللّه الرحمن الرحیم»الآیة التی یقول اللّه تعالی فیهاوَ إِذا ذَکَرْتَ رَبَّکَ فِی الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلی أَدْبارِهِمْ نُفُوراً (2).

فإن سورة الحمد تعرضت للشهادة الأولی و الشهادة الثانیة و الشهادة الثالثة،فقوله تعالی:

اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ (2)اَلرَّحْمنِ الرَّحِیمِ (3) (3)إشارة إلی الشهادة الأولی،و هی کلمة(لا إله إلا الله)،و قوله تعالی:مالِکِ

1- (1) سورة الحجر،الآیة:87.

2- (2) سورة الإسراء،الآیة:46.

3- (3) سورة الحمد،الآیتان:2-3.

يَوْمِ الدِّينِ (1)إشارة إلى أصل المعاد،الذى هو من أصول الدين،و قوله تعالى:إِيّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيّاكَ نَسْتَعِينُ (2)إشارة إلى مقام التشريع و النبوة،لأن العبادة لا تتحقق إلا بالسير على خطى النبوة و الرسالة.

و قوله تعالى:اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَ الضّالِّينَ (7) (3)،إشارة إلى مقام الإمامة فى الأمة،فهناك مجموعة فى الأمة الإسلامية ندعو اللّه عزّ و جل فى اليوم و الليلة أن يهدينا صراطهم المستقيم كما قال تعالى:وَ مَنْ يُطِعِ اللّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولئِکَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِکَ رَفِيقاً (4)،و هذا الصراط هو المنزه عن الغضب فى العمل و عن الضلال فى العلم،أى صراط المعصومين علما و عملا، و هؤلاء الهداة الهادون إلى الصراط المستقيم وصفهم اللّه تعالى بثلاثة نعوت:

الأول:أنهم منعم عليهم بنعمة خاصة دون بقية الأمة و سائر البشر،نظير ما أنعم اللّه على النبيين.

الثانى:أنهم لا يغضب اللّه عليهم قط،و إلا لما كانت لهم صلاحية الهداية لجميع الأمة.

الثالث:أنهم لا يضلون قط،و إلا لم يكونوا هداة هادين لكل الأمة.

1- (1) سورة الحمد،الآية:4.

2- (2) سورة الحمد،الآية:5.

3- (3) سورة الحمد،الآيتان:6-7.

4- (4) سورة النساء،الآية:69.

و لم يحدثنا القرآن الكريم عن ثلة فى هذه الأمة قد خصصوا بنعمة و حظوة و حبوة إلهية خاصة دون بقية الأمة إلا أهل البيت عليهم أفضل الصلاة و السلام.

فبذلک اشتملت سورة الحمد على أصول الدين من توحيد الذات و الصفات و نعت اللّه عزّ و جل بالرحمانية و الرحيمية و الإقرار بالمعاد و النبوة و الحاجة إلى النبوة و ضرورة الهداية إلى الصراط المستقيم،كما لم تغفل السورة مبدأ البراءة عن(المغضوب عليهم)و عن(الضالّين).و هم أعداء اللّه و الرسول و الأئمة الطاهرين و هذا ما يطلبه الإنسان المسلم فى صلاته بأن يجعل له هداة و أئمة يهتدى بهم.

كما تبين بأن المسلم المؤمن القارئ لسورة الحمد إلى ها هنا أسلم لكنه لم يهتد بعد«الهداية التامة»مع إقراره(بالشهادتين)و المعاد و مع ذلک تخاطب السورة المسلم المصلى فى يومياته بأن يدعوا اللّه أن يهتدى إلى الصراط المستقيم،و هذا يعنى بأن الإقرار بالشهادتين و المعاد لم تتم بها الهداية من دون ضم الشهادة الثالثة إلى الشهادة الثانية و الأولى،لا كما تتقنع هذه الشرذمة بشعار التوحيد و تدعوا إلى الوثنية الجاهلية بحيث لا تطعم فى أدبياتها مقتضيات الشهادة الثانية و تداعيات الشهادة الثانية و مؤديات الشهادة الثانية و جعلها فى حساباتهم و أدبياتهم، فلا بد من ضم الشهادة الثالثة إلى الشهادتين لأن الاهتداء إلى الصراط المستقيم شرط للوصول إلى الجنة و لا تتم النجاة من النار إلا به لكى نصل إلى المطلوب فإن الإمامة شرط فى الهداية و لا تقبل العبادة إلا به و النبوة إنما هى إراءة الطريق و كشف و تشريع و تمهيد للإمامة و هذا بأمر ملكوتى من اللّه عزّ و جل و النبى نبى و إمام أيضا بل هو إمام الأئمة.

كما جاءت لفظة(اهتدى)بتعابير و عناوين متعددة و وجوه متعددة

لحقیقـة واحـدة فی القرآن الکریم أی اجعل لنا هـداة نقتـدی بهم و هادیا و مهتـدیا یعنی إمام و إمامة و هذه اللفظة جاءت فی سورة الحمد بلفظة الهدایةاِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِیمَ (6) أی اجعل لنا هادیا و مهتـدیا نقتـدی به و نسـیر علی ولایته،و أن الشـهادة الأولی و الثانیـة لا تتم الهدایة بهما إلا بضم الشهادة الثالثة و هی فی کبد الصلاة لا فی الأذان و الإقامة فحسب، بحیث تقر بها بلسانک فی الصلاة فی سورة الحمد و قـد أفتی جملـة من الفقهاء باسـتحباب دعاء التوجه کالصدوق فی الفقیه و المفید فی المقنعة و الطوسـی فی النهایة و المبسوط و هذا بعد تکبیرة الإحرام لکی تکون علی ملـة إبراهیم الـذی هو علی دین محمـد صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم و تخرج من الإشـراک باللّه من خلال منهاج علی و هدی علی بحیث تتوجه إلی اللّه بعد التکبیرة و تقول:

(وجهت وجهی للذی فطر السماوات و الأرض،عالم الغیب و الشهادة، الرحمن الرحیم علی ملة إبراهیم،و دین محمد صلّی اللّه علیه و آله و سـلّم،و ولایة أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام حنیفا مسلما،و ما أنا من المشرکین، إن صلاتی و نسکی و محیای و مماتی للّه رب العالمین(1).

النتیجة:

بأن الشـهادة الأولی لا تتم إلا بشـروطها کما قال الإمام الرضا علیه السّلام و بأن الشهادة الثالثة هی أحد أرکان الشهادة الأولی و شروطها و بها یهتـدی العبـد المسـلم کما فی سورة طه قال تعالی:وَ إِنِّی لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدی (2)و هذه الهدایة التی تشیر إلیها سورة الحمـد هی الهدایـة التی ترشدنا إلی الصـراط المسـتقیم،صـراط الذین أنعم اللّه علیهم بالطهارة و بنعمة خاصة دون بقیة البشـر المنزّهین عن الرجس و المعصومین

1- (1) المقنع للصدوق:الرکوع و ذکره ص 93.

2- (2) سورة طه،الآیة:82.

فی القول و العمل و أن من تمام الأعمال و العبادات هو التوجه و التولی إلی هدایة أهل البیت علیهم أفضل الصلاة و الصلاة و المودة لهم.

و هـذا هو المراد من قول الباقر علیه السّلام لسـدیر و هو مسـتقبل البیت:(یا سدیر إنما أمر الناس أن یأتوا هذه الأحجار فیطوفوا بها ثم یأتونا فیعلمونـا ولایتهم لنـا و هو قول اللّه:وَ إِنِّی لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدی (82) -ثم أومأ بیـده إلی صدره-إلی ولایتنا.ثم قـال:یـا سـدیر فأریـک الصادین عن دین اللّه،ثم نظر إلی أبی حنیفـة و سـفیان الثوری فی ذلک الزمان و هم حلق فی المسـجد،فقال:هؤلاء الصادون عن دین اللّه بلا هـدی من اللّه و لا کتاب مبین،إن هؤلاء الأخابث لو جلسوا فی بیوتهم فجال الناس فلم یجـدوا أحدا یخبرهم عن اللّه تبارک و تعالی و عن رسوله صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم حتی یأتونا فنخبرهم عن اللّه تبارک و تعالی و عن رسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم(1).

فالبرهـان الخامس الـذی یشـیر إلیه الإمام الباقر مفاده:بأن معنی التوحیـد فی العبادة فی مقابل الوثنیـة هو الإقرار و التولی بولایتهم و بالتالی تکون الزیـارة مصـداق بیـان التولی بولایتهم علیهم السّلام زیارتهم و الهوی إلیهم و لقائهم فی حالـة معرفـة لقائهم،فزیارة قبورهم علیهم السّلام هو نوع من تجدید العهد بهم و توثیق العهد و إظهار المحبة إلیهم.

فزیارة قبورهم و الولایة لهم هی من تمام العبادات و هی من شـرائط الحج و اسـتقبال الکعبة و أن مشاهد قبر النبی و قبور عترته هو رکن من معالم الـدین و قبول الأعمال و العبادات و من یحارب هـذا الرکن یریـد إرجاع الناس إلی عبادات قریش الوثنیـة و عزل الأوامر الإلهیـة عن بعضها البعض و ممارسة طقوس و عبادات الجاهلیة.

1- (1) أصول الکافی:ج 1 ص باب الواجب علی الناس بعد ما یقضون مناسکهم.

البرهان السادس

قال تعالى:وَ إِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِيمَ مَكانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَ طَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطّائِفِينَ وَ الْقائِمِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ(26)وَ أَذِّنْ فِي النّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَ عَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) (1).

فهذه الآية المباركة تبين الغاية من الحج و غاية مجموع العبادات و أن إبراهيم عليه السّلام هو المتكلم الأول و الناطق الرسمى عن اللّه عزّ و جل فى الندبة إلى الحج،فهو يأمر الناس بحج بيت اللّه الحرام(و أذّن)يعنى أعلن أذان الإعلام و أمر الناس بالحج كما نصت على ذلك روايات الفريقين.

ثم إن التعبير الآخر فى الآية المباركة بعد الأذان فى الناس بالحج (يأتوك رجالا)فالمجىء ليس إلى البيت و لا إلى اللّه عزّ و جل مباشرة و إلا عبر البارى تعالى ب(يأتونى)بل المجىء أولا إلى إبراهيم عليه السّلام.

فالإتيان إلى الحج تلبية و إجابة للنداء الإلهى إنما يتم بالوفادة على ولى اللّه،و يكون الحج الذى هو قصد إلى اللّه تعالى بواسطة الإتيان إلى إبراهيم عليه السّلام،الذى هو وجيه عند اللّه تعالى،يتوجه إليه و يقصد لإقامة الصلاة و الطواف و سائر مناسك الحج العبادية،فلا بد من الوفود على إبراهيم عليه السّلام و محبته و هوى الأفئدة إليه.

و هذه الآية المباركة تتوافق فى المضمون مع ما تقدم من قوله تعالى:

رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ (2)،فإبراهيم عليه السّلام

1- (1) سورة الحج،الآيتان:26-27.

2- (2) سورة إبراهيم،الآية:37.

و ذريته أسكنهم اللّه عزّ و جل البيت الحرام و بوأهم فيه لإقامة الصلاة و تشييد الدين و تطهير البيت للطائفين و القائمين و الركع السجود،و الإيذان فى الناس بالحج،و لكن لا قيمة للحج و لا مقبولية عند اللّه عزّ و جل إلا بالمجىء إلى إبراهيم عليه السّلام و ذريته من ولد إسماعيل عليه السّلام،و هوى القلوب و الأفئدة إليهم و محبتهم و مودتهم و توليهم و إبراز الطاعة لهم و جعلهم واسطة فى القصد إلى اللّه تعالى.

فبوئ اللّه عزّ و جل لإبراهيم البيت،و إسكان إبراهيم ذريته فيه من أجل الوفود عليهم و مودتهم،هو الذى جعل من البيت الحرام مكانا و مقصدا لإقامة العبادة فيه،و الأحجار بما هى أحجار لولا ذلک تكون وثنا يعبد من دون اللّه عزّ و جل،كما كان الحج فى الجاهلية.

و لذا ورد أن من المستحبات عند الدخول إلى البيت الحرام إلقاء التحية و السلام على سيد الأنبياء محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثم السلام على النبى إبراهيم عليه السّلام فكأن الحاج وافد عليهما و زائرلهما(1).

فعن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:(و قل و أنت على باب المسجد:السلام عليک أيها النبى و رحمة اللّه و بركاته،بسم اللّه و باللّه و من اللّه و ما شاء اللّه، و السلام على أنبياء اللّه و رسله،و السلام على رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-،و السلام على إبراهيم-عليه السّلام-و الحمد للّه رب العالمين)(2).

فالمجىء إلى النبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثم إلى إبراهيم عليه السّلام مجىء و إتيان و قصد إلى اللّه عزّ و جلّ،و كذا أهل البيت عليهم السّلام؛لأنهم الذرية و الأمة المسلمة الذين دعا إبراهيم و النبى الأكرم إلى مودتهم و محبتهم.

1- (1) الوسيلة لابن حمزة:ص 172.

2- (2) المقنع للصدوق:آداب دخول مسجد الحرام:255.

و الوفادة إلى أهل البيت التى تتحقق بالمجيئ و زيارتهم هو وفادة إلى اللّه عزّ و جل كما روى فى تهذيب الأحكام عندما سأل زيد الشحام الإمام الصادق عليه السّلام:(ما لمن زار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟قال:كمن زار اللّه فوق عرشه)(1).

و هذه الخصوصية كذلک فى أهل بيته صلوات اللّه عليهم أجمعين كما هو فى كامل الزيارات:

عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:(من زار قبر الحسين بن علىّ عليهما السّلام يوم عاشوراء عارفا بحقه كان كمن زار اللّه فى عرشه)(2).

و هذه الأماكن تقصد لإقامة العبادة و تقام فيها الشعائر و إلا الأحجار بما هى أحجار و الطواف حولها من دون ولى اللّه و الأصفياء المصطفون هى عبادة خاوية وثنية فى منطق القرآن لا كما تدعى هذه الشرذمة،إذن الأنبياء و الأوصياء هم أبواب اللّه التى يتجه إليه بها،و لولا ذلک لا يكون الحج حجا إبراهيميا بل حج الجاهلية.

مقام إبراهيم عليه السّلام:

قال تعالى:وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثابَةً لِلنّاسِ وَ أَمْناً وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ

1- (1) و فى التهذيب:(قال الشيخ ره-معنى قول الصادق عليه السّلام:من زار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان كمن زار اللّه فوق عرشه،هو أن لزائره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من المثوبة و الأجر العظيم و التبجيل فى يوم القيامة،كمن رفعه اللّه إلى سمائه،و أدناه من عرشه الذى تحمله الملائكة،و أراه من خاصة ملائكته ما يكون به توكيد كرامته،و ليس على ما تظنه العامة من مقتضى التشبيه ج 6/ص 4.
2- (2) كامل الزيارات باب 71 ثواب من زار الحسين عليه السّلام يوم عاشوراء/مستدرک الوسائل ج 10 باب تأكد استحباب زيارة الحسين عليه السّلام ص 291.

مُصَلّی وَ عَهِدْنا إِلی إِبْراهِیمَ وَ إِسْماعِیلَ أَنْ طَهِّرا بَیْتِیَ لِلطّائِفِینَ وَ الْعاکِفِینَ وَ الرُّکَّعِ السُّجُودِ (1).

و التعبیر ب(مقام)فی الآیة الکریمة للدلالة علی التفخیم و التعظیم لذلک المکان و هو حجر من الأحجار کما فی قوله تعالی:وَ أَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ (2)و قوله تعالی:عَسی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً (3)،و لیس ذلک إلا لکونه لامس بدن إبراهیم علیه السّلام،حیث کان یقف علیه عند بنائه للبیت الشریف فتقدّس بذلک و أصبح ذا حرمة یتولد منها وجوب اتخاذه مصلی،فهذا الحجر عظّمه اللّه تعالی و فخّمه و سمّاه مقاما،و أمرنا أن نتخذه مصلی،أی نتخذه قبلة بالاتجاه إلیه و إلی الکعبة أثناء صلاة الطواف و غیرها فی شعیرة الحج و العمرة،التی هی القصد و التوجه إلی اللّه عزّ و جل،فالحاج عندما یرید أن یقصد و یتوجه إلی ربه بعمرة أو حج فی الطواف و فی بیت التوحید و معقله،لا بد له من التوجه بالحجج و الوسائط و الآیات إلی اللّه تعالی،و هو مقام إبراهیم و الکعبة المشرفة.

و إذا کان الحجر بملامسته بدن إبراهیم علیه السّلام اکتسب هذه المکانة، فکیف بک بنفس النبی إبراهیم؟ألا یتوجه به إلی اللّه عزّ و جل بالأولویة، فیقال:یا وجیها عند اللّه اشفع لنا عند اللّه؟

فالمثابة إلی بیت اللّه الحرام من دون اتخاذ مقام إبراهیم مصلی یکون عملا وثنیا و شرکا کعمل المشرکین و مناسکهم فلا بد من ضم رمزا آخر بالإضافة إلی رمزیة الکعبة،و هو التوجه بالحجج و الوسائط و الآیات إلی اللّه عزّ و جل.

1- (1) سورة البقرة،الآیة:125.

2- (2) سورة النازعات،الآیة:40.

3- (3) سورة الإسراء،الآیة:79.

بيان آخر للآية الكريمة:

ثبت فى علم الأـصول أن الحكم معلول لموضوع نفسه و لاـ يمكن أن يكون علـة له،ففرض الموضوع سـابق و متقـدم على فرض الحكم، و الحكم فى قوله تعـالى:وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى (1)هو وجوب اتخـاذ المقام مصـلى،و الموضوع هو مقام إبراهيم عليه السّلام،و متعلق الحكم هو استقبال مقام إبراهيم عليه السّلام فى الصلاة.

و حيث إن الموضوع سابق على الحكم سبق العلة على معلولها، فلا بد من فرض المفروغية عن جعل سابق لتحقق الموضوع فى نفسه، و هو كون مقام إبراهيم عليه السّلام محل للقربات و التعبد و البركة و القداسة، و حينئذ و بعد الفراغ عن ذلک يأتى المحمول،و هو وجوب اتخاذه مصلى باستقباله فى الصلاة إلى جهة الكعبة.

فالحكم دال على أن للموضوع أسـبقية فى القداسـة و كونه معلما من معالم الـدين،و من ذلک يتضـح أن البيت الحرام إنما يجب أن يقصـد بشـرط،و هو أن تقرن العبادة التوحيدية للحج بولى اللّه إبراهيم عليه السّلام و أن المقامات المقدسة و المشاعر المشرفة إنما تقصد للوصول إلى آثار الأنبياء و مقاماتهم؛لكونها مواطن شعرها اللّه عزّ و جل و جعلها أسبابا و وسائط لنيل القربى و الزلفى إليه تعالى.

و إذا كانت صـخرة لامست قدمى إبراهيم عليه السّلام لها تلک القداسة و العظمة و البركة،فكيف بمشاهد النبى الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و أهل بيته عليهم السّلام الذين هم أفضل و أعظم من إبراهيم و جميع الأنبياء عليهم السّلام،حيث نص القرآن على كون على عليه السّلام بمنزلة نفس النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و هذا مقام لم يحظ به أحد

1- (1) سورة البقرة،الآية:125.

من الأنبياء و المرسلين،و كذلک قرنهم اللّه تعالى بنبيه فى مواطن عديدة، و اختصهم دون بقية الأنبياء و المرسلين.

إذن هذه الآية المباركة تفيد عموم التبرک بمواضع الأنبياء و الأولياء و أنه من صميم التوحيد و أنّ نبذه من صميم الوثنية و الجاهلية.

و ليس ذلک إلاـ لكونها من شعائر اللّه،فيجب تعظيمها تعظيما للّه تعالى،فهذه الآية الكريمة دالة بالنص على تشعير مواطن الأنبياء و المصطفين للقربى و العبادة.

ثم إنه لا يخفى ما فى التعبير ب(المقام)فى الآية المباركة من الدلالة على ما تقدم؛لأن التعبير ب(مقام)له دلالة شرعية أديانية بكون ذلک المكان محلا يتبرک به.

و هكذا إضافة المقام إلى إبراهيم مشعر بالعلية،فليس ذلک الحكم حكما لكل حجر،بل الحجر المنتسب إلى إبراهيم عليه السّلام.

بل قد حكى القرطبى فى تفسيره عن ابن عباس و مجاهد و عكرمة و عطاء أن مقام إبراهيم الحج كله،و عن عطاء أنه عرفة و مزدلفة و الجمار و قال الشعبى النخعى:الحرم كله مقام إبراهيم،و قاله مجاهد(1).

فعلى هذه الأقوال فى تفسير مقام إبراهيم يتضح جليا أن الحج و الحرم كله قد ملأ ببصمات و إضافات منتسبة إلى النبى إبراهيم عليه السّلام و أنه لأجل ذلک استأهلت تلک الأماكن أن تكون مواطن لعبادة اللّه،و أن الحج جعل عبادة توحيدية عظيمة بوسيلة التوجه بالأنبياء إلى اللّه تعالى فى الأعمال و النسک التى يؤتى بها،حيث أضيفت إليهم عليهم السّلام،فلا

1- (1) تفسير القرطبى:تفسير قوله و إذ جعلنا البيت مثابة للناس ج 2 ص 113.

يستطيع المسلم أن يتجنب أو يستبعد آيات اللّه و حججه فی إبراز معالم التوحيد.

التبرک بمواضع الأنبياء:

و بذلک نستفيد من هذه القاعدة الأديانية الشريفة التی نحن فيها قاعدة أخری ذات الصلة بالبحث و هی قاعدة التبرک بمواضع الأنبياء التی لها أدلتها الخاصة بها.

و نستعرض فی هذا البحث عدة نماذج تتعلق بمواضع الأنبياء،و أن هذه المواضع تبرکت و تقدست ببرکة ملامستها لمواضع أبدانهم الشريفة و أنهم الوسيلة لقضاء الحوائج عند البارئ تعالی.

النموذج الأول:قال تعالی:وَ جَعَلَنِی مُبارَکاً أَيْنَ ما کُنْتُ وَ أَوْصانِی بِالصَّلاةِ وَ الزَّکاةِ ما دُمْتُ حَيًّا (1)و هذا يعنی أن عيسی عليه السّلام جعله اللّه عزّ و جل مصدر البرکة و التبرک أين ما حل؛و لذا کان ببرکته يبرئ الأکمه و الأبرص و يحيی الموتی بإذن اللّه تعالی،فهو وجيه و واسطة فی قضاء الحوائج فی کل مکان حل فيه،فما بالک بخاتم الأنبياء عليه السّلام و أهل بيته الأطهار و من يصلی عيسی خلفه عند نزوله و يکون وزيرا له؟

النموذج الثانی:تعظيم الصحابة للنبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم:

عندما رجع عروة بن مسعود إلی قريش من عند النبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم فی صلح الحديبية و قد رأی ما يصنع به أصحابه قال الزهری:

(إنّ عروة جعل يرمق أصحاب النّبیّ صلّی اللّه عليه و آله و سلّم بعينيه.قال فواللّه ما تنخّم رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم نخامة إلاّ وقعت فی کفّ رجل منهم فدلک بها وجهه

1- (1) سورة مريم،الآية:31.

و جلـده،و إذا أمرهم ابتـدروا أمره،و إذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه، و إذ تكلّم خفضوا أصواتهم عنـده،و ما يحدّون إليه النّظر تعظيما له، فرجـع عروة إلى أصـحابه،فقـال أى قـوم،و اللّه لقـد وفـدت على الملـوک، و وفـدت على قيصـر و كسـرى و النّجاشـىّ و اللّه إن رأيت ملكا قطّ،يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم محمّدا،و اللّه إن تنخّم نخامة إلاّ وقعت فى كفّ رجل منهم،فدلک بها وجهه و جلده،و إذا أمرهم ابتدروا أمره و إذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه)(1).

كما ذكر فى سـيرة لابن هشام بأنه رأى ما يصـنع الصحابة بالرسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه،و لا يبصق بصاقا إلا ابتدروه،و لا يسقط من شعره شىء إلا أخذوه(2).

و هذا فى كتب الصـحاح بأن الصحابة كانوا يأخذون من الماء الذى توضأ به النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يتبركون حتى بنخامته و هذا هو إقرار بأن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو أعظم المخلوقات يتبرک به و جعله وسيلة لقضاء الحوائج و وسطة إلى اللّه عزّ و جل.

فالآية السابقة فى سورة مريم تتناغم مع سورة البقرة فى قوله تعالى وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى (3).

النموذج الثالث:السامرى و العجل

قصة السامرى صاحب العجل،التى وردت فى قوله تعالى فى بنى

1- (1) صحيح البخارى:باب الشروط فى الجهاد و المصالحة مع أهل الحرب ج 3 ص 180.

2- (2) السيرة لابن هشام ص 502 أمر الحديبية.

3- (3) سورة البقرة،الآية:125.

إسرائيل عندما ذهب موسى عليه السّلام إلى ربه:قالُوا ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَکَ بِمَلْکِنا وَ لکِنّا حُمِّلْنا أَوْزاراً مِنْ زِینَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْناها فَکَذلِکَ أَلْقَی السّامِرِیُّ (87)فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقالُوا هذا إِلهُکُمْ وَ إِلهُ مُوسی فَنَسِیَ (88) (1)إلی أن قال اللّه عزّ و جل حکایة عن لسان موسی علیه السّلامقالَ فَما خَطْبُکَ یا سامِرِیُّ (95) قالَ بَصُرْتُ بِما لَمْ یَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها وَ کَذلِکَ سَوَّلَتْ لِی نَفْسِی (96) (2).

و الرسول فی الآیة الکریمة کما فی بعض الروایات هو جبرائیل علیه السّلام،عندما هبط و تمثل علی حصان لیستنقذ موسی علیه السّلام و بنی إسرائیل من فرعون و جنوده و یرشدهم إلی الطریق،من أجل العبور من مصر إلی الطرف الآخر،فکان علی حصان نوری تمثلی،و کان السامری من خواص النبی موسی علیه السّلام،فلاحظ أن حافر حصان جبرائیل علیه السّلام عندما کان یخطو الحصان ینبت الزرع دفعة واحدة من تحته،فقبض قبضة من أثر حصان الرسول فنبذها فی العجل فإذا هو له خوار.

و قد وردت هذه القصة فی روایات الفریقین:

ففی تفسیر القمی عن أبی جعفر علیه السّلام قال:(و کان السامری علی مقدمة موسی یوم أغرق اللّه فرعون و أصحابه،فنظر إلی جبرائیل و کان علی حیوان فی صورة رمکة(3)فکانت کلما وضعت حافرها علی موضع من الأرض تحرک ذلک الموضع،فنظر إلیه السامری و کان من خیار أصحاب موسی فأخذ التراب من تحت حافر رمکة جبرائیل و کان یتحرک،فصّره فی صّره،و کان عنده یفتخر به علی بنی إسرائیل،فلما

1- (1) سورة طه،الآیتان:87-88.

2- (2) سورة طه،الآیتان:95-96.

3- (3) الرمکة:الأنثی من الخیل.

جاءهم إبليس و اتخـذوا العجل قال للسامری هات التراب الذی معک، فجاء به السامری فألقاه إبليس فی جوف العجل،فلما وقع التراب فی جوفه تحرک و خار)(1).

و فی جامع الطبری قال:(و قوله:فقبضت قبضـة من أثر الرسول، يقول:قبضت قبضة من أثر حافر فرس جبرائيل)ثم أخرج عن ابن عباس قوله: (لما قذفت بنو إسـرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون فی النار، و تكسرت،و رأی السامری أثر فرس جبرائيل عليه السّلام،فأخذ ترابا من أثر حافره،ثم أقبل إلی النار فقـذفه فيها،و قال:كن عجلا جسـدا له خوار، فكان للبلاء و الفتنـة)و فی حـديث آخر عنه أيضا:(فألقی القبضـة علی حليهم فصار عجلا جسدا له خوار،فقال:هذا إلهكم و إله موسی).

و أخرج أيضـا عن مجاهـد فی قول اللّه تعالی:فَقَبَضْتُ قَبْضَـةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَـذْتُها قال:من تحت حافر فرس جبرائيل،نبـذه السامری علی حلية بنی إسرائيل،فانسبک عجلا جسدا له خوار(2).

فإذا كان أثر التراب الـذی لا مس حافر فرس جبرائيل عليه السّـلام له ذلک التأثير مع أن السامری اسـتخدمه فی طريق الضـلالة و الغواية فما بالـک بمن هو أشـرف من جبرائيـل عليه السّـلام؟»ألا ـ تكون المواضع التی وقف فيهـا الرسول الأكرم صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم و قبره و المواطن التی لا مست بدنه الشريف ذات بركة و تأثير خارق لما هو المعتاد،لا سيما إذا كان فی طريق الهداية و الانصياع للأوامر الإلهية؟».

1- (1) تفسير القمی:سجود بنی إسرائيل للعجل ج 2 ص 62.

2- (2) جامع البيان للطبری:تأويل قوله تعالی:قال بصرت بما لم يبصروا به ج 16 ص 254-255.

بيان آخر بأن أهل البيت و الأنبياء و الأوصياء هم معدن الطهارة

اشارة

و البركة و القداسة:

1-آية التطهير

قال اللّه تعالى:إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (1)فى هذه الآية القرآنية أراد اللّه أن يبين للعباد بأن أهل البيت هم معدن الطهارة و القداسة و هذه الإرادة هى إرادة تكوينية لا تشريعية فلذلک عبر البارى تعالى ب(يريد اللّه)و خاصة بوجود كلمة(إنما) الدالة على الحصر و التأكيد لا على العموم التشريعى لكل الناس،و هذه الإرادة نوع من الإمداد الإلهى الذى به اكتسب أهل البيت عليهم السّلام القداسة و البركة حيث طهرهم اللّه من الرجس الظاهرى و الباطنى بدلالة(ألف لام الجنس)الذى يشمل جميع المعاصى و الذنوب و كذلک القذارة الظاهرية كالخمر و القمار و النجاسة،و هذه القداسة و الطهارة هى هبة من عند اللّه البارى تعالى شأنه لما وجد أهليتهم لذلک و علم بمستقبل طاعتهم، و لذلک فهى من الجزاء المتقدم على العمل اللاحق،و بذلک تكون مواضعهم الشريفة مقدسة و مباركة،و أن أهل البيت هم الحجج و الوسيلة التى يتقرب بها إلى اللّه سبحانه و تعالى.

2-مريم بنت عمران عليها السّلام

قال اللّه تعاليوَ إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ (2)ففى كلمات جملة من المفسرين بأن اللّه اصطفى مريم بنت عمران مرتين:

1- (1) سورة الأحزاب،الآية:33.

2- (2) سورة آل عمران،الآية:42.

الأولى:بمعنى الاختيار و الثانية:حملت من غير فحل(1)،و طهرها من الدنس و الرذيلة،جوابا على التهمة التى نسبت إليها من علماء بنى إسرائيل و أنها طاهرة مطهرة طيبة قدسية،و هذا عين مفاد الآية السابقة من سورة الأحزابإِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً(33) و التقديس هنا بمعنى مباركتهم و طهارتهم(2)و هذه المنزلة العظيمة لا ينالها إلا الأنبياء و الأوصياء بإرادة اللّه سبحانه و تعالى.

3-يوسف عليه السّلام

قال تعالى:اِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هذا فَأَلْقُوهُ عَلى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَ أْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (93)وَ لَمّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لا أَنْ تُفَنِّدُونِ (94)قالُوا تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ (95) فَلَمّا أَنْ جاءَ الْبَشِيرُ أَلْقاهُ عَلى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (96) (3)هذه الآية تشير إلى قصة يوسف عليه السّلام و ما له من منزلة عظيمة عند اللّه سبحانه و تعالى،حيث أمر إخوته أن يلقوا قميصه على وجه أبيه ليرتد بصيرا ببركة ذلك القميص،و ذلك فى قوله تعالى:اِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هذا فَأَلْقُوهُ عَلى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً فالمشافى فى هذه الآيات المباركة نبيّ كبير من الأنبياء،و هو يعقوب عليه السّلام، و الشفاء حصل بتوسط قميص لامس بدن يوسف عليه السّلام،و هو نوع من التوسيط و التبرك فى إفاضة الشفاء من اللّه عزّ و جل،فإن الشفاء حقيقة من اللّه تعالى و الفيض كله منه تعالى؛لأنه الخالق الحقيقى لكل الممكنات بما

1- (1) تفسير نور الثقلين:تفسير قوله إذ قالت الملائكة يا مريم إن اللّه اصطفاك و طهرك ج 1 ص 336.

2- (2) بحار الأنوار ج 63 ص 259.

3- (3) سورة يوسف،الآيات:93-96.

فیها الشفاء و الاستشفاء،کما فی قول إبراهیم علیه السّلام:وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ یَشْفِینِ (1)ثم إنه لیس فی المورد و هو القمیص خصوصیة،بل ذلک شامل لکل ما له نسبة و إضافة إلی نبی من الأنبیاء أو وصی من الأوصیاء بما یوجب حصول البرکة فیه،و ذلک لأن الفعل یحمل فی طیاته الطبیعیة العامة و السنة الإلهیة الشاملة،و لذا قال اللّه عزّ و جل فی نفس سورة یوسف:

*لَقَدْ کانَ فِی یُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آیاتٌ لِلسّائِلِینَ (2)،و قال تعالی أیضا فی السورة ذاتها:لَقَدْ کانَ فِی قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِی الْأَلْبابِ ما کانَ حَدِیثاً یُفْتَری (3).

إذن إذا کان نبی من الأنبیاء یتبرک و یتوسل بجاه نبی آخر من الأنبیاء،و هو ابنه یوسف علیه السّلام،و ذلک ببرکة قمیصه بجعله واسطة فیض فی الشفاء،فکیف ببدن یوسف علیه السّلام،فبهذا تکون آثارهم مقدسة بشهادة القرآن الکریم فکیف ببدن و آثار خاتم الأنبیاء و الرسل.

و قال تعالی:وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِها لَوْ لا أَنْ رَأی بُرْهانَ رَبِّهِ کَذلِکَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِینَ (4)و کذلک هذه الآیة التی تؤکد طهارة الأوصیاء و الأنبیاء من الدنس و المعاصی، فذکر اللّه تعالی شأنه فی الآیة الکریمة بأن یوسف علیه السّلام منَالْمُخْلَصِینَ (24) فصرف السوء و الفحشاء عنه،کما ذکر الباری تعالی بقوله لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشاءَ ،أی نمنع عنه السوء و الفحشاء،و لم یقل نصرفه عن السوء و الفحشاء،أی نبعد السوء عن أن یقترب إلیه،و لیس إبعاد یوسف عن أن یقترب إلی السوء و الفحشاء؛إذ لم یکن من قبل

1- (1) سورة الشعراء،الآیة:80.

2- (2) سورة یوسف،الآیة:7.

3- (3) سورة یوسف،الآیة:111.

4- (4) سورة یوسف،الآیة:24.

النبی یوسف إقبال علی الفحشاء و السوء کی یبعد عنه،بل الفحشاء فی فعل زلیخا حیث أرادت أن تقبل علی یوسف فصرفت عنه،و هذا فی قوله تعالی:وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِها لَوْ لا أَنْ رَأی بُرْهانَ رَبِّهِ علی أن یوسف علیه السّلام لم یهم بها،بل هی همت به کما هو فی جواب الرضا علیه السّلام علی سؤال المأمون عن عصمة الأنبیاء،فقال الرضا علیه السّلام:لقد همت به و لولا أن رأی برهان ربه لهم بها کما همت لکنه کان معصوما و المعصوم لا یهم بذنب و لا یأتیه،و لقد حدثنی أبی عن أبیه الصادق علیه السّلام أنه قال:

همت بأن تفعل و هم بأن لا یفعل فقال المأمون:للّه درک یا أبا الحسن(1)فکان یوسف علیه السّلام طاهر مطهر من الأرجاس لا یدنسه شیء لا کما یدعی البعض بأنه هم بها و کاد أن یرتکب الفاحشة و العیاذ باللّه.

البقعة المبارکة:

قال تعالی:وَ هَلْ أَتاکَ حَدِیثُ مُوسی (9)إِذْ رَأی ناراً فَقالَ لِأَهْلِهِ امْکُثُوا إِنِّی آنَسْتُ ناراً لَعَلِّی آتِیکُمْ مِنْها بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَی النّارِ هُدیً (10)فَلَمّا أَتاها نُودِیَ یا مُوسی (11)إِنِّی أَنَا رَبُّکَ فَاخْلَعْ نَعْلَیْکَ إِنَّکَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوی (12) (2).

و قال تعالی:هَلْ أَتاکَ حَدِیثُ مُوسی (15)إِذْ ناداهُ رَبُّهُ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوی (16) (3)و کذا قال تعالی:وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ مُوسی إِنَّهُ کانَ مُخْلَصاً وَ کانَ رَسُولاً نَبِیًّا(51)وَ نادَیْناهُ مِنْ جانِبِ الطُّورِ الْأَیْمَنِ وَ قَرَّبْناهُ نَجِیًّا(52) (4).

و قوله عزّ و جل:*فَلَمّا قَضی مُوسَی الْأَجَلَ وَ سارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جانِبِ

1- (1) عیون أخبار الرضا:فی تفسیر قوله و لقد همت به ج 2 ص 179.

2- (2) سورة طه،الآیات:9-12.

3- (3) سورة النازعات،الآیتان:15-16.

4- (4) سورة مریم،الآیتان:51-52.

اَلطُّورِ ناراً قالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّی آنَسْتُ ناراً لَعَلِّی آتِیکُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النّارِ لَعَلَّکُمْ تَصْطَلُونَ (29)فَلَمّا أَتاها نُودِیَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَیْمَنِ فِی الْبُقْعَةِ الْمُبارَکَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ یا مُوسی إِنِّی أَنَا اللّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ (30) (1).

قال القرطبی فی تفسیره قوله تعالی:إِنَّکَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُویً (12) المقدّس:المطهر،و القدس:الطهارة،و الأرض المقدسة أی المطهرة،إلی أن قال:و قد جعل اللّه تعالی لبعض الأماکن زیادة فضل علی بعض،کما قد جعل لبعض الأزمان زیادة فضل علی بعض(2).

و قال صاحب المیزان فی تفسیره للوادی المقدس:(بأن أصل الوادی الموضع الذی یسیل منه الماء و منه سمی المنفرج بین الجبلین وادیا و جمعه أودیة).

و بأن المراد من الأیمن مقابل الأیسر و هو صفة الشاطئ و البقعة المبارکة قطعة خاصة من الشاطئ الأیمن فی الوادی کانت فیه الشجرة التی نودی منها(3).

کما قال تعالی:وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ مُوسی إِنَّهُ کانَ مُخْلَصاً وَ کانَ رَسُولاً نَبِیًّا(51)وَ نادَیْناهُ مِنْ جانِبِ الطُّورِ الْأَیْمَنِ وَ قَرَّبْناهُ نَجِیًّا(52) (4).

و المقصود بالطور کما جاء من طرق أهل السنة بأنه الجبل الذی کلّم اللّه عزّ و جل فیه موسی علیه السّلام(5)،و لا تنافی فی ذلک إذ لا یأبی الانطباق

1- (1) سورة القصص،الآیتان:29-30.

2- (2) تفسیر القرطبی:تفسیر قوله تعالی هل أتاک حدیث موسی ج 11 ص 175.

3- (3) تفسیر المیزان:سورة القصص ج 16 ص 32.

4- (4) سورة مریم،الآیتان:51-52.

5- (5) زاد المسیر ابن الجوزی:ج 8 ص 275.

علی الوادی المقدس بین جبل طور و الکوفة،کما ذکر ذلک بعض المفسرین.

و قـد ورد فی الحـدیث أن محـل قبر أمیر المؤمنین علیه السّـلام أول طور سـیناء،عن أبی جعفر الباقر علیه السّـلام قال:(کان فی وصـیة أمیر المؤمنین علیه السّـلام،أن أخرجونی إلی الظهر[أی ظهر الکوفة]فإذا تصوبت أقدامکم و استقبلتکم ریح فادفنونی و هو أول طور سیناء،ففعلوا ذلک)(1).

و هـذا التقـدیس و التبرک لهـذا الوادی لأن البارئ تعالی کلّم موسـی علیه السّـلام فیه و أمره بأن یخلع نعلیه لکی یطأ الأرض حافیا تعظیما لهذه البقعة المبارکة التی نزل فیها الوحی إنما هو لکونه حظیرة لقرب و موطن الحضور و المناجاة.

و الحاصل:إن القرآن الکریم یؤکـد بأن هنالک بقاع و أماکن مقدسـة مبارکـة لا بد أن تقدّس و تعظّم و هذا جعل إلهی،ینزل فیها الوحی من السـماء و یتقرب إلی اللّه عزّ و جـل و یزداد الأجر و الثواب بالعبادة فی هـذه الأماکن دون سواها لا کما یـدعی البعض بأن هـذا التعظیم و التبرک شرک و کفر باللّه عزّ و جل.

فقوله تعالی:وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِیمَ مُصَـلًّی تشـعیر من اللّه عزّ و جل و جعل بأن هذه المقامات مقدسة و وقف خاص و تسبیل دینی من اللّه عزّ و جل و أنها أحب المواضع التی یرید اللّه أن یعبد فیها کالسعی بین الصفا و المروة و الوقوف بعرفات و إنها حقا للّه عزّ و جل.

کما هو المشهور عند فقهاء الإمامیة(قدس اللّه أنفسهم):بأنه

1- (1) تهذیب الأحکام باب فضل الکوفة المواضع التی یستحب فیها الصلاة:ج 6 ص 34.

يشترط فی صحة إحیاء الأرض المیتة أن لا تکون الأرض المقصودة من الأراضی التی جعلت فی دین الإسلام مشعرا من مشاعر العبادة للمسلمین مثل أرض عرفات و المزدلفة و منی فلا یصح إحیاء الأرض من هذه الأودیة إذا کانت میتة.

هکذا أفادوا،و فی صحة هذا الاشتراط إشکال،بل الظاهر منع ذلک،فإن عظمة شأن هذه المواقع فی دین الإسلام و جعلها فیه حقا مقدسا للّه سبحانه و حقا ثابتا معظما لعموم المسلمین،لأداء مناسکهم فی مر الأزمان و العصور قد أبعد هذه الأمکنة أشد البعد و أعلی مقامها أعظم العلو و الارتفاع عن اعتبارها أرضا مواتا أو مباحة کسائر الأرضین فتحجر أو تحاز و یملکها الأفراد أو تجری علیها الاعتبارات المتعارفة فی المعاملات بین الناس(1).

أهل البیت علیهم السّلام أنوار إلهیة:

قال تعالی:*اللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ کَمِشْکاةٍ فِیها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِی زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ کَأَنَّها کَوْکَبٌ دُرِّیٌّ یُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَکَةٍ زَیْتُونَةٍ لا شَرْقِیَّةٍ وَ لا غَرْبِیَّةٍ یَکادُ زَیْتُها یُضِیءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلی نُورٍ یَهْدِی اللّهُ لِنُورِهِ مَنْ یَشاءُ وَ یَضْرِبُ اللّهُ الْأَمْثالَ لِلنّاسِ وَ اللّهُ بِکُلِّ شَیْ ءٍ عَلِیمٌ (35)فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ یُذْکَرَ فِیهَا اسْمُهُ یُسَبِّحُ لَهُ فِیها بِالْغُدُوِّ وَ الآصالِ (36) رِجالٌ لا تُلْهِیهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اللّهِ وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِیتاءِ الزَّکاةِ یَخافُونَ یَوْماً تَتَقَلَّبُ فِیهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ(37) (2).

القرآن الکریم یشیر فی هذه الآیات القرآنیة بأن هناک بیوت مقدسة

1- (1) کلمة التقوی:ج 5 کتاب إحیاء الموات ص 159.

2- (2) سورة النور،الآیات:35-37.

مبارکـة أذن اللّه أن ترفع و تعظم و یذکر فیها اسـمه،و فی تلک البیوت یسـبح للّه عزّ و جل و تقبل العبادة فیها و یسـمع الذکر،و تحت قبتها یرفع الـدعاء و تفتح أبواب السـماء و تحصل القربة إلی اللّه تعالی،فهی بیوت مبارکة و مقدسة جعلها اللّه تبارک و تعالی وسـیلة و واسـطة و محلا لقبول العبادة و الذکر و التسبیح آناء اللیل و أطراف النهار،و هذه البیوت هی بیوت خاصة تحیطها و تصدر عنها القداسة.

و الشاهـد علی ذلک أن الجار و المجرور فی قوله تعالی:فِی بُیُوتٍ متعلق بذلک النور الذی ضـربه اللّه عزّ و جل مثلا للناس،فالنور فی بیوت أذن اللّه أن ترفع،و قد ذکرت الآیة المبارکة أن هذا النور نور السماوات و الأرض،أی محیط بهما و مهیمن علیهما و أشرف منهما فی الخلقة و الرتبة الوجودیة.

ثم إن ذلک النور مخلوق من مخلوقات اللّه تعالی،أضیف إلیه عزّ و جل فی الآیة إضافة الفعل إلی فاعله،و هو عبارة عن أنوار خمسة شامخة، ضرب اللّه تعالی لکل واحد منها تشبیها و مثلا حسـیا لتقریب الفکرة و تنزیل الحقیقة إلی صورة یفهمها البشر،و لیس هذا النور عین الذات الإلهیة،لأنها آحادیة المعنی لا تعدّد و لا تکّثر فیها،و النور المذکور فی الآیة المبارکة متعدّد و متشعّب إلی خمسة أنوار،مستقل بعضها عن البعض الآخر.

و الأنوار الخمسة التی ضربت مثلا هی:

أولا:المشکاة.

ثانیا:المصباح.

ثالثا:الزجاجة.

رابعا:الكوكب الدّرى.

خامسا:الشجرة المباركة.

ثم تقول الآيـة الكريمـة بعـد ذلک:نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْـدِى اللّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ و فى اللغـة العربيـة يقول علماء البلاغة كل تشبيه جملة مسـتقلة برأسـها،و تفيـد معنى و مغزى مسـتقلا،فالآية بصدد التعرض إلى خلقة النور،و أن أحد مراحل الخلقة الإلهية هى المخلوقات النورية،و هى أنوار خمسة،تعظم فى الخلقة على الملائكة و الروح و الجن و الإنس و مطلق الموجودات الأخرى،و هى أنوار مشـتق بعضـها من بعض، و مرتبط بعضها بالبعض الآخر كما هو ظاهر الآية المباركة.

و هـذه الأنوار المباركـة المحيطـة بالسـماوات و الأرض،هى الأسـماء و الكلمات التى لم تعلم بها الملائكة،مع أن الملائكة ملأت أركان السـماوات و الأرض؛لأنها هى التى تدبرها و تدير شؤونها،و هذه الأنوار الخمسة هى الأسـماء المشار إليها فى تعليم آدم الأسـماء و عرض اللّه تعالى لها على الملائكة،فلم يعلموا بها،فأنبأهم آدم بها،إذ قد وصفها اللّه بأنها غيب السماوات و الأرض(1)،و كما ورد هذا المعنى فى روايات الفريقين(2).

و لو كـانت تلـک الأسـماء من عـالم السـماء و الأرض لعلمت بها الملائكـة،و من ذلک يعلم أن الأسـماء التى علمها اللّه عزّ و جل آدم و جهلتها الملائكة،كانت مخلوقات محيطة بعالم السماوات و الأرض و ينطبق هذا المعنى مع الأنوار الخمسة فى سورة النور.

1- (1) سورة البقرة،الآية:31-33.

2- (2) بصائر الدرجات:ص 89،المعجم الأوسط:الطبرانى:ج 4 ص 44.

و هـذا نوع من أنواع التشاهـد بين الآيات القرآنية،فالأنوار الخمسة المذكورة فى سورة النور هى الأسـماء التى خفيت عن الملائكة و علّمها اللّه تعالى آدم،و هى كما سيأتى موجودات حية عاقلة شاعرة من عالم النور،كما عبر عنها فى سورة البقرة بضمير(هم)و اسم الاشارة(هؤلاء) و هما لفظتان لا تستعملان فى الذوات الجامدة،بل فى الذوات الحية الشاعرة العاقلة.

و يتحصّل من ذلک وجود مخلوقات خمسة نورية محيطة بالسماوات و الأرض،أفضل من الملائكة و لا تحيط الملائكة بها علما،بل إن اللّه تعالى شـرّف آدم على جميع مخلوقاته،بما فيهم المقّربين من كبار الملائكة،كجبرائيل و ميكائيل و إسرافيل و عزرائيل بفضل تلک الأنوار، و بفضلها أيضا استحق مقام الخلافة الإلهية،و سجد له الملائكة كلهم أجمعون.

و من ذلک يتضـح أن هـذه الأنوار الخمسـة هى باطن(غيب) و ملكوت السـماوات و الأرض؛لأن نور كل شـىء بمنزلة الروح له،و من دونه يكون ظلمانيا،و النور فى المقام ليس هو النور الحسـى الذى يظهر الصـفات العارضة على الشـىء،بل هو نور الخلقة الذى يوجد الشـىء و يكوّنه و يظهره من كتم العدم إلى الوجود،فنور السـماوات و الأرض أى ملكوتها و باطنهما و مظهرهما من ظلمة العدم إلى نور الوجود،و هو اسم اللّه الأعظم الذى هو غير المسمى،يفوق فى القدرة و العظمة كافة المخلوقات فى السماوات و الأرض.

و سـيأتى أن تلک الأنوار الخمسة المباركة و هى الأسماء التى علمها اللّه تعالى آدم و تاب بفضلها عليه من خطيئته،و ابتلى بها إبراهيم لنيل مقام الإمامة-هم خمسة أصحاب الكساء و أهل آية المباهلة،

محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و على و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السّلام،فهم أهل البيت،و هم النور الإلهى الذى حلّ فى بيوت أذن اللّه أن ترفع،لتكون محلا للذكر و التسبيح و العبادة و التوجه إلى اللّه عزّ و جل و تشييد معالم الدين.

و لذا أخرج السيوطى فى الدر المنثور عن ابن مردويه عن أنس بن مالک و بريدة،قال قرأ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هذه الآية:فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ فقام إليه رجل فقال:أى بيوت هذه يا رسول اللّه؟قال:«بيوت الأنبياء»،فقام إليه أبو بكر،فقال:يا رسول اللّه هذا البيت منها؟و أشار إلى بيت على و فاطمة عليهم السّلام،قال:«نعم من أفاضلها»(1).

و عن أبى بصير قال:سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلفِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ قال:«هى بيوت النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»(2).

كذلک عن جابر عن أبى جعفر الباقر عليه السّلام،فى قولهفِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ قال:«هى بيوت الأنبياء و بيت على منها»(3).

و قد أخرج الحاكم فى المستدرک(4)أن من الكلمات التى تاب اللّه بها على آدم،و هى الأسماء التى شرف آدم بها على الملائكة كخليفة، لأن الكلمات أعظم مقاما من آدم؛إذ بها تاب اللّه عليه،أن من أعظم تلک الكلمات و الأسماء هو خاتم النبيين صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و أنه لولاه لما خلق آدم و لا الجنة و لا النار(5).

1- (1) الدر المنثور:سورة نور ج 5 ص 50.

2- (2) الكافى:ص 331 ح 510 ج 8.

3- (3) تفسير القمى:ج 2 تفسير آية النور ص 103.

4- (4) المستدرک للحاكم النيسابورى:ج 2 ص 615.

5- (5) المستدرک للحاكم النيسابورى:استغفار آدم عليه السّلام بحق محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ج 2.

و ينص هذان الحديثان النبويان على أن أول الأنور الخمسة و الأسـماء التى تعلمها آدم و توسل بها هو خاتم النبيين صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

هذا بالنسبة إلى الأنوار الخمسة المباركة.

الأئمة التسعة من ولد الحسين عليه السّلام فى آية النور:

و أما قوله تعالى:نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِى اللّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ فهو إشارة إلى اسـتمرار و ديمومـة قانون الإمامـة و الخلافـة الإلهية بعد تلك الأنوار الخمسـة إلى يوم القيامة،نور على نور يهدى اللّه لنوره من يشاء و(على) أى على إثر و عقب لغة فى أحد المعانى المسـتعملة فى لفظ(على) بالتضمين لمعنى الإثر.

و الشاهـد على ذلك ما تقـدم من أن الهداية هى الإيصال إلى المطلوب،و قد جاء ذكر الهداية تفسـيرا و بيانا لمقام الإمامة و الولاية، كما فى قوله تعالى:وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا ،فالتعبير بالهدايـة فى الآية المباركة يراد منه الإمامة و هو مقتضـى معنى النور أيضا؛إذ هو الهادى إلى صراط اللّه تعالى.

و لذا ورد عن الإمام محمد بن على بن الحسـين عليه السّلام فى قوله تعالى نُورٌ عَلى نُورٍ قال:«يعنى إماما مؤيدا بنور العلم و الحكمة فى إثر إمام من آل محمد عليهم السّلام،و ذلك من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة»(1).

و عن الفضيل بن يسار عن أبى عبد اللّه الصادق عليه السّلام،قال:قلت:

(نّور على نور)؟قال:«الإمام فى إثر الإمام عليه السّلام»(2).

1- (1) توحيد الصدوق:بيانه فى قوله تعالى اللّه نور السماوات و الأرض ص 158 ح 4.

2- (2) نفس المصدر:بيانه فى قوله تعالى اللّه نور السماوات و الأرض ص 157 ح 3.

و ورد أيضا عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السّلام فى قوله تعالى:

يَهْدِى اللّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ قال:«يهدى اللّه لولايتنا من أحب»(1)و فى رواية لولايتنا من يشاء.

بيان آخر للآية المباركة:

هناك بيان آخر للآية الكريمة التى نحن بصدد الاستدلال بها،أدق و أعمق و أدل على المطلوب من البيان الأول،و هو:

بعد أن تبين أن قوله تعالى:فِى بُيُوتٍ متعلق بالنور،و أن النور فى بيوت أذن اللّه أن ترفع،نقول:إن الآية الثالثة التى ذكرناها فى المقام،و هى قوله تعالى:رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ (2)هذه الجملة من المبتدأ و الخبر كلها بدل من قوله تعالى ذكره(فى بيوت)،أى أنها فى محل جر بدل من البيوت.

و يكون المعنى على ذلك«أن البيوت رجال لا تلهيهم تجارة، و ليست هى بيوت حجارة و لا طين.

و الشواهد على ذلك من نفس الآيات المباركة كثيرة نشير إلى بعضها:

أ-قوله تعالى:رِجالٌ لا- تُلْهِيهِمْ ليس فاعلا- لقوله عزّ و جليُسَبِّحُ و ذلك طبقا لقراءة أهل البيت عليهم السّلام،حيث إن قراءتهم لكلمة(يسبح)بفتح الباء مبنيا للمجهول،و بناء على هذا لا تكون كلمةرِجالٌ فاعلا

1- (1) مناقب ابن المغازلى:ص 316/البحار:باب الثالث تأويل آية النور ج 4،و فيه سبعة أحاديث.

2- (2) سورة النور،الآية:37.

ل(یسبّح)و إنما تکون مبتدأ و الجملة التی بعدها خبر،و الجملة بتمامها عطف بدل علی بیوت،فالبیوت هی رجال لا تلهیهم تجارة و لا بیع، و إلی ذلک یشیر قول الإمام محمد بن علی الباقر علیه السّلام إلی قتادة البصری فقیه أهل البصرة عندما سأله قائلا:

(أصلحک اللّه و اللّه لقد جلست بین یدی الفقهاء،و قدام ابن عباس،فما اضطرب قلبی قدام واحد منهم ما اضطرب قدامک؟

فقال له أبو جعفر علیه السّلام:«ویحک أتدری أین أنت؟أنت بین یدی فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ یُذْکَرَ فِیهَا اسْمُهُ یُسَبِّحُ لَهُ فِیها بِالْغُدُوِّ وَ الآصالِ (36)رِجالٌ لا تُلْهِیهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اللّهِ وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِیتاءِ الزَّکاةِ .فأنت ثمّ و نحن أولئک،فقال له قتادة:صدقت و اللّه جعلنی اللّه فداک و اللّه ما هی بیوت حجارة و لا طین»(1).

و کذلک ما ورد عن أبی عبد اللّه الصادق علیه السّلام،حیث قال«إنه من أتی البیوت من أبوابها اهتدی،و من أخذ من غیرها سلک طریق الردی، وصل اللّه طاعة ولی أمره بطاعة رسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و طاعة رسوله بطاعته،فمن ترک طاعة ولاة الأمر لم یطع اللّه و لا رسوله،و هو الإقرار بما نزل من عند اللّه عزّ و جل خذوا زینتکم عند کل مسجد و التمسوا البیوت التی أذن اللّه أن ترفع و یذکر فیها اسمه،فإنه أخبرکم أنهمرِجالٌ لا تُلْهِیهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اللّهِ وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِیتاءِ الزَّکاةِ یَخافُونَ یَوْماً تَتَقَلَّبُ فِیهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ(37)» (2).

فالبیوت البشریة التی أذن اللّه أن ترفع و تعظم و یذکر اللّه عندها کما أمر بالاستغفار و هو ذکر اللّه عند المجئ إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّمجاؤُکَ

1- (1) الکافی:باب ما ینتفع به من المیتة ج 6 ص 256 ح 1.

2- (2) الکافی:باب معرفة الإمام و الرد إلیه ج 1 ص 181 ح 6.

فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللّهِ فهذه البيوت البشرية هى مساجد عظيمة للّه تعالى و مواطن يذكر اللّه تعالى عندها و يستغفر ل خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ و الزينة تكون الإيمان و الإقرار بما افترض اللّه تعالى من طاعتهم و ولايتهم.

ثم إن تلك القراءة بفتح الباء فى(يسبّح)قرأ بها أيضا ابن عامر و أبو بكر و ابن شاهى عن حفص(1)«إذن يتحصل أن النور فى بيوت هى رجال منعوتون بالعصمة و هى«لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ» .

و لا شک بأن الرجال الذين اختصهم اللّه عزّ و جل بنوره هم أهل البيت عليهم السّلام،و هم البيوت التى أذن اللّه أن ترفع و تعظم و يتوسل بها إلى اللّه عزّ و جل،و يذكر فى حضرتها اسمه،و يسبح له بالغدو و الآصال.

و لا يتبادر إلى الذهن أن من أهل البيت فاطمة عليها السلام، فكيف تكون من الرجال المقصودين فى الآية المباركة؟

فإن الجواب:عن ذلک واضح؛لأن كلمة الرجل و الرجال فى الآية المباركة بمعونة القرائن و الشواهد التى احتفت بها يراد منها الشخصية العظيمة،الثابتة الأقدام فى المقامات الشامخة،فيراد من الرجال فى الآية المباركة تلک الشخصيات التى تسنمت بأرجل القدرة المقامات العالية و الدرجات الرفيعة فى مجال العصمة و التقوى،و قد جاء التعبير القرآنى بالرجل عن الأعم من الذكر فى آيات عديدة،كقوله تعالى لإبراهيم عليه السّلام:وَ أَذِّنْ فِى النّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَ عَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (2)،فالمراد فى هذه الآية الكريمة الإقدام

1- (1) لاحظ التبيان للطوسى:سورة النور ج 7 ص 439/و زاد المسير ابن الجوزى: ج 5 ص 364.

2- (2) سورة الحج،الآية:27.

بأرجل الإيمان إلى دعوة إبراهيم عليه السّلام للحج أعم من كون القادم ذكرا أو أنثى،و نظير ذلک أيضا قوله تعالى:صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (1)فوصفهم بالرجولية هنا للثبات و الاستقامة و الصدق.

و لا شک أن هـذا كله مع القرينة لا مطلقا،و القرائن الدالة على إرادة الأعم من الذكر و الأنثى فى الآية التى هى محل بحثنا كثيرة جدا، منها ما ذكرناه سابقا من القرائن الدالة على أن المقصود بالرجال فى الآية هم أهل البيت عليهم السّلام و منهم فاطمة الزهراء عليها السّلام.

خلقة أهل البيت عليهم السّلام النورية:

و نختم الحديث فى هذه النقطة بذكر بعض الشواهد الدالة على أن اللّه تعالى خلق أهل البيت أنوارا مضافا إلى ما تقدم فى آية النور:

الأول:قوله تعالى لرسوله الأكرم صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم:وَ كَذلِکَ أَوْحَيْنا إِلَيْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتابُ وَ لاَ الْإِيمانُ وَ لكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا وَ إِنَّکَ لَتَهْدِى إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (2)؛فهذه الآية صـريحة فى أن اللّه عزّ و جل أوحى إلى نبيه الأـكرم صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم نـورا و هـو الروح من أمره،و لاـ شـک أن الإيحـاء الخفى إنمـا هـو إلى ذات و حقيقـة النـبى الأـكرم المباركة،فيتحد ذلک النور بشـخص النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؛و لذا قالت الآية المباركة أن من آثار ذلک النورنَهْدِى بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا ثم جعلت ذلک الأثر بعينه لخاتم الأنبياء صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم،حيث قالت:وَ إِنَّکَ لَتَهْدِى إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (52) و هذا صريح فى اتحاد الذات النبوية الطاهرة مع ذلک النور فى الحقيقة و الأثر.

1- (1) سورة الأحزاب،الآية:23.

2- (2) سورة الشورى،الآية:52.

و إذا كانت ذات النبى الأكرم نورا يهدى إلى صراط مستقيم، فكذلک أهل بيته عليهم السّلام الذين هم نفس النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بنص آية المباهلة و آية التطهير،بل و بنص هذه الآية المباركة نفسها فى المقام،حيث ذكر فيها أن هذا الروح الأمرى الذى أوحى إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يهدى به اللّه و يوحيه إلى من يشاء و يجتبيه من عباده،فلم يخصص ذلک بالأنبياء أو بكونهم أنبياء أو رسل،و نظير ذلک قوله تعالى:يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ (1).

فذكر لفظ العباد و لم يخصص بلفظ الأنبياء أو الرسل و يدل ذلک على أن الذين يشأهم اللّه و تتعلق مشيئته بهم و يجتبيهم غير منحصرين بالأنبياء و الرسل،بل يعم من يصطفيهم للعصمة و الطهارة و الوصاية، و هكذا الأحاديث المتواترة فى كون فاطمة عليها السّلام بضعة منه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم(2)،و كون الحسن و الحسين عليهما السّلام من النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو منهم(3)،و كذا قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

«على منى و أنا منه»(4).

الثانى:قول النبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«كنت أنا و على بن أبى طالب نورا بين يدى اللّه جل جلاله قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام،فلما خلق اللّه آدم قسم ذلک النور جزأين،جزء أنا و جزء على بن أبى طالب»(5).

الثالث:الروايات المتضافرة التى دلت على أن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان نورا ينتقل من الأصلاب الشامخة إلى الأرحام المطهرة،و قد أضاء منه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

1- (1) سورة النحل،الآية:2.

2- (2) لاحظ فضائل الصحابة لابن حنبل:ص 78.

3- (3) مسند أحمد:ج 4 حديث عبد اللّه بن زبير بن العوام،حديث قطبة بن مالک.

4- (4) فضائل الصحابة:ص 15.

5- (5) نظم درر السمطين للزرندى الحنفى:ص 7/الخصال الصدوق:ص 64/تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر:ج 42 ص 67/ميزان الاعتدال للذهبى:ج 1 ص 507.

نورا عند ولادته ملأ الخافقين،كما نقلت ذلک آمنة بنت وهب(سلام اللّه عليها)أم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين ولادته،قالت:(إنى رأيت حين ولدته أنه خرج منى نور أضاءت منه قصور بصرى من أرض الشام)(1).

إلى غير ذلک من الشواهد الدالة على الخلقة النورية للنبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته عليهم السّلام.

و الحاصل:بأن هذه البيوت التى أذن اللّه أن ترفع شعّرت من قبله تعاليفِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ إلى يوم القيامة،و ذلک بأن تعمّر و تشاد بالعبادة بأمر إلهى نظير قوله تعالى:وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى و يتخذ الموضع و المكان للعبادة حتى و لو استخرج نفس هذا المقام و الحجر عن الكعبة و هذه إضافة تشريفية بإبراهيم عليه السّلام و إحياء لذكر الأنبياء و هذا هو التحليل الذى نريد أن نستخلصه من هذه الآيات الكريمة.

التوجه بالنبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته شرط فى قبول العبادة:

العبادة التوحيدية لابد أن تتوفر فيها الشروط اللازمة لكى تقبل و إلا هذه العبادات تكون عبثية لا فائدة فيها،بل تكون هذه العبادة وثنية جاهلية لأنها عبادة لم يأمر اللّه بها و ليست طاعة للّه عزّ و جل،فالمعرفة و الإيمان القلبى باللّه عزّ و جل هى من صميم العبادات،بل أعظم الفرائض الإلهية لأنها التسليم و الخضوع للّه عزّ و جل،به يحصل التوجه و اللقاء للبارى عزّ و جل و الوفود على الحضرة الربوبية،و هذه العبادة التوحيدية القلبية العظيمة و هى معرفة اللّه تعالى ممتنعة بلا واسطة،و ذلک لعظمة اللّه عزّ و جل،

1- (1) المعجم الكبير للطبرانى:ج 24 ص 215،تفسير ابن كثير:تفسير سورة الصف ج 4 ص 384.

فلا إحاطة و لا مماسة و لا ملامسة و لا مواجهة جسمية أو عقلية أو نفسية؛إذ لا يجابه الجسم إلا ما يماثله فى الجسمية،و لا يجابه النفس أو العقل إلا ما يماثلها،و اللّه تعالى منزه عن كونه جسما أو نفسا أو عقلا؛لكونها من الممكنات المحدودة بحدود الماهية و الفقر و الحاجة.

إذن لابد من الوسيلة و الواسطة فى الإيمان و معرفة اللّه تعالى، الذى هو أعظم العبادات و أعظم أنواع التوجه إلى اللّه تعالى،و الواسطة هى الإيمان بالنبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الإقرار بالشهادة الثانية فى مقام الإدلاء بالشهادة التوحيدية المقبولة عند اللّه تعالى،و الموجبة للخروج من حظيرة الشرک إلى التوحيد الإسلامى الخالص؛لأنه أعظم آية للحق سبحانه.

و هذا عكس ما يدعيه أولئک المارقون حيث يزعمون بأن العبادة التوحيدية يجب أن لا تتجلى فى الآيات و الأسماء المخلوقة و لا تكون مقترنة بها،فالواسطة شرک باللّه عزّ و جل حتى و لو كان ذلک المقترن نبى أو وصى،و هو عين ما كان تدعيه قريش فى الجاهلية الأولى،حيث كانوا لا يدينون اللّه تعالى بطاعة و ولاية نبيه الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

فإذا كان إقحام الشهادة الثانية فى الشهادة الأولى شرک باللّه عزّ و جل؟ فبماذا يحصل التوحيد و العبودية للبارى عزّ و جل و الوفود على اللّه عزّ و جل،فلا يتحقق التوحيد و لا يكون المرء مؤمنا،إلا إذا توجه بقلبه إلى اللّه تعالى بالشهادة الأولى و الثانية،و من ينفى أى اسم أو واسطة ظهور و تجلى للّه تعالى عند التوجه إليه فهو واقع فى مغبة الشرک و الوثنية،و إذا كان حال الإيمان و المعرفة كذلک فكيف بباقى العبادات التى هى أقل شأنا و خطورة؟».

و الحاصل:أن المعرفة و الإيمان و التوحيد الذى يتضمن الدين بأجمعه لا يحصل إلا بالتوسط و التوسل بآيات اللّه الكبرى،و مزاوجة

الشـهادة الثانيـة بالشـهادة الأولى،و هذا يعنى أن أى شأن من الشؤون الدينية كالتوبة أو العبادة أو نيل مقام من المقامات الإلهية لا يمكن أن يتحقق إلا بالمحافظة على الشـهادة الثانية،و الإقرار بها و بمعطياتها و تداعياتها و مقتضـياتها فى كافة أصول و فروع المعارف التوحيدية،و لا شـک أن الإيمـان بالشـهادة الثانيـة توجه قلبى بالنبى الأكرم إلى اللّه عزّ و جل،إذ الإيمان كما أسـلفنا طلب و زلفى للقاء اللّه تعالى،و هـذا القرب إنما يتحقق بتوسيط الشهادة الثانية،و هى شهادة أن محمدا رسول اللّه و وليه و خليفته فى أرضه.

فالإسـلام يـدعو إلى التوجه بـالنبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فى الإيمان و الاعتقاد و هو أعظم و أفضل عبادة،فضـلا عن بقيـة العبادات الأـخرى،و الإبـاء عن التـوجه فى العبـادة بخـاتم الأنبيـاء إنكـار للشـهادة الثانيـة،و دعـوة إلى الشـرک بـاسم التوحيـد،و هـذا مـا أخفق فيه السـلفيون،حين جحدوا التوسل بالنبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم،فلا تراهم يقرنون لون الشهادة الثانية و مؤداها و معطياتها بلون الشهادة الأولى فى رسم بناء التوحيد فى أدبيات كتبهم،فيقتصـرون على تفسـير الشهادة الأولى فى التوحيد،من دون أن يهتدوا إلى كيفية ركنية مؤدى الشـهادة الثانيـة فى أركان التوحيـد،و كيفيـة ضـرورة الربط و الارتباط بين مؤدى كل من الشـهادتين فى رسم أصل التوحيـد،و منه يظهر أن التوسل و التوجه بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ضرورة و ليس مجرد خيار مشروعية.

اقتران اسم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته بأعظم العبادات:

لقد قرن البارى تعالى اسم النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فى مجمل العبادات،لعظيم شأنه و جلالته و قربه عنده،كما ذكرنا فى الفصـل السابق بأن التقرب و التوجه للّه عزّ و جل لا يتم إلا بالشهادة الثانية و الإقرار به و إنه شرط فى قبول العبادات،و نشير فيما يلى إلى بعض تلک الشواهد فى هذا المجال:

الشاهد الأول:الإتيان باسم النبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى تشهد الصلاة، حيث إن الصلاة على النبى و أهل بيته راجحة بإجماع المسلمين(1).

و هى شرط واجب فى الصلاة عند بعض المذاهب الإسلامية، كمذهب أهل البيت عليهم السّلام(2)و بعض فقهاء المذاهب الأخرى(3)، تمسكا عندهم بما روته عائشة من الوجوب، حيث روت عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه قال:

«لا تقبل الصلاة إلا بطهور و بالصلاة علىّ»(4)و قد بين النبى الأكرم الصلاة عليه عندما سئل عن كيفيتها،فقال:«قولوا:اللّهم صل على محمد و على آل محمد»(5)،كذلك يستحب الصلاة على النبى محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعد القنوت فى الصلاة، جزم بذلك النووى تبعا للغزالى فى المهذب و نسبه إلى الجمهور(6).

و لا شك أن ذكر الصلاة على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته عليهم السّلام نوع من الدعاء لهم و التحية و السلام،و نوع التوجه لهم و الدعاء.

و هذا يعنى أن المصلى فى صلاته التى هى الركن الركين فى العبادات،و الموجبة للعروج و القربان من اللّه تعالى،إن قبلت قبل ما سواها و إن ردت رد ما سواها،إنما تقبل بالصلاة على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته عليهم السّلام و مفادها أن يتوجه بالدعاء و إلقاء التحية و السلام للنبى و آله،

1- (1) لاحظ المجموع للنووى:استحباب الإشارة بالمسبحة و تعين لفظ التشهد ص 460 ج 3 و ما بعد.

2- (2) النهاية للشيخ طوسى:باب فرائض الصلاة و من ترك شيئا ص 89.

3- (3) فتح العزيز:للرافعى:ج 3 ص 504،المجموع للنووى:ج 3 ص 467 و غيرهم.

4- (4) سنن الدارقطنى:باب ذكر وجوب الصلاة على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ج 1 ص 348.

5- (5) صحيح البخارى:كتاب بدء الخلق ج 4 ص 118،الوسائل:باب كيفية الصلاة على محمد ج 7 ب 35.

6- (6) المجموع:السنة فى صلاة الصبح إن يقنت ج 3 ص 499.

لكى تقبل صلاته و توجب مزيدا من القرب إلى اللّه تعالى،فالصلاة التى هى من دعائم الدين مقرونة بالوسائط و الأبواب الإلهية،لكى تكون صحيحة مقبولة عند اللّه تعالى أو موجبة لمزيد القرب منه،و إذا كانت الصلاة كذلک فكيف بباقى العبادات الأخرى؟».

فإقران اسم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته عليهم السّلام فى الصلاة و التوجه إليهم بالقلب موجبا لتوحيد اللّه فى العبادة و من ثم كان الأمر بها فيها على هذه الحال،فالفرق بين صلاة المشركين حول البيت الحرام و صلاة الموحدين فى أن صلاة المشركين تفتقد لذكر النبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيها، بخلاف صلاة المسلمين،حيث يقرن فيها اسم النبى الأكرم إلى جانب ذكر اللّه تعالى.

اقتران الصلاة على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى بقية العبادات:

و قد قرن وجوب أو استحباب بعض العبادات الأخرى غير الصلاة باستحباب الصلاة على النبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،كاستحباب الصلاة على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا فرغ الحاج من التلبية فى الحج(1)،و استحباب الصلاة على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند ذبح الهدى أو الأضحية(2)،و قد جعلت الصلاة على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أحد أركان الخطبة فى صلاة الجمعة(3).

كذلک من أركان صلاة الميت الصلاة على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم(4).

و يستحب أيضا الصلاة على النبى و آله قبل الأذان و الإقامة

1- (1) الأم:للشافعى:باب ما يستحب من القول فى أثر التلبية ج 2 ص 171.

2- (2) المجموع:للنووى:فرع فى مذهبهم فى مسائل مما سبق ج 8 ص 410،412.

3- (3) روضة الطالبين للنووى:الشرط السادس(الخطبة)ج 1 ص 530.

4- (4) روضة الطالبين للنووى:الدعاء للميت بعد التكبيرة الثالثة ج 1 ص 640.

و بعدهما،كما نص على ذلک عبد العزيز الهندى نقلا عن النووى فى شرح الوسيط-فى كتابه الفقهى فتح المعين(1)،إلى غير ذلک من الموارد التى لا- تحصى فى الفقه،و التى قرنت فيها جملة وافرة من العبادات باسم النبى المبارک صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته الطاهرين،و ليس ذلک إلا توجه و توسل بهم عليهم السّلام لقبول العبادة و حصول القرب من اللّه تعالى، و لفتح أبواب السماء لصعود العمل و هو مفاد قوله تعالى:إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ وَ كَذلِکَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (2)و هذا ما ورد النص عليه فى روايات عديدة و متضافرة من طرقنا و طرق السنة،حيث نصت على أن الدعاء محجوب عن السماء ما لم يصل على النبى و آله:

منها:ما ورد عن الإمام على عليهم السّلام قال:«الدعاء محجوب عن السماء حتى يتبع بالصلاة على محمد و آله»(3).

و منها:ما ورد عن أبى ذر عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:«لا يزال الدعاء محجوبا حتى يصلى على و على أهل بيتى»(4).

و منها:ما جاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام قال:قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«صلاتكم على إجابة لدعائكم و زكاة لأعمالكم»(5).

و منها:ما ورد أيضا عن الإمام الصادق عليه السّلام،حيث قال:«إن رجلا أتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال:يا رسول اللّه،إنى جعلت ثلث صلواتى

1- (1) فتح المعين:فصل فى الأذان و الإقامة ج 1 ص 280.

2- (2) سورة الأعراف،الآية:40.

3- (3) لسان الميزان ابن حجر ج 4 ص 53/شعار أصحاب الحديث ابن إسحاق الحاكم:ص 64.

4- (4) كفاية الأثر-الخزاز القمى:ماجاء عن أبى ذر الغفارى من النصوص ص 38.

5- (5) الأمالى الطوسى:فضل الصلاة على محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ص 215.

لک؟فقال له خیرا،فقال له:یا رسول اللّه إنی جعلت نصف صلواتی لک،فقال له:ذاک أفضل،فقال:إنی جعلت کل صلواتی لک،فقال:

إذن یکفیک اللّه عزّ و جل ما أهمک من أمر دنیاک و آخرتک،فقال له رجل:

أصلحک اللّه کیف یجعل صلاته له؟فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام:لا یسأل اللّه عزّ و جل شیئا إلا بدأ بالصلاة علی محمد و آله»(1).

و منها:ما رواه فضالة بن عبید،حیث قال:(سمع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم رجلا یدعو فی صلاته لم یمجد اللّه تعالی و لم یصل علی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«عجل هذا»ثم دعاه فقال له أو لغیره«إذا صلی أحدکم فلیبدأ بتحمید ربه عزّ و جل و الثناء علیه،ثم یصلی علی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،ثم یدعو بعد بما شاء»(2).

و عن ابن مسعود قال:(إذا أراد أحدکم أن یسأل فلیبدأ بالمدحة و الثناء علی اللّه بما هو أهله،ثم لیصل علی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،ثم لیسأل بعد فإنه أجدر أن ینجح)(3)،قال الهیثمی فی زوائده:رواه الطبرانی و رجاله رجال الصحیح(4).

و منها:ما عن جابر بن عبد اللّه قال:قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«لا تجعلونی کقدح الراکب،فإن الراکب إذا أراد أن ینطلق علق معالقه، و ملأ قدحا ماء،فإن کانت له حاجة فی أن یتوضأ توضأ،و أن یشرب شرب،و إلا أهراق فاجعلونی فی وسط الدعاء،و فی أوله،و فی آخره»(5).

1- (1) الکافی:باب الصلاة علی النبی محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ج 2 ص 493.

2- (2) سنن أبی داود:باب الدعاء ج 1 ص 333 ح 1481.

3- (3) المعجم الکبیر الطبرانی:ج 9 ص 156.

4- (4) مجمع الزوائد:باب فیما یستفتح به الدعاء ج 10 ص 155.

5- (5) المصنف عبد الرزاق الصنعانی:باب الصلاة علی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ج 2 ص 216.

و منها:ما أخرجه القاضـی عیاض عن رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم قال:«کل دعاء محجوب دون السماء،فإذا جاءت الصلاة علی صعد الدعاء»(1).

و من الروایات التی من طرقنا أیضا ما فی موثقة السـکونی عن أبی عبد اللّه علیه السّـلام قال:«من دعا و لم یذکر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم رفرف الدعاء علی رأسه،فإذا ذکر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم رفع الدعاء»(2).

و عن أمیر المؤمنین علیه السّـلام قال:«إذا کانت لک إلی اللّه حاجـة فابـدأ بمسألة الصـلاة علی النبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم ثم سـل حاجتک،فإن اللّه أکرم من أن یسأل حاجتین فیقضی إحداهما و یمنع الأخری»(3).

کذلک عن أبی عبد اللّه علیه السّـلام قال:«إذا دعا أحدکم فلیبدأ بالصلاة علی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،فإن الصلاة علی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مقبولة،و لم یکن اللّه لیقبل بعض الدعاء و یرد بعضا»(4).

و عن الإمام الحسن بن علی العسـکری عن آبائه علیهم السّـلام عن النبی صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال:«إن اللّه سبحانه یقول:عبادی من کانت له إلیکم حاجـة فسألکم بمن تحبون أجبتم دعاءه،ألا فاعلموا أن أحب عبادی إلی و أکرمهم لـدی محمـد و علی حبیبی و ولیی،فمن کانت له حاجة إلی فلیتوسل إلی بهما،

1- (1) الشـفا بتعریف حقوق المصـطفی/الباب الرابع:فصل فی المواطن التی تستحب فیها ج 2 ص 66.و قال ابن عطاء:للـدعاء أرکان و أجنحة و أسباب...و أسبابه الصلاة علی محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

2- (2) وسائل الشیعة:باب استحباب الصلاة علی محمد و آله فی أول الدعاء ج 7 ص 93-94 ح 8828.

3- (3) وسائل الشیعة:باب استحباب التوسل فی الدعاء ج 7 ص 97 ح 8840.

4- (4) وسائل الشیعة:باب استحباب الصلاة الصلاة علی محمد و آله ج 7 ص 96 ح 8836.

فإنی لا أرد سؤال سائل یسألنی بهما و بالطیبین من عترتهما،فمن سألنی بهم فإنی لا أرد دعاءه،و کیف أرد دعاء من سألنی بحبیبی و صفوتی و ولیی و حجتی و روحی و نوری و آیتی و بابی و رحمتی و وجهی و نعمتی؟ ألا- و إنی خلقتهم من نور عظمتی،و جعلتهم أهل کرامتی و ولایتی،فمن سألنی بهم عارفا بحقهم و مقامهم أوجبت له منی الإجابة،و کان ذلک حقا علی»(1).

و هذه الروایات بمجموعها و الأحکام التی سبقت للصلاة علی النبی و آله فی الصلاة و غیرها من العبادة کاشفة عن اقتران اسم النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أهل بیته الطاهرین بأعظم العبادات بل معظمها،و هذا یعنی أن اللّه عزّ و جل جعل تلک الأسماء المبارکة واسطة لفیضه و شرطا حقیقیا للتوسل إلیه فی التوبة و فی سائر العبادات القربیة و المقامات الإلهیة،و أن أبواب السماء مغلقة إلا عن سبیلهم علیه السّلام و طریقهم،الذی نصبه اللّه تعالی منارا لعباده و محجة واضحة لخلقه.

هذا کله فی الشاهد الأول و هو اقتران الصلاة علی النبی صلّی اللّه علیه و أهل بیته علیهم السّلام بالصلاة و غیرها من العبادات.

الشاهد الثانی:و هو کذلک اقتران اسم النبی المبارک صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالصلاة، و ذلک بالإتیان به فی جزء التسلیم من الصلاة،و هو قول المصلی:

السلام علیک أیها النبی و رحمة اللّه و برکاته،فإن التسلیم الذی هو جزء من أجزاء الصلاة و لا تتم الصلاة إلا بإتمامه و الفراغ منه جعل شطر منه التسلیم علی النبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،فقبل إتمام الصلاة و فی حاقها یستحب للمصلی أن یسلم علی نبی الإسلام باتفاق فرق المسلمین.

1- (1) وسائل الشیعة:باب استحباب التوسل فی الدعاء ج 7 ص 102 ح 8850.

و لا شک أن هذا التسـلیم بالکیفیة المذکورة نوع زیارة للنبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و خطاب و نداء عن قرب ب(أیها)و توسل و اسـتغاثة و توجه إلیه و به إلی اللّه عزّ و جل؛و ذلک لأن اللّه تعالی عندما شـرع التسلیم و التحیة للنبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی الصـلاة التی شـرعت لـذکره عزّ و جل و التقرب منه و العروج إلیه، فإن ذلک یعنی أن ذکر النبی هو ذکر اللّه تعالی و نداءه نداء للباری عزّ و جل، و لیس ذلک إلا لکون النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الآیة العظمی و الوسیلة المحمودة بین اللّه و بین خلقه فی الصلاة التی هی من عظیم العبادات و القربات عند اللّه تعالی.

إذن طبیعة الزیارة و النداء و الندبة و الاستغاثة و التوجه بالنبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لنیل مقامات القرب فی الصلاة التی هی قربان کل تقی موجودة فی نفس الصلاة التی هی أکبر العبادات التوحیدیة و یمارسها الفرد المسلم فی یومه عدة مرات.

و الحاصل:إذا کانت الصـلاة التی هی من دعائم الـدین مقرونة بذکر النبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم لنیل مقامات القرب عند اللّه تعالی فکیف هو الحال بباقی العبادات و القربات الأخری فی الدین؟

و علی هـذا کیف یقال:إن ذکر النبی و آله هو غیر اللّه تعالی فی التوجه إلیه عزّ و جل و شـرک؟«و هل هذا إلا طمس لمعالم الشـهادة الثانیة فی عقیدة التوحید و الإسلام؟».

الشاهد الثالث:و هو اقتران أهل البیت علیهم السّلام بالنبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم فی قوله تعالی:فَمَنْ حَاجَّکَ فِیهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَکُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَکُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللّهِ عَلَی الْکاذِبِینَ (1).

1- (1) سورة آل عمران،الآیة:61.

فلم ينزل أحد كنفس النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلا على عليه السّلام،و قرن اللّه تعالى بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أهل بيته عليهم السّلام فى الحجية،فالخمسة عليهم السّلام معا حجج على جميع الأديان السماوية و البشرية عموما إلى يوم القيامة،فهم عليهم السّلام شركاء النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الرسالة؛لأن المباهلة نوع محالفة و مقاضاة إلهية أخروية، و فى الحلف لابد أن يحلف الأصيل و لا وكالة فى الحلف،و هذا يعنى أنهم عليهم السلام شركاء فى الرسالة أصالة،و لكنهم تابعون فى ذلک للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو سيدهم و بشفاعته نالوا الأصالة فى الحجية.

و الحاصل:إن أهل البيت عليهم السّلام مقرونون بسيد الأنبياء فى المقامات تبعا له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ماعدا مقام الوحى بالنبوة،و هذا يعنى أن الإيمان بأهل البيت و التولى لهم من الدين الذى أخذ على الأنبياء الإيمان به و نصرته لأجل نيل المقامات العالية عند اللّه تعالى.

هذا تمام الكلام فى شرطية التوجه بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته لصحة الإيمان و للتوبة و سائر العبادات و لنيل مقامات القرب.

«برهان آخر»

طاعة اللّه و رسوله و أولى الأمر:

قال تعالى:يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ (1)حيث تشير هذه الآية القرآنية بأن إطاعة ولى اللّه من طاعة اللّه سبحانه و تعالى فلا بد من التوجه إليه بقلبک و جوارحک و الخضوع له و التسليم له بأمر من اللّه تعالى فمن عصاهم عصى اللّه سبحانه و تعالى كما ذكر هذا المعنى الكلينى فى كتاب الحجة:

1- (1) سورة النساء،الآية:59.

عن علی بن إبراهیم،عن أبیه،عن محمد بن أبی عمیر،عن عمر بن أذینة،عن برید العجلی،عن أبی جعفر علیه السّلام فی قوله تعالی:

فَقَدْ آتَیْنا آلَ إِبْراهِیمَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ آتَیْناهُمْ مُلْکاً عَظِیماً (1)قال:جعل منهم الرسل و الأنبیاء و الأئمة فکیف یقرون فی آل إبراهیم علیه السّلام و ینکرونه فی آل محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم؟قال:قلت:وَ آتَیْناهُمْ مُلْکاً عَظِیماً(54) ؟قال:

الملک العظیم أن جعل فیهم أئمة؛من أطاعهم أطاع اللّه،و من عصاهم عصی اللّه،فهو الملک العظیم.

لکی تتضح الصورة نقول بأن الصلاة و الصیام و الحج و الزکاة و الجهاد و غیرها،هی فرائض إلهیة فی أصل وجوبها فی الدین،و أما تفاصیلها و أجزائها و شرائطها و أقسامها فهی سنن نبویة وصلتنا عن طریق أمر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لکل المسلمین بتلک التفاصیل و التشریعات الخاصة،و من أمثلة ذلک ما ورد فی روایات الفریقین من أن الصلوات کان فرضها من اللّه تعالی رکعتین لکل صلاة و ما زاد علیها فی کل صلاة کان من سنة النبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أمره و فرضه(2)و هکذا بقیة التفصیلات و التشریعات القانونیة النبویة ضمن الفرائض الإلهیة،و کتب الحدیث ملیئة بالأوامر النبویة فی مجمل الأبواب الفقهیة و غیرها.

إذن فیکون الإتیان بالصلاة و الزکاة و الحج و غیرها طاعة لأمر اللّه و أمر رسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و لا تستعلم طاعة اللّه عزّ و جل من دون طاعة الرسول الأکرم فی أوامره و نواهیه،فهو صلّی اللّه علیه و آله و سلّم باب طاعته تعالی؛لأنه هو الدال

1- (1) سورة النساء،الآیة:54.

2- (2) وسائل الشیعة:أبواب القراءة فی الصلاة ج 6 ب 1 ح 4 7283/مسند أحمد:ج 6 ص 241 مسند عائشة/مجمع الزوائد الهیثمی:باب فیما لا سجود فیه ج 2 ص 154.

و المبين و الناطق الرسمى عن أوامر اللّه عزّ و جل و نواهيه،و هذا البيان جارى فى جملة الأبواب العبادية أيضا بلحاظ تفاصيل الشروط و الاجزاء فإنها بأوامر من عترة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سنن منهم مفصلة و مبينة لفرائض اللّه تعالى و سنن نبيه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيكون الإتيان بالعبادات التى هى خضوع للّه تعالى بتوسط طاعة أوامره تعالى و أوامر رسوله و أوامر أولى الأمر من عترته عليهم السّلام.

و هذا ما كنا نعبر عنه بتداعيات و مقتضيات الشهادة الثانية و الثالثة؛ إذ هى تستدعى الإتيان و الالتزام بجملة الدين طاعة للّه و لرسوله.

و هذا ما تكاثرت و دلت عليه جملة من الآيات القرآنية،كما فى قوله تعالى:

وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (1).

ثم إن اللّه عزّ و جل حذر المسلمين من المخالفة لأوامر الرسول الأكرم، و بين فى آيات عديدة العواقب الوخيمة التى تترتب على مخالفة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى أوامره:كما فى قوله تعالى:لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (2).

كذا قوله تعالى:وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ احْذَرُوا (3).

و قوله تعالى:يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (4).

1- (1) سورة آل عمران،الآية:132.

2- (2) سورة النور،الآية:63.

3- (3) سورة المائدة،الآية:92.

4- (4) سورة الأنفال،الآية:20.

و قوله عزّ و جل:*يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ لا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ (1).

إلى غير ذلک من الآيات القرآنية التى جاءت فى ضمن السلک العام و السنة الإلهية الشاملة لطاعة الرسل كافة،كما فى قوله تعالى:

وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاّ لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللّهِ (2).

و من يريد أن يفصل فى صلاته و حجه و صومه طاعة للّه عن طاعة الرسول يكون على الوثنية الجاهلية التى ينشأها اللّه عزّ و جل و عبر عنها فى قرآنه الكريم بالشرک و النجس،و طاعة كل من لم يأمر اللّه بطاعته وثن من الأوثان،بل حتى صلاته تصبح وثنا إذا كانت صادرة عن طاعة غير من أمر اللّه بطاعته،و إن كان ذلک المطاع هو الهوى و تحكيم سلطان الذات على سلطان اللّه عزّ و جل،كما فى الوثنية القرشية التى ذمها القرآن الكريم.

و من ذلک يتضح أن أى عبادة من العبادات أو قربة من القربات أو نيل المقامات القربية أو الفوز بحضوة عند اللّه تعالى لا يمكن أن تتحقق من دون طاعة النبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى تلک العبادة،لكن هذه الشرذمة لم يزدادوا من اللّه إلا بعدا،و زين لهم الشيطان أعمالهم فهم فى غيّهم و ضلالهم يعمهون.

ففى مقام التقرب و النية و القصد جعلت القبلة المعنوية هى طاعة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و التدين بولايته و الخضوع له،الذى هو خضوع للّه عزّ و جل، كخضوع الملائكة لآدم لأنه باب اللّه تعالى.

1- (1) سورة محمد،الآية:33.

2- (2) سورة النساء،الآية:64.

هذا كله فی مقتضیات الشهادة الثانیة و ضرورة اقترانها بالشهادة الأولی.

کذلک أکدت الآیات القرآنیة علی ضرورة الشهادة الثالثة و اقترانها بالشهادة الثانیة تبعا للشهادة الأولی،و الشهادة الثالثة عبارة عن طاعة أولی الأمر،الذین أمر اللّه بطاعتهم فی قوله تعالی:یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِی شَیْ ءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اللّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ کُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ ذلِکَ خَیْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِیلاً (1)،حیث قرن طاعتهم بطاعته و طاعة رسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و قد بین اللّه تبارک و تعالی فی قرآنه الکریم المراد من أولی الأمر الذین تجب طاعتهم،بعد أن بین تعالی المقصود من الأمر الذین هم أولیاءه،و أنه أمر ملکوتی من عالم کن فیکون،کما فی قوله تعالی:

إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ (2)،و کذا قوله عزّ و جل:

وَ ما أَمْرُنا إِلاّ واحِدَةٌ کَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (3)،و کذا قوله عزّ و جلوَ کَذلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا (4)،و قوله تعالی:أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبارَکَ اللّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ (5)،ثم أفصحت الآیات القرآنیة عن کون الأمر عبارة عن تدبیر السماوات و الأرض،قال تعالی:یُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَی الْأَرْضِ ثُمَّ یَعْرُجُ إِلَیْهِ فِی یَوْمٍ کانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمّا تَعُدُّونَ (6).

1- (1) سورة النساء،الآیة:59.

2- (2) سورة یس،الآیة:82.

3- (3) سورة القمر،الآیة:50.

4- (4) سورة الشوری،الآیة:52.

5- (5) سورة الأعراف،الآیة:54.

6- (6) سورة السجدة،الآیة:5.

إذن أولو الأمر هم الذين يتنزل عليهم الأمر فى ليلة القدر و فيها يفرق كل أمر حكيم،قال تعالى:لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ(3)تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ(4)سَلامٌ هِيَ حَتّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ(5) (1)،و قال عزّ و جل فى وصف ليلة القدر:إِنّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنّا كُنّا مُنْذِرِينَ (3)فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (4)أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنّا كُنّا مُرْسِلِينَ (5)رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (6) (2).

ثم بين اللّه عزّ و جل أن شريعة النبى الأكرم من ذلک الأمر الحكيم الذى يفرق فى ليلة القدر،حيث قال عزّ و جل مخاطبا نبيه الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:ثُمَّ جَعَلْناکَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْها وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (3).

و قد صرحت آيات أخرى بأن الأمر الملكونى يتنزل على عباد اللّه من دون أن تخصص من لهم الأمر بالأنبياء و الرسل،قال عزّ و جل:يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ أَنَا فَاتَّقُونِ (4).

و حاصل ما ذكرناه من الآيات أن الأمر من عالم الملكوت و الغيب،و أنه مرتبط بتدبير السماوات و الأرض و غير مختص بالشؤون الدنيوية المادية،و أن الشرائع و هداية الناس و إنذارهم مرتبطة به،و أنه شامل لأولياء اللّه الأصفياء المجتبين و ليس خاصا بمقام النبوة و الرسالة، و ذلک لارتباطه المباشر بمقام الهداية و الإيصال إلى المطلوب و هو مقام الخلافة و الإمامة كما تقدم؛و لذا قال تعالى:وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ

1- (1) سورة القدر،الآيات:3-5.

2- (2) سورة الدخان،الآيات:3-6.

3- (3) سورة الجاثية،الآية:18.

4- (4) سورة النحل،الآية:2.

بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا وَ كانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ (1)و الصبر و اليقين للائمة من أولى الأمر فى هذه الآية المباركة إشارة إلى العصـمة فى مقام العلم و العمل.

و لا يوجد أولو أمر فى هذه الأمة بعد رسول اللّه تجب طاعتهم غير أهل بيته صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم،الذين أذهب اللّه عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا،لأن الأمر الملكوتى المتنزل فى ليلـة القـدر الليلـة المباركـة المرتبط بنزول ما فى القرآن كما فى سورة القـدر و الـدخان هو مرتبـط بمقامـات القرآن الغيبيـة و لا يمس تلك المقامات إلا المطهرون كما فى قوله تعالى:إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77)فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ (78)لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (79) (2).

إذن الطاعة فى الدين بطاعة اللّه،و طاعة اللّه بطاعة النبى الأكرم صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أولى الأمر،فالولى بعد اللّه تعالى رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بعد الرسول أولى الأمر،الذين لهم حق استنباط الدين و بيانه و تفصيله،قال تعالى:

وَ إِذا جـاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْـ تَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ (3)و الذى يتضح مما ذكرناه أن طاعة أولى الأمر على حد طاعة رسول اللّه مقترنة بها و شاملة للدين كله،كما أن ولاية اللّه تعالى و طاعته كذلك غير مختصـة ببعض الشؤون السياسية أو الاجتماعية.

فالإتيـان بجميـع العبـادات و الطقوس الدينيـة طاعـة لأـمر اللّه و أمر رسوله و أولى الأـمر من بعـده و هم أهـل بيته صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فالعبد ينقاد و يفد على اللّه تعالى و يتقرب و يتوجه إليه بطاعة الرسول و طاعة أولى الأمر،و هذا

1- (1) سورة السجدة،الآية:24.

2- (2) سورة الواقعة،الآيات:77-79.

3- (3) سورة النساء،الآية:83.

یعنی أن الشهادة الثانیة و الثالثة مأخوذتان واسطتان فی عبادة اللّه تعالی بما فیها عبادة المعرفة،التی هی أعظم العبادات.

و من ثم کان الـدین عبارة عن ولایـة اللّه و ولایـة الرسول و ولایـة أولی الأمر و الطاعة لهم،قال تعالی:إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاةَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکاةَ وَ هُمْ راکِعُونَ (55)وَ مَنْ یَتَوَلَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغالِبُونَ (56) (1).

و الولایـة و الطاعـة أصالة للّه و بالتبع للنبی و أولی الأمر بإذن و أمر من اللّه تعالی،کما أخضع اللّه عزّ و جل ملائکته و من خلق من الجن و غیرها لولی اللّه و خلیفته آدم،بما هو النموذج و المصـداق لخلیفته اللّه فی الأرض، فکل من یتسـنم مقام الخلافـة الإلهیة لابد من الإنقیاد و الخضوع و الطاعة له.

و حیث إن التوجه و القربـة و الزلفی لاـ تحصل إلا بالطاعـة للّه و للرسول،کـذلک لا تحصل إلا بطاعـة أولی الأمر مقترنـة مع طاعـة اللّه و رسوله،فلا یمکن قصـد القربة فی العبادة و لا یحصل القرب إلی اللّه تعالی فی العبادات إلا بالخضوع و الطاعة لولی الأمر و الإتیان بالعبادة امتثالا لأمره،تبعا لأمر اللّه و الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،حیث یستعلم أمرهما بأمره.

و الحاصل:من ذلک البیان أیضا أن جمیع العبادات فرائض من اللّه تعالی و سـنة من نبیه و منهاج و هدی من أهل بیته علیهم السّلام و علی جمیع المستویات الاعتقادیة و العبادیة.

کذلک تبین أن من یعبد اللّه من دون التوجه بحجة اللّه و ولیه،

1- (1) سورة المائدة،الآیتان:55-56.

بطـاعته و امتثـال أمره عمله هبـاء؛إذ لاـ تتحقق منه القربـة لعـدم الطاعـة فی مقاماتهـا الثلاـث و عـدم ضم الشـهادات الثلاث إلی بعضـها البعض،فلاـ یصـار إلی التوجه إلی اللّه تعـالی إلاـ عن طریق آیـاته و بینـاته،و هم الوسـیلة إلیه فی المقامات الثلاث التی ذکرناها فی صـدر البحث،بل فی الدین کله.

إقران اسم النبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم و ذکره و التوجه إلیه و إلی أولی الأمر موجبا للتوحید فی العبادة و إلا لما قرن اللّه تعالی طاعته بطـاعتهم،فلیس إنکـار التوسط و الواسـطة إلا دعوة إلی التفریق بین اللّه و رسوله و أولی الأمر، و فصل الشـهادات الثلاث و بتر بعضـها عن البعض الآخر،و الفصل هو عبادة الشـرک التی آمن بها إبلیس الـذی أراد أن یفرق بین طاعـة اللّه و طاعة خلیفته،بخلاف الملائکة أهل عبادة التوحید الذین خضعوا للّه و لولیه آدم علیه السّلام.

ثم إن مورد هـذه الآیـة و هی:أَطِیعُوا اللّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ (1)التی حکمت بوجوب الطاعـة فی الدین کله،فکما أن طاعة اللّه عزّ و جـل فی الـدین کله،کـذلک مـا اقترن بها من طاعـة الرسول الأکرم صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم و أولی الأمر من أهل بیته علیهم السّلام.

إذن التوجه إلی اللّه تعالی من دون التوجه إلیه بطاعـة نبیه و ولیه نجس و شـرک و وثنیـة قرشـیة،ونیـة القربـة إذا لم تکن علی هـذا المنوال فی العبادة لا تقبل؛لعدم التوجه إلی اللّه بآیاته و أبوابه التی أمر اللّه بها.

1- (1) سورة النساء،الآیة:59.

التوسل عبادة توحيدية:

1-التوسل آية للزلفى و القربى إلى البارى تعالى:

و التوسل على ضوء القرآن الكريم و السنة المطهرة على أربعة جهات:

الجهة الأولى:حقيقة التوسل فى اللغة و الاصطلاح.

الجهة الثانية:أنه عبادة توحيدية.

الجهة الثالثة:الأدلة العقلية و التاريخية على العبادية.

الجهة الرابعة:الأدلة التحليلية.

و هنا سوف نتعرض إلى خلاصة ذلک ضمن النقاط التالية:

النقطة الأولى:

بأن الواسطة التى جعلها اللّه سبحانه و تعالى و نصبها لخلقه هو عين التوحيد و الربوبية للبارى،و القطيعة و الإباء و الاستكبار على إرادة البارى تعالى كفر و شرک،و الوسائط و الحجج الإلهية هى أبواب التوحيد لأنها خضوع و انصياع و تذلل و تقرب إلى البارى سبحانه و تعالى بطاعة أوامره فى ذلک كقولهوَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَ هُمْ جاؤُکَ فَاسْ تَغْفَرُوا اللّهَ وَ اسْ تَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَ دُوا اللّهَ تَوّاباً رَحِيماً(64) و قوله تعاليوَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (5) و غيرها من عشرات الأوامر فى السور و الآيات و الأحاديث الشريفة،و التوجه و الانشداد إلى الآيات الإلهية و الوسائل و الوسائط الربانية تقّرب العبد إلى خالقه تعالى.

ص:151

النقطة الثانية:

التواضع و الخضوع فی التوجه و الوفود علی اللّه تعالی،سبب لزیادة الرفعة و القرب الإلهی،و العبد إذا أنکر الواسطة التی نصبها اللّه تعالی بینه و بین عبیده،لا یبقی له طریق لاستعلام أوامر اللّه و نواهیه،کما إن التواضع حالة استثنائیة و توحیدیة خالصة،و رفض التوسل استکبار و جفاء لا یناسب الأدب التوحیدی،بل إن اللّه سبحانه و تعالی ذم الذین یصدون عن الوسائط و یطلبون الاتصال المباشر و الارتباط بالسماء مع عدم أهلیتهم لذلک کما فی قوله تعالی:*وَ قالَ الَّذِینَ لا یَرْجُونَ لِقاءَنا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَیْنَا الْمَلائِکَةُ أَوْ نَرى رَبَّنا لَقَدِ اسْتَکْبَرُوا فِی أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوًّا کَبِیراً (1)و قوله تعالیبَلْ یُرِیدُ کُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ یُؤْتى صُحُفاً مُنَشَّرَةً (2)و هذا لقصور فی القوابل و الاستعدادات فی تقرب العبد بذاته المنفردة من ذاته تعالی المقدسة بل لابد من شفاعة المتوسّل بالمتوسّل به.

النقطة الثالثة:

لا شک أن التقدم فی الرتبة الوجودیة بین المخلوقات معناه أن المخلوق الأسبق رتبة أشرف و أکرم و أقرب إلی اللّه تعالی من المخلوق اللاحق،و هذا البیان العقلی واضح دال علی ضرورة التوجه و التوسل بالمقّربین و بالمخلوقات الکریمة علی اللّه تعالی و هم«أولیاء اللّه»من الأنبیاء و الرسل.

النقطة الرابعة:

قطع الصلة بالنبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و عدم الرجوع إلیه و الابتعاد عنه و التخلی عن

1- (1) سورة الفرقان،الآیة:21.

2- (2) سورة المدثر،الآیة:51.

ولا یته،و عـدم الخضوع و الطاعة له،و عزل الشـهادة الثانیة و فصـلها و بترها عن الشـهادة الأولی،فإن ذلک کله یجعل العبادات و المناسـک بأجمعها شـرکا و وثنا و جاهلیـة،کالطواف حول الکعبـة مثلا و طاعـة و عبادة لغیر اللّه عزّ و جل فیما إذا افتقـد الشـهادة الثانیة و التولی لنبی الإسلام صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

من أهم الفروق بین حـج المشـرکین و حج المسـلمین هو أن المشـرکین یأتون بالمناسک من دون الخضوع و التسـلیم و التولی لخلیفة اللّه تعالی،و أما المسلمون فهم یأتون بمناسک الحج مع خضوعهم لولایة النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و إقرارهم بالشهادة الثانیة،و لذا کان حجهم طاعة و عبادة خالصة للّه عزّ و جل.

و مما لا شک فیه بأن الإنکار للواسـطة المنصوبـة من اللّه تعالی هو ما قام به إبلیس لعنه اللّه تعالی الـذی یـدعی التوحید فی العبادة،فإنکار الواسطة یستلزم الاعتراض علی البارئ سبحانه و تعالی.

2-شرطیة التوسل بالنبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی طلب المغفرة:

قال تعالی:وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوّاباً رَحِیماً (1).

هذه الآیة القرآنیة تکشف حقیقة هذه الشرذمة التی تدعی بأن التوسل برسول اللّه أو بالإمام شرک،حیث تصرح الآیة بأن التوسل بالنبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الاستشفاع به إلی اللّه،و طلب الاستغفار منه لمغفرة المعاصی،شرط رکنی فی قبول التوبة و شمول الرحمة الإلهیة.

1- (1) سورة النساء،الآیة:64.

فلو كانت الواسطة بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شركا،كيف يأمر اللّه العصاة و المذنبين بمثل هذا الأمر؟

و من البديهى أن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليس من شأنه أن يغفر الذنوب،بل شأنه فى المقام أن يطلب من اللّه المغفرة و الصفح،و هذه الآية دليل مفحم للجاحدين الذين ينكرون مشروعية التوسل و الواسطة فى العبادة.

و الطريف فى الآية الكريمة بأن القرآن الكريم لم يقل:استغفر لهم يا رسول اللّه،بل قالوَ اسْ تَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ و بهذا يستفاد بأن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يستغفر للعصاة و المذنبين حيث جعل اللّه له هذا المقام و المنزلة.

فالشفيع لا يمكن أن يشفع للآخرين إلا و قد أذن له عزّ و جل بذلک فى قوله تعالى:يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إِلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَ رَضِىَ لَهُ قَوْلاً (1)و لنا على ذلک من الشواهد الواضحة الدالة على مشروعية التوسط و التوجه بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و الإقبال عليه بالاستغفار و التوبة و الأوبة.

الشاهد الأول:استغفار آدم عليه السّلام و توبته أيضا-كانت بالمجىء للنبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لكن كان مجيئه إليه فى أفق القلب و القصد،فقد ورد فى روايات الفريقين أن رسول اللّه صلى اللّه عليه قال:«لما اقترف آدم الخطيئة،قال:يا رب أسألک بحق محمد لما غفرت لى،فقال اللّه:يا آدم و كيف عرفت محمدا و لم أخلقه؟قال:يا رب لأنک لما خلقتنى بيدک و نفخت فىّ من روحک رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا:

لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه،فعلمت أنک لم تضف إلى اسمک إلا أحب الخلق إليک،فقال اللّه:صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلىّ،

1- (1) سورة طه،الآية:109.

ادعنی بحقه فقد غفرت لک،و لو لا محمد ما خلقتک»(1)فهذه الروایة دالة علی أن مجیء آدم إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لواذه به کان بالتوجه القلبی به إلی اللّه تعالی،و هذا الاقتران بین الشهادتین هو من أعظم و أشرف العبادات التوحیدیة.

الشاهد الثانی:«القمی»قال:حدثنی أبی،عن ابن أبی عمیر،عن معاویة بن عمار،عن أبی العباس المکبر قال:دخل مولی لامرأة علی بن الحسین علی أبی جعفر علیه السّلام یقال له:أبو أیمن،فقال:یا أبا جعفر،یغرون الناس و یقولون:شفاعة محمد شفاعة محمد»فغضب أبو جعفر علیه السّلام حتی تربد وجهه»ثم قال:«ویحک یا أبا أیمن أغرک إن عف بطنک و فرجک؟أما لو قد رأیت إفزاع القیامة لقد احتجت إلی شفاعة محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم؟»ویلک،فهل یشفع إلا لمن وجبت له النار؟«ثم قال:ما أحد من الأولین و الآخرین إلا و هو محتاج إلی شفاعة محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یوم القیامة،ثم قال أبو جعفر علیه السّلام:إن لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الشفاعة فی أمته، و لنا الشفاعة فی شیعتنا و لشیعتنا الشفاعة فی أهالیهم ثم قال:و إن المؤمن لیشفع فی مثل ربیعة و مضر،فإن المؤمن لیشفع حتی لخادمه و یقول:یا رب حق خدمتی کان یقینی الحر و البرد،و هو قوله تعالی:

یَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إِلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَ رَضِیَ لَهُ قَوْلاً» (2).

أقول:یعنی من جعل مبدأ ذلک النور و رضی له القول بالولایة.

الشاهد الثالث:هی من روایات کتب الصحاح لدی أهل السنة

1- (1) المستدرک علی الصحیحین الحاکم النیسابوری:استغفار آدم علیه السّلام بحق محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ج 2 ص 615.
2- (2) سورة طه،الآیة:109 و انظر تفسیر القمی:فزع الأبالسة یوم الغدیر ج 2،201.

الذی تبین بأن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم هو سید الناس یوم القیامة،فیشفع لهم بعد أن یتوجهوا إلیه و یطلبوا منه الشفاعة.

عن أبی هریرة:قال کنا مع النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی دعوة،فرفع إلیه الذراع، و کانت تعجبه،فنهس منها نهسة و قال«أنا سید القوم یوم القیامة»هل تدرون بمن یجمع اللّه الأولین و الآخرین فی صعید واحد فیبصرهم الناظر و یسمعهم الداعی،و تدنو منهم الشمس،فیقول بعض النّاس ألا ترون إلی ما أنتم فیه،إلی ما بلغکم،ألا تنظرون إلی من یشفع لکم إلی ربّکم...فی(فی حدیث طویل)فیأتون آدم علیه السّلام یقول لهم اذهبوا إلی غیری،فیاتون نوحا فیقول لهم،نفسی نفسی،ائتوا النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،فیاتونی، فأسجد تحت العرش فیقال یا محمّد ارفع رأسک و اشفع تشفّع،و سل تعطه».قال محمّد بن عبید لا أحفظ سائره(1).

منها:عن أنس بن مالک،عن النّبیّ صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم قال یجتمع المؤمنون یوم القیامة فیلهمون ذلک فیقولون لو استشفعنا علی ربّنا عزّ و جلّ فأراحنا من مکاننا هذا فیأتون آدم علیه السّلام فیقولون یا آدم أنت أبو البشر خلقک اللّه عزّ و جلّ بیده و أسجد لک ملائکته و علّمک أسماء کلّ شیء فاشفع لنا إلی ربّنا عزّ و جلّ یریحنا من مکاننا هذا فیقول لهم آدم لست هناکم و یذکر ذنبه الّذی أصاب فیستحیی ربّه عزّ و جلّ و یقول و لکن ائتوا نوحا فإنّه أوّل رسول بعثه اللّه إلی الأرض فیأتون نوحا فیقول لست هناکم و یذکر لهم خطیئته و سؤاله ربّه عزّ و جلّ ما لیس له به علم فیستحیی ربّه بذلک و لکن ائتوا إبراهیم خلیل الرّحمن عزّ و جلّ

1- (1) صحیح البخاری:کتاب بدء الخلق باب خلق آدم صلوات اللّه علیه و ذریته ج 4 ح 3375.

فیأتون فیقول لست هناکم و لکن ائتوا موسی علیه السّلام عبدا کلّمه اللّه و أعطاه التّوراة فیأتون موسی فیقول لست هناکم و یذکر لهم النّفس الّتی قتل بغیر نفس فیستحیی ربّه من ذلک و لکن ائتوا عیسی عبد اللّه و رسوله و کلمته و روحه فیأتون عیسی فیقول لست هناکم و لکن ائتوا محمّدا صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم عبدا غفر اللّه له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر فیأتونی قال الحسن هذا الحرف فأقوم فأمشی بین سماطین من المؤمنین،قال أنس حتّی أستأذن علی ربّی عزّ و جلّ فیؤذن لی،فإذا رأیت ربّی وقعت أو خررت ساجدا إلی ربّی عزّ و جلّ فیدعنی ما شاء اللّه أن یدعنی،قال ثمّ یقال ارفع محمّد قل تسمع وسل تعطه و اشفع تشفّع فأرفع رأسی فأحمد بتحمید یعلّمنیه ثمّ أشفع فیحدّ لی حدّا فأدخلهم الجنّة ثمّ أعود إلیه الثّانیة فإذا رأیت ربّی عزّ و جلّ وقعت أو خررت ساجدا لربّی فیدعنی ما شاء اللّه أن یدعنی ثمّ یقال ارفع محمّد قل تسمع و سل تعطه و اشفع تشفّع فأرفع رأسی فأحمده بتحمید یعلّمنیه ثمّ أشفع فیحدّ لی حدّا فأدخلهم الجنّة ثمّ أعود إلیه الثّالثة،فإذا رأیت ربّی وقعت أو خررت ساجدا لربّی عزّ و جلّ فیدعنی ما شاء اللّه أن یدعنی ثمّ یقال ارفع محمّد و قل تسمع وسل تعطه و اشفع تشفّع فأرفع رأسی فأحمده بتحمید یعلّمنیه ثمّ أشفع فیحدّ لی حدّا فأدخلهم الجنّة ثمّ أعود الرّابعة فأقول یا ربّ ما بقی إلاّ من حبسه القرآن(1).

و منها:ما أخرجه النووی عن العتبی قال:«کنت جالسا عند قبر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فجاء أعرابی،فقال:السلام علیک یا رسول اللّه،سمعت اللّه تعالی یقول:وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ

1- (1) مسند أحمد:المجلد الثالث:مسند أنس بن مالک/ح 11710.

وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوّاباً رَحِيماً (1)و قد جئتک مستغفرا من ذنبی مستشفعا بک إلی ربی،ثم أنشأ یقول:

یا خیر من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طیبهن القاع و الأکم

نفسی الفداء لقبر أنت ساکنه فیه العفاف و فیه الجود و الکرم

قال:ثم انصـرف،فحملتنی عینای فرأیت النبی صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی النوم، فقال لی:یا عتبی،الحق الأعرابی فبشره بأن اللّه تعالی قد غفر له»(2).

و منهـا:ما أخرجه البیهقی عن أبی حرب الهلالی قال:(حـج أعرابی،فلما جاء إلی باب مسـجد رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم أناخ راحلته فعقلها ثم دخل المسجد حتی أتی القبر و وقف بحذاء وجه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال:

بأبی أنت و أمی یا رسول اللّه جئتک مثقلا بالذنوب و الخطایا مستشـفعا بک علی ربک لأنه قال فی محکم کتابه:وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَـهُمْ جاؤُکَ فَاسْـتَغْفَرُوا اللّهَ وَ اسْـتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوّاباً رَحِيماً (64) و قـد جئتک بأبی أنت و أمی مثقلا بالذنوب و الخطایا استشـفع بک علی ربک أن یغفر لی ذنوبی و أن یشفع فی)(3).

منها:قال القسطلانی(ت 923):«و قـد روی أن مالکا لما سأله أبو جعفر المنصور العباسـی ثانی خلفاء بنی العباس-یا أبا عبد اللّه أأسـتقبل القبلة و أدعو،أم أستقبل رسول اللّه؟فقال(مالک):و لم تصرف وجهک عنه و هو و سیلتک و وسیلة أبیک آدم علیه السّلام إلی اللّه تعالی یوم

1- (1) سورة النساء،الآیة:64.

2- (2) الأذکار النوویة النووی:کتاب أذکار الجهاد باب استحباب سؤال الشهادة ص 206/کذلک فی تفسیر ابن کثیر:باب لا یکون الرجل مؤمنا حتی یرضی بما حکم به رسول اللّه ص 532 ج 1.

3- (3) الدر المنثور:سورة البقرة ج 1 ص 238.

القيامة؟بل استقبله و استشفع به فيشفعک اللّه تعالى»(1).

و لا يمكن لقائل أن يخصص هذا المجيء و الاستغفار بحياة النبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،لأن مفاد تعاليم القرآن خالدة بخلود القرآن و السيرة دلت على الشمول و العموم و عدم الاختصاص بالفترة الزمنية التى عاشها النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فطلب المغفرة و المجيء ليست مختصة بحياته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الدنيوية و إلا عطل العمل بهذه الآيات،و تقوضت أركان التوبة فى الدين.

و المقامات الإلهية و القربى و الزلفى لرب العالمين لا تكون إلا بالتوجه بالنبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و هذه شرط فى قبول العبادة و صحة الإيمان.

شرطية التوسل بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

و هذه الآية كشفت النقاب عن شرطية التوسل بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،جاءت بشكل رتبى ترتيبى،حيث أخذت المراتب بعين الاعتبار و هى كالتالى:

الشرط الأول:قبول الأعمال و صحة الإيمان هو بالمجيء إلى الحضرة النبوية و الالتجاء إليه،و اللوذ به،و الاستعاذة و الاستجارة به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و المجيء إلى النبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو عين التوجه إليه و التوسل به فى قبول التوبة.

الشرط الثانى:إبرار الندامة و الاستغفار و إعلان التوبة و الخشية الرجوع إلى اللّه تعالى و الاقتراب منه و قصد التوجه إليه.

الشرط الثالث:إمضاء النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم توبة التائبين و عبادة العابدين للّه تعالى و شفاعته فى توبة مذنبى الأمة عند اللّه.

1- (1) شرح المواهب:ج 8 ص 304-305/و المدخل:ج 1 ص 248،252/و وفاء الوفاء:ج 4 ص 1371 و ما بعدها/و الفواكه الدوانى:ج 2 ص 466/و شرح أبى الحسن على رسالة القيروانى ج 2 ص 478/و القوانين الفقهية:ص 148.

و أول شـرط لقبول توبـة المذنب و الظالم لنفسه ليس إظهار الندامة من العبد أمام اللّه تعالى مباشـرة و ابتداءا،بل الشـرط الأول هو المجيء إلى الحضـرة النبوية و الالتجاء إليه،و اللواذ و الاستعاذة و الاستجارة به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فأولا لابد أن يأتى العبد إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و يلـوذ به،ثم بعـد ذلـک يظهر الندامـة و الاسـتغفار للّه عزّ و جـل؛إذ الـترتيب للشـروط فى الآيـة المباركـة ترتيب رتبى،حيث أخذت بعين الاعتبار،لا أنه ذكرى فقط بقرينة العطف بالفاء.

ثم إنه سـبحانه ترک باب التوبـة و الإنابـة-عقيب تلک الآيـة-مفتوحا للعصاة و المـذنبين حيث جعل اللّه تعالى الملاذ و الملجئ هو النبى صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم، فلا بـد من الكينونة فى الحضـرة النبوية ثم إظهار عبادة الاسـتغفار، لأنه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم باب اللّه تعالى الذى منه يؤتى،فيكون اللواذ باللّه عزّ و جل باللواذ بنبيه الأكرم صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم؛و لذا بعد الاستجارة بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال تعالى:لَوَجَدُوا اللّهَ تَوّاباً رَحِيماً(64) و اللجوء و الإنابة إلى اللّه بنبيه أخذ شـرطا فى أعظم المواقف للعبد مع ربه و هو التوبة و غفران الـذنوب فكيف بما دونه من العبادات التى هى ذخيرة أخروية خالدة فكيف بالحاجات الدنيوية الزائلة التى هى متاع قليل فى جنب متاع الآخرة.

إذن اسـتغفارهم لأنفسـهم عند اللّه تعالى لا يغنيهم عن التوجه بالنبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم،و معنى ذلک أن للمجيء عند النبى ثم الاستغفار موضوعية فى حصول المغفرة.

و لا شک أن الاسـتغفار و طلب المغفرة عبادة من العبادات و نوع خاص من أنواع الـدعاء و حالة من الارتباط بين العبد و ربه،و للكون عند النبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و المجيء عنده دخالة فى قبول تلک العبادة و توثيق الدعاء و الارتباط بين العبد و ربه و الإقبال على اللّه تعالى.

و هـذا هو معنى أنّ للّه عزّ و جـل مواضع و مواطن مشّرفة يقبـل الـدعاء بـالكون فيها و المثول تحت قبتها،كما فى الكون فى عرفـة و تحت الميزاب عنـد الكعبـة و عنـد الملتزم و المسـتجار و غيرها،و كما ورد من أن الصـلاة فى البيت الحرام تعـدل كذا ألف ركعة،و هذا يعنى أن للكون فى البيت الحرام دخالة فى توثيق الارتباط بين العبد و بين اللّه تبارک و تعالى.

و من الواضـح أيضـا أن الظلم المـذكور فى الآيـة المباركـة ليس مختصـا بالـذنوب الفرديـة التى بين العبـد و ربه،و إنمـا هو شامـل للظلم الاجتماعى السياسـى أو النظام الاقتصادى المعاشى أو التعدى على المنظومة الحقوقية و الأخلاقية،و معنى ذلک أن استعلام و معرفة تلک الأمور الفردية و الاجتماعية لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق الالتجاء و اللواذ بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فكل حيف أو زيغ يحصل من الفرد أو المجتمع فى تلـک الأمور لابـد من الرجوع فيها إلى الرسول الأكرم صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم،و فى مقابل تعـدد أنواع الظلم يتعدد أنواع اللجوء و التولى و التوجه للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

ثم إن ذكر التوبـة و الاسـتغفار فى الآيـة الكريمـة لا لخصوصـية فيها، و إنما ذكرت بما هى عبادة من العبادات،لكونها أوبة و رجوع إلى اللّه تعالى و اقتراب منه و قصـد و توجه إليه،فليست الآيـة فى ذكرها لشـرطية التوسل بالنبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم خاصـة بالتوبة،بل هى شاملة فى ذلک لكل العبادات.

خصوصا و أن التوبـة هى الأوبـة،من آب يؤوب،و الأوبـة الرجوع إلى اللّه تعالى،أى الاقتراب و الزلفى منه عزّ و جل،و لا شک أن العبادات بمجموعها طلب الأوبـة و القرب و الزلفى إلى اللّه تعالى،فهى نوع من أنواع التوبـة،و بناء على ذلک لا تكون التوبة عملا منحازا و منفصـلا عن سائر العبادات كالصلاة و الحج و غيرهما،بل هى عمل عام و شامل لكافة العبادات.

و هـذه الآيـة الكريمة الدالة على شـرطية التوجه و التوسل و ضـرورته فى جميع المقامات ليست خاصة بحياة النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم؛إذ ليس المراد من المجىء الحضور الجغرافى الجسمانى لبدن المذنب عند النبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقط،بل المجىء الفيزيائى و البدنى المكانى أحد المصاديق المقصودة فى الآية الكريمة،و التعبير بالمجىء كنائى،يراد به مطلق الاستغاثة و التوسل و التوجه القلبى إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و الحاصل:إن هذه الآية المباركة جاءت لبيان ماهية التوبة و شرائطها العامة،التى يشترك فيها كافة المسلمين و فى جميع الأزمنة، فلا يمكن أن تكون مختصـة بالفترة التى عاشـها النبى الأكرم صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم أو بمن زامن و عايش تلك الفترة،فالمراد من المجىء مطلق الارتباط بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،بالتوجه إليه و الكينونة فى حضرته المباركة،ثم الإتيان بعبادة الاستغفار،و هذا المضمون متطابق مع مفاد قوله تعالى:وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَـلًّى ،إذ معنى ذلك أن حضـرة الأنبياء و محضـرهم مشاعر شـعرها اللّه تعالى ليتقرب بها إليه.

و يتضـح هـذا الشاهـد أكثر إذا علمنا أن النبى الأكرم صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم بعث رحمـة للعالمين،و هذه من الرحمات العامة للنبى الأكرم صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم على هـذه الأمة، و غير مختصة بمن حضـر الحضور الفيزيائى البدنى عند النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

كمـا إنه نفس التعبير فى قوله تعـالى(جـاؤوك)يتضـمن معنى اللواذ و اللجوء و الاسـتغاثة و التوسـل و التوجه القلبى،و ليس فيه دلالـة على الاختصاص بالحضور الجسمانى.

كذلك لا بد أن يعلم أن الآية الخاصة فى المقام غير مختصة بالرسول الأعظم صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم،بل هى سنة إلهية جارية فى النبى صلّى اللّه عليه و على أهل بيته فالآية عامة؛كما يشير هذا التعميم إلى عترة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم آية

عرض الأعمالوَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ ،حيث شملت الذين آمنوا و هم أولوا الأمر من أهل البيت عليهم السّلام،كما نص على ذلک قوله تعالى:هُوَ اجْتَباكُمْ وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هذا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ (1)إذ هم الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم و إسماعيل المجتباة الذين بعث فيهم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و جعلهم اللّه شهداء على الناس و على أعمالهم و عقائدهم،و يدل على العموم أيضا الآيات المتقدمة التى نصت على وجوب المجيء إلى إبراهيم فى الحج و وجوب الصلاة عند مصلاه و هوى القلوب إلى ذريته.

إذن التوجه إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته عليهم السّلام فى التوبة و العبادة و نيل المقامات شرط و مشارطة إلهية لابد من توفرها لنيل ما يبتغيه العبد.

التوسل بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ميثاق الأنبياء:

قال تعالى:وَ إِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشّاهِدِينَ (2).

هذه الآية توسعة لمضمون الآية السابقة من سورة النساء،فالميثاق المذكور فى هذه الآية المباركة معناه أن هناک تعاقدا بين اللّه تعالى و الأنبياء عليهم السّلام،و الطرفان اللذان وقع عليهما التعاوض فى الميثاق و التعاقد هما النبوة و المقامات الغيبة التى أعطاها اللّه تعالى للأنبياء فى مقابل أمر مهم و خطير لا بد أن يؤمنوا به،و هو قوله تعالى:جاءَكُمْ

1- (1) سورة الحج،الآية:78.

2- (2) سورة آل عمران،الآية:81.

رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ فالمقامات الإلهية و المنح الربانية إنما تعطى للأنبياء بشرط الإيمان بخاتمهم و نصرته،و لا شک أن الذى يكون ناصرا إنما هو تابع للمنصور و المنصور قائد له،فالأنبياء كلهم مأمومون و الرسول الأكرم إمامهم،و الأنبياء سبقوا الناس بالاصطفاء الإلهى الخاص وحبوا بالنبوة و الرسالة و المقامات الغيبية بتوسط إيمانهم بولاية النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تعهدهم بنصرته و مؤازرته،و هم أسبق الناس شيعة و إسلاما لخاتم الأنبياء صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و فى صحيح البخارى:عن ابن عباس قال:ما بعث اللّه نبيا إلا أخذ عليه ميثاقا لئن بعث محمد و هو حى ليؤمنن به و لينصرنه،و أمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد و هم أحياء ليؤمنن به و لينصرنه و ليتبعنه يعلم من هذا أن جميع الأنبياء بشروا و أمروا باتباعه(1)(2).

فلذلک أخذ الميثاق من جميع الأنبياء و الرسل على الإيمان بنبوة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و نصرته و التبشير به،و دعوة أممهم إلى تصديق دعوته و الإقرار بها.

الأنبياء على دين النبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

و من ثم فإن هذه الآية المباركة تدلل على أن الأنبياء بعد إيمانهم باللّه عزّ و جل هم آمنوا بخاتم الأنبياء و بمشايعته و بمؤازرته،فالأنبياء كانوا على دين النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو الإسلام.

1- (1) البداية و النهاية لابن كثير:ج 2 باب مبعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تسليما كثيرا.

2- (2) و هذا لا يخص طائفة من الأنبياء دون غيرهم،بل بمن فيهم من أولى العزم من الرسل صلوات اللّه عليهم.

قال تعالى فى الآية المباركة:مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ معناه أن النبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليس تابعا للأنبياء و التعبير بمصدق و ليس التعبير بمؤمن أى أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مشرف على مقامات الأنبياء،و ليست مقاماتهم غيب بالنسبة إليه ليقال مؤمن بهم و هذا بخلافهم مع مقامه فإنهم يؤمنون به لأن مقامه غيب لهم و ليسوا بمشرفين مستعلين على مقامه،بل تابع للوحى الإلهى جملة، الذى هو فعل اللّه تعالى؛و لذا لم يأمر اللّه عزّ و جل نبيه الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالاقتداء بالأنبياء و إنما بالهدى الذى هم عليه،قال تعالى:أُولئِکَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ (1).

فالنبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليس على هدى نبى من الأنبياء و ليس هو تابعا لأحد من الرسل،بل هو على هدى اللّه عزّ و جل،و هو أول المسلمين، و الفاتح الأول للهدى الإلهى و الدين الإسلامى الواحد هو خاتم الأنبياء، و لم يعبر عن نبى من الأنبياء فى القرآن الكريم بأنه أول المسلمين على الاطلاق سوى النبى محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و ذلک فى قوله تعالى:قُلْ إِنَّ صَلاتِى وَ نُسُکِى وَ مَحْياىَ وَ مَماتِى لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ(162)لا شَرِيکَ لَهُ وَ بِذلِکَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ(163) (2)و قوله تعالى:قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ(11) وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَکُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ(12) (3).

و أما سائر الأنبياء فقد عبر عنهم فى القرآن الكريم بأنهم من المسلمين،بما فيهم الأنبياء من أولى العزم،فقد حكى اللّه عزّ و جل على لسان نوح قوله:

فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَما سَأَلْتُکُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاّ عَلَى اللّهِ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَکُونَ

1- (1) سورة الأنعام،الآية:90.

2- (2) سورة الأنعام،الآيتان:162-163.

3- (3) سورة الزمر،الآيتان:11-12.

مِنَ الْمُسْلِمِينَ (1)و لم يعبر عنه بأنه أول المسلمين،و لا شک أن الدين عند اللّه عزّ و جل واحد،قال تعالى:إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الْإِسْلامُ (2)،و لا يتقبل من أىّ مخلوق من المخلوقات غير الإسلام،قال تعالى:وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ (3)، فالنبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أول المسلمين و أول من نطق بالميثاق الذى أخذه اللّه على الأنبياء و المرسلين كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام قال:إنّ اللّه أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبيّنا أن يخبروا أممهم بمبعثه و نعته، و يبشّروهم به،و يأمروهم بتصديقه(4)و فى الهداية الكبرى للخصيبى فى حديث له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث يقول:و قد علمتم أن الميثاق أخذ لى على جميع النبيين،و أنا الرسول الذى ختم اللّه بى الرسل،و هو قولهرَسُولَ اللّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ (5).

«فكنت و اللّه قبلهم و بعثت بعدهم و أعطيت ما أعطوا و زادنى ربى من فضله ما لم يعطه لأحد من خلقه غيرى،فمن ذلک إنه أخذ لى الميثاق على سائر النبيين و لم يأخذ ميثاقى لأحد،و من ذلک ما نبأ نبيا و لا أرسل رسولا إلا أمره بالإقرار بى و أن يبشر أمته بمبعثى و رسالتى»(6).

فهو بذلک أفضل الأنبياء و الرسل و هو الإمام المتبوع و هم المأمومون التابعون له فى دين الإسلام،فضلا عن غيرهم من

1- (1) سورة يونس،الآية:72.

2- (2) سورة آل عمران،الآية:19.

3- (3) سورة آل عمران،الآية:85.

4- (4) بحار الأنوار للمجلسى:ج 15 باب 2 البشائر بمولده و نبوته.

5- (5) سورة الأحزاب،الآية:40.

6- (6) الهداية الكبرى/الحسين بن حمدان الخصيبى:380.

المخلوقين،و لـذا ورد فی الحـديث عن أبی عبـد اللّه عليه السّـلام:(أن بعض قريش قال لرسول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم:بأی شـیء سبقت الأنبيـاء و أنت بعثت آخرهم و خاتمهم؟قال:إنی كنت أول من آمن بربی و أول من أجاب حين أخـذ اللّه ميثاق النبيين:(و أشـهدهم علی أنفسهم ألست بربكم قالوا بلی)فكنت أنا أول نبی قال بلی،فسبقتهم بالإقرار باللّه»(1).

فمن خلال هذه الأحاديث يعلم بأن النبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم له منزلة عظيمة عند اللّه سبحانه و تعالی فهو سيد ولد آدم عليه السّلام فلهـذا بعث لجميع الأـمم و الأزمنـة و العصور،بعكس الأنبيـاء و الرسل حيث منهم من بعث لأجل قومه و المدينـة التی كان يعيش فيها و بعضـهم أرسل لبعض الأمم دون سواها،فإقرار الأنبياء بنبوة الرسول الأكرم صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم و نصـرته لإعلاء كلمة واحدة و هی التوحيد،فلذلک آمن به حتی من لايدين بدين الإسلام كاليهود و النصاری فی حياته و مماته لصراحة البشائر الكثيرة فی التوارة و الأنجيل.

فالنبی الأكرم هو علی هـدی اللّه سـبحانه و تعالی،و مصدق لما مع الأنبياء،أی شاهد علی ما هم عليه من دينه الحنيف و بإمضائه يصدق ما هم عليه،أما الأنبياء فهم يؤمنون بخاتم الأنبياءلَتُؤْمِنُنَّ بِهِ لا أنهم يؤمنون بما معه،فإيمانهم بذات النبی صـلّی اللّه عليه و آله و سلّم،فهو صلّی اللّه عليه و آله و سـلّم شاهد مطلع مصدق علی ما عندهم،و أما هم فيؤمنون به،و هذا يعنی أنه لا يوجد فی مقامات الأنبياء و درجاتهم عند اللّه تعالی ما هو غيب عن النبی صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم، و أما الذی يؤمن بذات النبی صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم و هم سائر الأنبياء عليهم السّـلام فهو يؤمن بأمر غيبی،فمقام النبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم بالنسبة إلی باقی الأنبياء غيب الغيوب،و أما مقامات سائر الأنبياء فالنبی الأكرم صلّی اللّه عليه و آله و سلّم مطلع عليها و يعلمها و يشهد لها

1- (1) الكافی/باب بلد النبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و وفاته ج 1 ص 441.

على صدقها،و الأنبياء فى أصل نيلهم لمقام النبوة إنما استأهلوه بعد أن آمنوا بخاتم الأنبياء قبل سائر الأرواح فى عالم الأرواح و شرطوا على أنفسهم التولى لسيد الأنبياء صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لذا فإنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شفيع الكل،و الأنبياء لم ينالوا ما نالوا إلا بالديانة لخاتم الأنبياء،فهو الشفيع لقبول الأعمال، و هو باب رحمة اللّه العامة قال تعالى:وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ (1).

و من ذلک كله يتضح ان هذه الآية المباركة نص فى المقام الثالث، و أن التوجه إلى اللّه لنيل أى مقام أو قربى أو زلفى لا يتم إلا بالتوسل بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و التشفع به،و بالتشفع به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يعطى للعبد أعظم الأرزاق بعد إيمانه بسيد الأنبياء و المرسلين.

ثم إن الآية الكريمة رسمت خطورة الأمر فى ضمن تأكيدات مغلظة،حيث جاء فيها قوله تعالى:أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِى و بعد أن تم الإقرار و المعاهدة و المعاقدة المشددة أشهدهم اللّه تعالى على ذلک،حيث قال:فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشّاهِدِينَ (2).

أهل البيت عليه السّلام شركاء النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى دائرة الميثاق:

من خلال البحث السابق تبين لدينا بأن الأنبياء لم ينالوا ما نالوا من مقام النبوة إلا بالديانة لخاتم الأنبياء و المرسلين و نصرته و الإيمان بما معه،و تترتب على هذا بأن أهل بيته يشتركون مع النبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى دائرة الميثاق و الدين الحنيف،الذى أخذ على الأنبياء الإيمان به و الدعوة إليه.

1- (1) سورة الأنبياء،الآية:107.

2- (2) سورة آل عمران،الآية:81.

و إن كان أهل البيت عليهم السّلام تابعين للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هم يتوجهون به إلى اللّه تعالى،و بشفاعته يكونون معه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مقامه،و هو مقام الشفاعة العظمى فى يوم القيامة.

و هناك وجوه عديدة على اشتراك أهل البيت عليهم السّلام مع النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى دائرة الميثاق ما دل على الذى أخذ على الأنبياء لينصروه و يدعون إليه و إليک بعضها مضافا إلى الآيات الدالة على شراكة المقامات كآية المباهلة فى الحجيةوَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ و آية التطهير و آية الطاعة و آيات أخرى هذا مضافا إلى ما فى الروايات:

1-من هذه الوجوه بأن الأنبياء و المرسلين سوف يقاتلون بين يدى إمام المهدى المنتظر عجل اللّه فرجه الشريف كما نصت على ذلک الروايات المتظافرة فى ما يختص برجعة الأئمة عليهم السّلام،حيث جاء فيها أن عيسى عليه السّلام و إدريس و الخضر عليهما السّلام و غيرهما من الأنبياء سوف يقاتلون بين يدى الإمام المهدى عليه السّلام عند قيامه بدولة الحق و العدل.

و هذا من طرق الفريقين،بل إن بعض الروايات الصادرة عن أهل البيت و الرسالة نصت بأن جميع الأنبياء و المرسلين سوف يقاتلون مع الأئمة عليهم السّلام عند رجوعهم و قيام الدولة العالمية المباركة.

و نشير فيما يلى إلى بعض تلک الروايات التى وردت فى هذا المجال:

منها:الروايات التى دلت على أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السّلام ينزل لنصرة المهدى عليه السّلام،و يبايعه و يصلى خلفه.

عن حذيفة بن اليمان قال:قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«يلتفت المهدى عليه السّلام و قد نزل عيسى ابن مريم عليه السّلام كأنما يقطر من شعره الماء(1)

1- (1) أى إن شعر رأسه يلمع كأنما دهن شعره.

فیقول المهدی:تقدّم وصل بالناس،فیقول عیسی ابن مریم:إنما أقیمت الصلاة لک،فیصلی عیسی خلف رجل من ولدی،فإذا صلیت قام عیسی حتی جلس فی المقام فبایعه»(1).

منها:عن الإمام الصادق علیه السّلام:أتی یهودی إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،فقام بین یدیه یحد النظر إلیه،فقال:یا یهودی ما حاجتک؟قال:أنت أفضل أم موسی بن عمران النبی الذی کلمه اللّه تعالی،و أنزل علیه التوراة و العصا و فلق له البحر و أظله بالغمام؟فقال له النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«إنه یکره للعبد أن یزکی نفسه،و لکن أقول:إنّ آدم علیه السّلام لما أصاب الخطیئة کانت توبته أن قال:اللّهم إنی أسالک بحق محمّد و آل محمّد لمّا غفرت لی فغفر اللّه له،و أن نوحا علیه السّلام لما رکب فی السفینة و خاف الغرق،قال:اللّهم إنی أسالک بحق محمّد و آل محمد(لمّا أنجیتنی)من الغرق،فنجاه اللّه منه، و إنّ إبراهیم علیه السّلام لما ألقی فی النار قال:اللّهم إنی أسألک بحق محمد و آل محمّد لما أنجیتنی منها،فجعلها اللّه علیه بردا و سلاما،و إن موسی علیه السّلام لمّا ألقی عصاه فأوجس فی نفسه خیفة،قال:اللّهم إنی أسألک بحق محمّد و آل محمّد(لما آمنتنی)منها،فقال اللّه جل جلاله:

لا تَخَفْ إِنَّکَ أَنْتَ الْأَعْلی (2).

یا یهودی:إن موسی لو أدرکنی ثم لم یؤمن بی و بنبوتی ما نفعه إیمانه شیئا،و لا نفعته النبوة،یا یهودی من ذریتی المهدی،إذا خرج نزل عیسی ابن مریم لنصرته،فقدمه و صلی خلفه(3).

1- (1) عقد الدرر ص 229-230،طبع مصر 1399 ه،و قال بعد ذکر الحدیث:أخرجه الحافظ أبو نعیم فی(مناقب المهدی)و الطبرانی فی معجمه.

2- (2) سورة طه،الآیة:68.

3- (3) الإرشاد للمفید:ج 2 ص 361.

و ذكر الإمام أبو إسحاق الثعلبى فى تفسير القرآن العزيز فى قصة أصحاب الكهف قال:و أخذوا مضاجعهم و صاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان عند خروج المهدى عليه السّلام يقال أن المهدى يسلم عليهم فيحييهم اللّه عزّ و جل ثم يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون إلى يوم القيامة(1).

و جاء فى بعض الروايات بأن أهل الكهف هم من أعوان المهدى و وزرائه،كما يمد اللّه الإمام بثلاثة آلاف من الملائكة،و روى المفضل بن عمر،عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:(يخرج القائم عليه السّلام من ظهر الكوفة سبعة و عشرون رجلا،خمسة عشر من قوم موسى عليه السّلام الذين كانوا يهدون بالحق و به يعدلون،و سبعة من أهل الكهف،و يوشع بن نون،و سلمان،و أبو دجانة الأنصارى،و المقداد،و مالك الأشتر، فيكونون بين يديه أنصارا و حكاما(2).

نصرة عيسى عليه السّلام و الأوصياء للإمام المهدى عليه السّلام و أعوانه نصرة للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فإنه بنصر الإمام عليه السّلام كما هو مقتضى التكليف بذلک استأهل النبى عيسى عليه السّلام النبوة،فتسليم الأنبياء لهؤلاء الحجج هو تسليم لغيبه تعالى،و هذا من أعظم ما ابتلى به الأنبياء من أخذ الميثاق لهم).

منها:الروايات الواردة التى دلت على أن نصرة الأنبياء للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنما تحصل بالنصرة لوصيه و ابن عمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام:

فعن أبى عبد اللّه عليه السّلام عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:«و على ذلک أخذت ميثاق الخلائق و مواثيق أنبيائى و رسلى،أخذت مواثيقهم لى بالربوبية،

1- (1) البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان العلامة المتقى الهندى ص 87 مطبعة الخيام بقم.

2- (2) الإرشاد للشيخ المفيد ج 2:باب سيرة القائم عليه السّلام عند قيامه.

ولک یا محمد بالنبوة،و لعلی بن أبی طالب بالولایة..»(1).

و کذلک الروایات الدالة علی نصـرة أمیر المؤمنین علیه السّـلام و القتال بین یدیه فی دولته المبارکة،نظیر ما أخرجه سعد بن عبد اللّه القمی عن فیض بن أبی شـیبة،قال:سـمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول،و تلا هذه الآیة:وَ إِذْ أَخَذَ اللّهُ مِیثاقَ النَّبِیِّینَ :«لیؤمنن برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لتنصرن علیا أمیر المؤمنین علیه السّلام».

قال:نعم و اللّه من لدن آدم فهلم جرا،فلم یبعث نبیا و لا رسولا إلا رد جمیعهم إلی الدنیا حتی یقاتلوا بین یدی علی بن أبی طالب»(2).

و عن أبی سـعید الخـدری قال:(کنا جلوسا ننظر رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم فخرج إلینا قـد انقطع شـسع نعله فرمی به إلی علی رضی اللّه عنه فقال:إن منکم رجلا یقاتل الناس علی تأویل القرآن کما قاتلت علی تنزیله.قال أبو بکر:

أنا؟قال:لا،قال عمر:أنا؟قال لا،و لکن خاصف النعل(3)الترغیب فی نصرة علی رضی اللّه عنه).

فمن الواضح بأن نصـرة أمیر المؤمنین علیه السّـلام نصرة لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لا تتعلق بالقرابة التی هی متصلة بالرسول بل هذا أمر إلهی جاء من عند اللّه سـبحانه تعالی،کما إن ولایة النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أهل بیته علیهم السّلام أخذت من جمیع الملائکـة و سـائر الکائنـات،لأنهـا لاـ تختص بـالموجودات الأرضـیة فقط،بل هم سـفراء اللّه بینه و بین خلقه فی کل المقامات العلمیـة و التکوینیة.

1- (1) البحار ج 15:بدء خلقه و ما جری له فی المیثاق ص 18.

2- (2) مختصر بصائر/الحسن بن سلیمان الحلی:ص 25.

3- (3) خصائص أمیر المؤمنین النسائی:الترغیب فی نصرة علی رضی اللّه عنه ص 131.

اقتران أهل البيت عليهم السّلام بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الطهارة:

قال اللّه تعالى:إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (1)،حيث قرنت هذه الآية المباركة بالنبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أهل بيته عليهم السّلام و جعلتهم شركاء له تابعون فى الطهارة،و هى تعنى درجة العصمة التى للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فهو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سيد الأنبياء و يفوق الكل فى درجة العصمة و الطهارة،إلاّ أن سنخ العصمة التى لأهل البيت عليهم السّلام متقاربة مع سنخ عصمته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،ففى الوقت الذى قرن اللّه تعالى بنبيه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أهل بيته فى العصمة و الطهارة،لم يقرن أحدا من الأنبياء فى نمط التطهير و العصمة الذى له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

كذلك فى قوله تعالى:فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ (2)،فلم ينزل أحد كنفس النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلا على عليه السّلام،و قرن اللّه تعالى بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أهل بيته عليهم السّلام فى الحجية، فالخمسة عليهم السّلام معا حجج على جميع الأديان السماوية و البشرية عموما إلى يوم القيامة،فهم عليهم السّلام شركاء النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مسؤولية الرسالة؛لأن المباهلة نوع محالفة،و فى الحلف لابد أن يحلف الأصيل و لا وكالة فى الحلف،و هذا يعنى أنهم عليهم السّلام شركاء فى الرسالة أصالة،و لكنهم تابعون فى ذلك للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو سيدهم و بشفاعته نالوا الأصالة فى الحجية.

و الحاصل:إن أهل البيت عليهم السّلام مقرونون بسيد الأنبياء فى المقامات تبعا له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و هذا يعنى أن الإيمان بأهل البيت و التولى لهم من الدين

1- (1) سورة الأحزاب،الآية:33

2- (2) سورة آل عمران،الآية:61.

الذى أخذ على الأنبياء و من الإيمان به و نصرته لأجل نيل المقامات العالية عند اللّه تعالى.

و هذا هو المستفاد من الآيات المباركة الدالة على عموم شرطية التوسل بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته عليهم السّلام لصحة الإيمان و للتوبة و سائر العبادات و لنيل مقامات القرب.

النبى و أهل بيته هم كلمات اللّه التامّات«صلوات اللّه عليهم

أجمعين»:

قال اللّه تعالى:فَتَلَقّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ 1ورد لفظة الكلمة و الكلمات فى عدة سور من الآيات الكريمة، و الكلمة مقاربة فى معناها لمعنى لفظ الآية،حيث إن معناها العلامة الدالة على معنى و مدلول ما،و قد أطلق لفظ الآية على الوجودات التكوينية فى موارد عديدة من القرآن الكريم.

كما أن لفظة(الاسم)قريبة من معنى(الكلمة و الآية)التى هى بمعنى السمة و هو العلامة أيضا الدالة على شىء أو معنى ما.

و هناك شواهد كثيرة فى القرآن الكريم على معنى لفظة(الكلمة) و إليك بعضها:

منها:ما أطلق تعالى على عيسى ابن مريم عليه السّلام فى قوله:إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ 2،و هذا الإطلاق ليس مجازيا،بل حقيقا؛لكون الأصل فى معنى الكلمة هو الشىء الموجود

لأجل الدلالة على المعنى الخفى،و أى دلالة أعظم على صفات اللّه من أنبيائه و رسله و الأوصياء و الحجج الذين يقتدى و يهتدى بهم كما يهدى اللّه بكلماته،و الآية الكريمة ناظرة إلى هذا المعنى.

منها:إذ امتحن اللّه إبراهيم الخليل عليه السّلام بالعهود و المواثيق و الأوامر و أعظم ما ابتلى به إبراهيم من أخذ الميثاق لهم عليهم أفضل الصلوات و السلام قال اللّه تعالى:وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ (1)حيث جاءت الكلمات بمعنى الامتحان و الاختبار الذى تتعلق بشؤون(الإمامة) و التى أشرف مصاديقها على الإطلاق و أكرمها عند اللّه عزّ و جل هم محمد و آل بيته الطاهرون عليهم أفضل الصلاة و السلام و قد مرت آية أخذ الميثاق على النبيين بالإيمان بسيد الرسل كشرط لنيل النبوة و كل مقام غيبى كالإمامة و غيرها.

فهذه الكلمات هى ميثاق إبراهيم عليه السّلام لما أتمها و آمن و أسلم بواسطتها للّه رب العالمين استحق مقام الإمامة الإلهية،فامتحن إبراهيم بالإيمان و التصديق بها نظير ما ورد فى شأن مريم أنها صدقت بكلمات ربها،فهذه الكلمات هى حجج اللّه الناطقة من نبى أو رسول أو وصى و كان إتمامها سببا لنيل المقامات العالية و هى محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الطاهرين عليهم السّلام.

منها:ما أطلق على حجج اللّه تعالى(الكلمات)من باب تشبيههم بكلمات اللّه التى يهتدى بها المهتدون،و قد أطلق عليهم كلمات اللّه «التامة»فى كثير من الأخبار لدى الفريقين و الزيارات الخاصة بهم عليهم الصلاة و السلام.

و قد ورد فى جملة من هذه الأحاديث عن الكلمات التى تلقاها

1- (1) سورة البقرة،الآية:124.

آدم علیه السّلام ففی مناقب ابن المغازلی الشافعی،بإسناده عن ابن عباس:

(سألت النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عن الکلمات التی تلقاها آدم من ربه فتاب علیه،قال:

سأله بحق محمد و علی و فاطمة و الحسن و الحسین إلا تبت علی فتاب علیه)(1).

و جاء فی ینابیع المودة للقندوزی الحنفی عن المفضل قال:سألت جعفر بن محمد الصادق علیه السّلام عن قوله عزّ و جل:وَ إِذِ ابْتَلی إِبْراهِیمَ رَبُّهُ بِکَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قال:هی الکلمات التی تلقاها آدم من ربه فتاب علیه،و هو أنه قال:یا رب أسألک بحق محمد و علی و فاطمة و الحسن و الحسین إلا تبت علی،فتاب اللّه علیه إنه هو التواب الرحیم.فقلت:یا بن رسول اللّه فما یعنی بقوله:«فأتمهن»؟قال:یعنی أتمهن إلی القائم المهدی اثنی عشر إماما تسعة من ولد الحسین علیهم السّلام(2).

و هذه الأسماء هی التی کانت فی باطن عالم الملکوت لم یکن یعلم بها الملائکة،تلقاها آدم من ربه و هی أعظم الکلمات الحیة العاقلة الشاعرة قال اللّه تعالی:وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ کُلَّها و من تلک الأسماء هو خاتم النبیین صلوات اللّه علیه،و قد ورد فی المستدرک أنه لولاه لما خلق آدم و لا الجنة و لا النار(3).

و إذا کان أبرز مصادیق الأسماء هو النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فبقیة الکلمات و الآیات هم أهل بیته علیهم أفضل السلام بقرینة الروایات الواردة

1- (1) مناقب ابن المغازلی:63 الحدیث 89،و عنه:ینابیع المودة 1:288 الحدیث 4،و انظر تفسیر الدر المنثور 1:60-61 ذیل الآیة عن ابن النجار.

2- (2) ینابیع المودة للقندوزی الحنفی:ج 1 باب الرابع و العشرون فی تفسیر قوله الذین آمنوا و عملوا الصالحات طوبی.

3- (3) المستدرک:ج 2 ص 671 و 672.

و الآيات القرآنية المقرنة أهل البيت بالنبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم،و لا سيما أن العقائد الإسلامية ليست خاصة ببعثة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بل بعث به كافة الأنبياء و الرّسل.

و الميثاق الـذى تحمله آدم و آمن به و نال بواسـطته مقام الخلافـة هو الولاية للنبى الأكرم صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و أهل البيت عليهم السّلام،و هو شرط لنيل المقامات العظيمة عند اللّه تعالى كالنبوة و الرسالة.

و بـذلک كل ما هو داخل فى دائرة الـدين يكون من الميثاق الذى أخذ على الأنبياء الإيمان به و نصـرته و التسـليم له،و من الدين ولاية أهل الـبيت عليـه السّـلام بنص القرآن الكريم فى قـوله تعـالى:اَلْيَـوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَـتِى وَ رَضِـيتُ لَكُمُ الْإِسْـلامَ دِيناً (1)حيث نصت روايات الفريقين على أن هـذا المقطع من الآية المباركة نزل عند تنصـيب اللّه عزّ و جل أمير المؤمنين عليه السّـلام لمقام الخلافة و الإمامة بعد رسول صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ذلک فى واقعة غدير خم(2)و بهذا تكون الإمامة و الولاية داخلة فى منطق الدين و ليست داخلة فى فروع الشريعة،بل هى تتلو أصل النبوة،و الذى كمل به الدين أمر بنيوى و محورى.

و من ثم كان(الـدين)عبارة عن ولايـة اللّه و ولايـة الرسول و ولاية أولى الأمر و الطاعة لهم،قال تعالى:إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُون (55)وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغالِبُونَ (56) (3).

و الولاية و الطاعة أصالة للّه و بالتبع للنبى و أولى الأمر بإذن و أمر اللّه

1- (1) سورة المائدة،الآية:3.

2- (2) كتاب الغدير للإمينى:من ج 1-ج 11/و شرح إحقاق الحق ج 5 الحديث الثالث و الستون،حيث تتبعا الروايات فى هذا المجال.

3- (3) سورة المائدة،الآيتان:55-56.

تعالى،كما أخضع اللّه عزّ و جل ملائكته و من خلق من الجن و غيرهم لولى اللّه و خليفته آدم.

إذن الولايـة و الخلافـة بعـد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم من الـدين الذى بعث به جميع الأنبياء،و هم مخاطبون بآيات الولاية و القربى و المودة عند رجوعهم للنصرة،و مأمورون بطاعة أولى الأمر و المودة للقربى و التوجه بهم إلى اللّه تعالى.

فعيسى عليه السّلام عند نزوله من السماء يعمل بالقرآن الكريم و يشمله الخطاب فى قوله تعالى:إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ (55) و يصـلى خلف ولى اللّه الحجة المنتظر عجل اللّه تعالى فرجه الشريف و يشمله خطاب آيات الفىء و الخمس،كما فى قوله تعالى:وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَـ ىْ ءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ (1).

فإن الآية المباركة تبين أن أولياء الخمس الذين لهم حق التصـرف و الولاية على ضـريبة اقتصاد الدولة الإسـلامية هم اللّه تعالى و رسوله و ذوى القربى،بقرينـة الاشتراك ب(اللام)الدالة على ملكية التصـرف فى أموال الدولة الإسـلامية،و أما اليتامى و المساكين و ابن السبيل فهم موارد مصرف الخمس؛و لذا تغير التعبير فيهم بحذف اللام.

فعلى الأنبياء نصـرة ولى اللّه و الإيمان بذات الرسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم،لأنها من المواثيق و العهود الذى أخذه اللّه على أنبيائه،و تسليمهم بما أنزل إليهم مظهرا تاما من مظاهر العبودية للّه سبحانه و تعالى فعن أبى عبد اللّه عليه السّلام عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:«و على ذلک أخذت ميثاق الخلائق و مواثيق

1- (1) سورة الأنفال،الآية:41.

أنبیائی و رسـلی،أخـذت مواثیقهم لی بالربوبیة،و لک یا محمد بالنبوة، و لعلی بن أبی طالب بالولایة...»(1)و هذا یعنی بأن ولایة علی علیه السّلام بعث بها جمیع الأنبیاء و الرّسل.

کذلک بنفس البیان مفاد ما ورد فی قوله تعالی:

ما أَفاءَ اللّهُ عَلی رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُری فَلِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِـذِی الْقُرْبی وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ کَیْ لا یَکُونَ دُولَـةً بَیْنَ الْأَغْنِیاءِ مِنْکُمْ (2)و الفیء هو ثروات کل الأرض،فلإقامة العدالة المالیة و الاقتصادیة علی الأرض لابد أن تدار الأموال العامة التی ترجع إلی بلاد الإسلام بولایة اللّه و رسوله و ذوی القربی،و هم قربی الرسول الأکرم الذین جعلت مودتهم أجرا و عدلا لما جاء به النبی الأکرم من الدین الحنیف،و ذلک فی قوله تعالی:قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبی (3).

فمودة ذوی القربی أمر عظیم إذا سلم سلمت بقیة أصول الدین کما یشیر إلی ذلک تقابل المعادلة فی الآیة أی العدلیة بین المودة و کل الدین الحنیف،و لا یوجد قربی للنبی الأکرم صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم بهذا الشأن الخطیر سوی المعصومین من أهل بیته،فولایتهم عاصمة من الضلال و هی رکن رکین فی الدین الذی بعث به الأنبیاء کافة.

کما تقـدم فی الأبحاث السابقة بأن الولایة دین اللّه الذی بالتسـلیم به اسـتحق الأنبیاء مقام النبوة کل بحسب ما بلغه من درجة التسـلیم،فإن للولایة و التسلیم درجات و بحسب درجة التسلیم لکل نبی یعطی ذلک

1- (1) البحار ج 18:15 باب الأول بدء خلقه و ما جری له فی المیثاق.

2- (2) سورة الحشر،الآیة:7.

3- (3) سورة الشوری،الآیة:23.

النبی مقام الحظوة عند اللّه تعالی و یستحق مقام النبوة،و إذا ازدادت درجة التسلیم کان ذلک النبی من أولی العزم،فتفضیل الأنبیاء الوارد فی قوله تعالی:وَ لَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِیِّینَ عَلی بَعْضٍ وَ آتَیْنا داوُدَ زَبُوراً (1)،کذلک تفضیل الرسل،کما فی قوله تعالی:تِلْکَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلی بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ کَلَّمَ اللّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَ هُمْ دَرَجاتٍ (2)،کل ذلک التفضیل بحسب درجة التسلیم و التولی لدین اللّه عزّ و جل،و ذلک بعد الولایة للّه تعالی بالولایة للنبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أهل بیته،فالتسلیم للنبی و أهل بیته و الإیمان بولایتهم نوع توجه قلبی إلی اللّه عزّ و جل بهم،و هو شرط لنیل المقامات العظیمة عند اللّه تعالی کالنبوة و الرسالة،فضلا عن غیرها من العبادات و قبول التوبة و استدرار الأرزاق الإلهیة.

و المسؤولیات التی وضعها اللّه علی عاتق الأنبیاء هی عبارة عن اختبار من قبله سبحانه و تعالی،و هذا المقام العظیم لا یناله إلا الطاهرون و المعصومون من ذریته لکی یمنحه اللّه الوسام الکبیر:قالَ إِنِّی جاعِلُکَ لِلنّاسِ إِماماً (3)من ثم لم یبعث نبی من الأنبیاء إلا بعد أن آمن وسلم بالدین الذی هو ولایة النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ولایة أهل بیته و من ثم کان التعبیر فی الآیة بالکلمات و هی التی یصدق بها کما ورد فی شأن مریم «وَ صَدَّقَتْ بِکَلِماتِ رَبِّها» أی آمنت بها و أطلقت الکلمة علی حجج اللّه تعالی من البشر کالنبی عیسی علیه السّلام فلا محالة تلک الکلمات التی امتحن بها النبی إبراهیم علیه السّلام من الحجج هم أفضل مقاما من إبراهیم و عیسی و هو سید الأنبیاء صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و عترته علیهم السّلام و الإمامة فی ذریة إبراهیم أبرزهم سید

1- (1) سورة الإسراء،الآیة:55.

2- (2) سورة البقرة،الآیة:253.

3- (3) سورة البقرة،الآیة:124.

الأنبياء ثم عترته المطهرين فأشير إليهم فى الآية(وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي) .

قال تعالى:فَلا وَ رَبِّکَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوکَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً (1)فولاية اللّه و ولاية الرسول و أولى الأمر و التسليم لهم فيها درجات،لكل نبى يعطى ذلک المقام على قدر درجة التسليم.

قال أبو عبد اللّه عليه السّلام«عليكم بالتسليم».

و فيه(2)بإسناد صحيحه عنه عليه السّلام قال:(إنما كلف الناس ثلاثة:

معرفة الأئمة،و التسليم لهم فيما ورد عليهم،و الرد إليهم فيما اختلفوا فيه).

فنقول بأن«التسليم»هو عبارة عن زيادة الخضوع القلبى الباطنى، فإذا كان كذلک تتحقق العبادة الخالصة للّه سبحانه و تعالى وحده من دون استكبار النفس،و بهذه المرتبة الإيمانية تصح بها الأعمال العبادية، و تفتح بها أبواب السماء كما يشير إليه قوله تعالىإِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ وَ كَذلِکَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (3)فلا بد فى الامتثال لأوامر اللّه من التوجه بالنبى و أهل بيته الطاهرين و التمسک بولايتهم.

التسليم زيارة للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

قد اتفقت أيضا-كلمة جمهور مذاهب المسلمين على رجحان التسليم على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بلفظ:«السلام عليک أيها النبى و رحمة اللّه

1- (1) سورة النساء،الآية:65.

2- (2) الكافى:ج 1 390 باب التسليم ح 1.

3- (3) سورة الأعراف،الآية:40.

و بركاته»و ذلک قبل التسليم المخرج من الصلاة،أى أن التسليم على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يأتى به المصلى و لما يخرج بعد من الصلاة.

و مؤدى هذا التسليم من المصلى و هو فى صلاته أنه زيارة من المصلى إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من كل الأمة،من كل مؤمن و مسلم،فى اليوم خمس مرات،بل فى كل صلاة يأتى بها،كما أن هذه الزيارة و التسليم للنبى ينطوى على مخاطبة النبى ب(كاف)الخطاب،كما ينطوى على نداء النبى و مخاطبته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ب(ياء)النداء القريب:«أيها».

و هذا كله من التسليم و الزيارة للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و مخاطبته بالنداء القريب و المصلى فى صلاته و نجواه لربه و خطابه مع بارئه،ففى محضر الوفادة الربانية و الضيافة الإلهية يتوجه المصلى بالالتفات لنبيه؛إذ هو باب اللّه الأعظم،فكما بدأ صلاته بالإقرار بالرسالة للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعد الإقرار بالتوحيد فى الأذان و الإقامة و توجه به فى بدو الصلاة،عاود و توجه إليه و به إلى اللّه،فهذه الصلاة التى هى عمود الدين و معراج المؤمن إلى ربه و نجواه مع خالقه يزدلف إلى ربه بالولاية لنبيه و التعظيم له و توقيره.

قال تعالى:اَلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (1).

حبط الأعمال و قبولها:

و قال تعالى:يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لا

1- (1) سورة الأعراف،الآية:157.

تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (2)إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ أُولئِکَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ (3)إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَکَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (4) (1).

فهذه الآية الشريفة تبين بأن الخضوع للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الإقبال عليه و التوجه إليه و توقيره و تعظيمه و حفظ الأدب فى حضرته سبب و واسطة فى قبول الأعمال،و أن رفع الصوت فوق صوته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الجهر له بالقول من سوء الأدب و قلة الاحترام و التوقير الموجب لحبط الأعمال؛و ذلک لأن الخضوع للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تعظيم له بما هو آية كبرى من آيات اللّه عزّ و جل و شعيرة من شعائره و معلما من أعلام دينه،كما فى قوله تعاليذلِکَ وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (2).

و فى ذلک دلالة واضحة على عظمة الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بأنه أكرم الخلق على اللّه سبحانه و تعالى،فهذا المقام و التقديس من البارى هداية منه تعالى إلى بابه الذى منه يؤتى،و الصدّ عن هذا الباب الأعظم و عن الالتجاء إليه من صفات المنافقين قال تعالى:وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (3).

الحاصل:تبين مما مر أن التصديق بالآيات و«الكلمات»و التوجه و الخضوع لها عبارة عن التسليم لولايتهم و الانقياد و التعظيم لهم سلام اللّه عليهم،و قد تقدم أن الكلمات التى تلقاها آدم من نصوص الفريقين منها اسم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

1- (1) سورة الحجرات،الآيات:2-4.

2- (2) سورة الحج،الآية:32.

3- (3) سورة المنافقون،الآية:5.

و مقتضى التعبير أن هناک أسماء أخرى توجه بها آدم ليتوب اللّه بها عليه،كذلک فى الكلمات التى امتحن بها إبراهيم لنيل مقام الإمامة، الامتحان كان بكلمات،لا بكلمة واحدة،و أن هناک جناس فى لفظ (الكلمات)فى قصة آدم و إبراهيم عليه السّلام و أن أبرز تلک الكلمات هى اسم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما فى روايات الفريقين،فهناک أسماء مقرونة مع اسم النبى، و ولايتها مقرونة بولاية النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

التكذيب بآيات اللّه تعالى موجب لحبط الأعمال:

قال تعالى:إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِياطِ وَ كَذلِکَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ (1)هذه الآية المباركة تتعرض لبعض الأحكام المترتبة على التكذيب بآيات اللّه تعالى.

و المقصود من الآيات هى الحجج الإلهية،حيث أطلق اللّه عزّ و جل لفظ الآية على مريم و عيسى عليهما السّلاموَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً (2)،و إذا كان عيسى عليه السّلام لم ينل ما ناله إلا بولايته و إقراره و إيمانه بسيد الأنبياء فكيف بنفس النبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فهو أعظم آية للّه تعالى؟و إذا كان عيسى عليه السّلام من وزراء الإمام المهدى عليه السّلام و تابعا له فى دولته،فكيف لا يكون أهل البيت عليه السّلام من أعظم آيات اللّه تعالى؟خصوصا و أن اللّه تعالى قرن بالنبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أهل بيته عليهم السّلام فى الطهارة و العصمة و الحجية و الولاية و غيرها من المقامات التى تقدم التعرض لها آنفا،فلا شک أن

1- (1) سورة الأعراف،الآية:40.

2- (2) سورة المؤمنون،الآية:50.

النبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أهل بیته علیهم السّلام المصداق البارز للآیة التی نحن بصدد بیانها،فهم علیهم السّلام أوضح و أبرز و أعظم آیات اللّه تعالی.

و الذین یکذبون بآیات اللّه تعالی و یصدون و یستکبرون عنها-کما فعل إبلیس مع آدم علیه السّلام-لا تفتح لهم أبواب السماء،فلکی تفتح أبواب السماء لقبول الأعمال و العبادات و العقائد و جمیع المقامات،و قد قال تعالی:

إِلَیْهِ یَصْعَدُ الْکَلِمُ الطَّیِّبُ وَ الْعَمَلُ الصّالِحُ یَرْفَعُهُ (1)و الکلم الطیب هو العقیدة،فبینت الآیة أن الإیمان و العقیدة لابد له أن یصعد فی مسیر قبوله عند اللّه تعالی،و الصعود إلی السماء لابد أن تفتح له أبواب السماء،و قد بینت الآیة السابقة أن مفتاح أبواب السماء هو کل من التصدیق بالآیات الإلهیة و الخضوع لها و اللجوء إلیها و عدم الصدّ عنها، و من أجل الرقی و العروج إلی السماء،لا بد من التوجه إلی آیات اللّه تعالی و اللجوء إلیها و التصدیق بها و عدم الصدّ عنها،فالآیة صریحة فی أن التوبة و العبادة و أی قربی أو زلفی إلی اللّه عزّ و جل تفتقر إلی تفتح أبواب السماء و أنها لا تفتح أبدا مع الاستکبار علی الآیات الإلهیة،فلیس الإیمان بآیات اللّه فحسب کاف فی قبول العبادات و رقی المقامات،بل لابد من المودة و الصلة و الإقبال و التوجه إلی الآیات و التوسل بها إلی اللّه،و عدم الصدّ و الإعراض و الاستکبار عنها،لأن الآیة جعلت شرطین لفتح أبواب السماء و لدخول الجنة:

الأول:عدم التکذیب،أی التصدیق و الإیمان و المعرفة بآیات اللّه الحجج.

1- (1) سورة فاطر 35،الآیة:10.

و الثانی:عدم الاستکبار عنها،و هذا الأمر یتضمن شیئین:

أحدهما:عدم الاستکبار أی الخضوع و التواضع،و ثانیتهما:عدم الصد الذی قد ضمن فی فعل الاستکبار بقرینة(عن)،نظیر ما ذکرته الآیات فی سبب کفر إبلیس(أبی و استکبر)فالإباء هو الجحود مقابل التصدیق،و الاستکبار مقابل الخضوع و الاتباع.

و نظیر ذلک ما ورد فی سورة المنافقین فی قوله تعالی:وَ إِذا قِیلَ لَهُمْ تَعالَوْا یَسْتَغْفِرْ لَکُمْ رَسُولُ اللّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَیْتَهُمْ یَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَکْبِرُونَ (1).

و هذه الآیة الکریمة صریحة فی أن الاستغفار و قبول التوبة متوقف علی المجیء إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و أن صفة المنافق الصد عن الآیات الإلهیة و الاستکبار علیها و الابتعاد عنها و عدم اللجوء و اللواذ إلیها،و هذا نوع من التشاهد بین الآیات القرآنیة،فالآیة تدل علی أن الأوبة إلی اللّه تعالی و القرب إلیه لابد فیه من التوجه أولا إلی الحضرة النبویة و التوسل و الاستشفاع بالنبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ثم شفاعته.

فالتوسل خیار حصری لابدی شرطی منحصر بالمجیء و اللجوء إلی الحضرة النبویة و اللواذ بها و الاستغاثة به صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،ثم إبداء التوبة و الاستغفار و إمضاء النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم له باستغفاره و شفاعته لهم من أجل تحقق التوبة و مقام المغفرة و قبول العبادة التی منها عبادة التوبة و نظیر هذه الآیات أیضا قوله تعالی:وَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا وَ اسْتَکْبَرُوا عَنْها أُولئِکَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِیها خالِدُونَ (2).

و من الشواهد أیضا علی أن المراد من الآیات هنا هم الأنبیاء

1- (1) سورة المنافقون،الآیة:5.

2- (2) سورة الأعراف،الآیة:36.

و الخلفاء الأوصياء الحجج هو التعبير ب(كذبوا)فإنه مقابل التصديق فيما يزعمون من مناصب و فيما لهم من دعوى،و أما الآية الكونية فليس فيها تكذيب أو تصديق،بل إنما يقع الغفلة و الإعراض عنها؛إذ لا يوجد فيها زعم أو دعوى معينة كى يصدق فى حقها التصديق أو التكذيب، فالتصديق أو التكذيب إنما يكون للحجج الإلهية التى تدعى مقاما إلهيا وكذا فيما تبلغه عن اللّه تعالى،فالمراد بالآية و الآيات فى المقام الحجج الإلهية من الأنبياء و الرسل و الأصفياء و الأوصياء،الذين أسندت إليهم المقامات الإلهية.

و الحاصل:إن هذه الآيات المباركة تبين أن مفتاح أبواب سماء الحضرة الربوبية هو الإقرار بالحجج و الآيات و التوجه إليها و التوسل و التشبث بها و الانقطاع إليها لا عنها،و أبرز و أعظم تلك الآيات النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته عليهم السّلام،فهم مفاتيح أبواب السماء فى قبول و صعود التوبة و العبادة و المعرفة و الإيمان و العقيدة و نيل المقامات،فلا ترتفع أى عبادة و لا ينال مقام و لا تتحقق التوبة مع عدم التصديق بالآيات و صلتها و مودتها و التوجه إليها و التوسل بها،و الإعراض عنها يوجب حبط الأعمال و امتناع دخولهم الجنة فى الآخرة كما فى قوله تعالى:وَ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِياطِ وَ كَذلِکَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ (1)،و يضيف تعالى للمزيد من التأكيد قائلاوَ كَذلِکَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ (40) ،فشرط النجاة يوم القيامة هو الارتباط بالآيات الإلهية و الانتماء إليها و التوسل بها،لكونها قنوات غيبية توجب القرب إلى اللّه تعالى.

فالتوجه إليهم عليهم السّلام شرط فى تفتح الأبواب لقبول و صحة الإيمان و التوبة و قبول الأعمال و سائر المقامات.

1- (1) سورة الأعراف،الآية:40.

التوجه إلى خليفة اللّه لنيل المقامات و قبول الطاعات فى جميع

النشآت:

القرآن الكريم يحكى لنا فى آيات عديدة كيفية خلق آدم عليه السّلام و أمر الملائكة بالسجود له،و هذه الآيات التى تحمل معان عظيمة تختص بمقام الإمامة و الخلافة،و من المعلوم إن الأمر بسجود الملائكة و خضوعها و انقيادها ليس خاصا بآدم عليه السّلام،لأنها معادلة دائمة فى عالم الخلقة لكل من يتحلى بمقام الخلافة الإلهية،فمن يتحلى بهذا المقام يطوع اللّه عزّ و جل له الملائكة و يدينون بأجمعهم للّه تعالى بطاعته بما فيهم كبار الملائكة المقربين،و هم فى كل ما يقومون به من أدوار عظيمة فى عالم الإمكان و الكون خاضعون لولى اللّه،و هو خضوع حقيقى قائم على أساس العلو الرتبى التكوينى لخليفة اللّه تعالى.

قال تعالى:وَ إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَةِ إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28)فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ (29) (1)حيث عبر البارى تعالى(فقعوا)و لم يكتف بذكر مادة السجود بل عبر بالوقوع الفورى،و هذا فيه نوع من التشديد و التأكيد لمعنى الخضوع و التعظيم الخاص بشؤون الخليفة.

فإذا كل خليفة للّه هو الباب الأعظم لملائكته،و حينئذ يكون الأمر بالسجود و الخضوع للخليفة شامل للأنبياء،و خصوصا أولى العزم منهم كنوح و إبراهيم و موسى و عيسى و الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أوصيائه عليهم السّلام، فالملائكة المقربون و غيرهم بابهم إلى اللّه تعالى خليفة اللّه الذى ينبئهم بالأسماء و المقامات.

1- (1) سورة الحجر،الآيتان:28-29.

كما عقب البارى تعالى بعد هذه الآية بقولهفَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (1)على أن الأمر بالسجود كان لجميع الملائكة و لم يكتف بدلالة الجمع المحلى بأل(الملائكة)بل أردف بالتأكيد ب (أجمعون)و(كلهم)للدلالة على الاستغراق،و بذلک شامل لجبرائيل و إسرافيل و ميكائيل عليهم أفضل الصلاة و السلام الذين لهم دور فى شؤون الخلقة و الوحى النبوى.

ففى عالم الغيب الذى هو خال عن نشأة التشريع الأرضى،و ليس خال عن الدين الإلهى،كما قال تعالى:وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ (2)،افتقرت الملائكة إلى أن يكون بينهم و بين اللّه تعالى واسطة فى الخضوع و الإنباء و المعرفة و العبادة و التقرب إلى اللّه تعالى، و هذه الواسطة هو خليفة اللّه آدم عليه السّلام و وليه حيث أمرهم اللّه التوجه إليه و الخضوع له،و هو شرط أوبتهم و قبول عبادتهم و حظوتهم بالمقامات العالية،فما بالک بالنشآت الأخرى؟

و إذا كان أبو البشر نبى الملائكة و قناة الإنباء و الفيوضات العلمية و غيرها عليهم من اللّه تعالى،و هو وليهم و هم طائعون له لا يتمردون عليه و لا ينبغى لهم ذلک،فكيف بسيد البشر؟«ألا تكون الملائكة منقادة و طائعة له؟».

و من هنا تكون الملائكة مشمولة بقوله:أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ (3)من غير اختصاص بالنشأة الأرضية،و هذا لوحدة الدين و شموله لجميع المخلوقات.

فالخليفة نبى الملائكة و له مقام إنبائهم و تعليمهم؛لأنه مزود بالعلم

1- (1) سورة الحجر،الآية:30.

2- (2) سورة آل عمران،الآية:83.

3- (3) سورة النساء،الآية:59.

اللدنى الأسمائى،فهو نبى المعارف و إن لم يكن نبى شريعة للناس فى الأرض.

فإن السجود لآدم هو تعبير عن الهداية الإيصالية و المتابعة العملية التى بدونها لا يحصل لهم أى كمال،و هذا الانقياد لم يكن لمجرد مخلوق بل إنما هو لمقام الخلافة الذى جعله اللّه تعالى لآدم فلازم مقام الخلافة عند اللّه هو متابعة و انقياد الملائكة و الجن(بناء على المشهور أن إبليس من الجن)و هذا هو مفاد الإمامة و هى المتابعة العملية و العلمية و الهداية الإرائية و الإيصالية،و يثبت بذلک أن شؤون الإمامة ليست للناس فقط و إنما هى تشمل الملائكة و الجن.

و بهذا نعلم بأن لآدم عليه أفضل الصلاة و السلام الولاية التكوينية على الملائكة،و تكون شؤون الملائكة كلها تحت يده و فى تصرفه.

و النتيجة:

بأن الخلافة ليست محدودة فى الأرض و غير مقيدة بهذه النشأة و إن كان المستخلف ذى بدن و سنخه أرضيا،كما أن ولاية النبى عليه أفضل الصلاة و السلام و أهل بيته الطاهرين أخذت على جميع الملائكة و سائر الكائنات،و ذلک لكونها من الدين غير الخاص بنشأة من النشآت.

إذن فنبوة خاتم الأنبياء و ولاية سيد الأوصياء لا تختص بالموجودات الأرضية،و هذا يعنى أن الشهادة الثانية و الثالثة لم تؤخذ على أهل هذه الدنيا فحسب،لأن الإنباء و نيل الفيوضات عموما يحتاج إلى وجود خليفة اللّه و لابد من التوجه إليه لنيل المقامات و قبول الطاعات فى جميع النشآت؛لأنه واسطة اللّه و سفيره بينه و بين خلقه فى كل المقامات العلمية و التكوينية.

ص:190

تأييد رسالة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و وساطته فى الوحى الإلهى لجميع

النشآت:

فمفاد الشهادة الثانية و الثالثة إقرار بالواسطة الأبدية غير الخاصة بالنشأة الأرضية،و هذه هى تداعيات و مقتضيات الشهادة الثانية و الثالثة، التى لايتم التوحيد بدونها،و من دونها لا يتحقق قرب المخلوق إلى ربه، ذلک المخلوق البعيد عن المقامات الربوبية و عظمة الصفات الإلهية.

و الخليفة كما ذكرنا له مقام الإخبار و التعليم،فى سائر النشآت و ليس هو نبى الشريعة للناس فى الأرض بل معلم إلهى للمعارف و سفير اللّه بينه و بين خلقه و لا يمكن الاستغناء عن هذا الوسيط الإلهى بالنشأة الأرضية كما اعتقد قائلهم:(لقد غلبه الوجع حسبنا كتاب اللّه)(1).

و فسر البعض هذا القول بأنه أراد التخفيف عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين غلبه الوجع،لكن الهدف الحقيقى وراء ذلک محو آثار و أحاديث النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و برر هذا الهدف بقوله:(إنى كنت أريد أن أكتب السنن،و إنى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتابا،فأكبوا عليها و تركوا كتاب اللّه!!و إنى و اللّه لا أشوب-و فى رواية لا ألبس-كتاب اللّه بشىء)(2)ثم قال:(أمنية كأمنية أهل الكتاب رأى حتى لا ينشغل الناس بالسنة عن القرآن)(3)و هذا لعدم المعرفه بمقام النبى الأعظم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته.

و ذكرنا فى الأبحاث السابقة بأن مؤدى الشهادة الثانية و مقتضياتها

1- (1) ابن حديد فى شرح النهج:ج 11 فصل فيما وضع الشيعة و البكرية من الأحاديث/ الغدير:سلسة الموضوعات فى الخلافة ج 5 ص 341.

2- (2) كنز العمال:باب فى آداب العلماء ج 10 ح 89474 ص 292/و تدوين القرآن ص 371.

3- (3) تقيد العلم ص 53/الأحكام لابن حزم ج 1 ص 159.

مفقودة عند هذه الفئة تحت ذريعة أنها تدل على التوسل و التوسط و التوسل بغير اللّه شرط و إلحاد.

و الذين يكذبون بآيات اللّه تعالى و أسمائه و كلماته و يستكبرون عنها كما فعل إبليس لا تفتح لهم أبواب السماء،فلا يمكنهم أن يدعوا اللّه أو يتقربوا إليه،و لا يستجاب لهم دعاؤهم قال تعالى:بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتى صُحُفاً مُنَشَّرَةً (52) (1).

فالآيات القرآنية صريحة بأن البشر لا يمكنهم أن يتقربوا إلى البارى أو يوحى إليهم بصورة مستقلة من دون الواسطة الربانية قال تعالى:

*وَ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللّهُ إِلاّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (2)فالنبى و أهل بيته سفراء اللّه قبل الخلق و بعد الخلق،فالملائكة محتاجة إلى واسطة علمية بينها و بين اللّه و إن كانت من عالم السماوات و الغيب و الدلائل كثيرة فى ذلک.

و قد نقح فى المباحث العقلية بأن الموجود الإنسانى حقيقته ليست جهته البدنية التى يحيى بها على هذه الأرض بل إن له مدى أعمق من ذلک،و أن وراء تلک الحقيقة البدنية الأرضية حقيقة بعيدة عن عالم البدن هى الروح التى تكون سابقة على الوجود الأرضى مخلوقة قبل خلق البدن،فلذلک نحتاج إلى ولى يتوجه به إلى اللّه تعالى و وسيط يخبرنا عن اللّه،و من يأبى ذلک يحصل له العتو و الاستكبار فى نفسه و التعظيم لها، مع أن نفسه صغيرة فقيرة بعيدة عن ساحة عظمة الصفات الإلهية قال تعالى:*وَ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرى رَبَّنا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً (3).

1- (1) سورة المدثر،الآية:52.

2- (2) سورة الشورى،الآية:51.

3- (3) سورة الفرقان،الآية:21.

الخلاصة:

نستفيد من آيات السجود لآدم بأن مؤدى رسالة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و مقتضياتها مرتبطة بالمعارف الدينية الأبدية الشاملة للملائكة و الجن و الإنس و البرزخ و الجنة و النار و الآخرة،فضلا عن النشأة الأرضية، كذلک الوساطة و الشهادة الثانية و الثالثة شاملة لعالم العقول و الأرواح، و لذا نجد أن مجرى الفيض فى تكامل عقول علماء هذه الأمة و مستوياتها العلمية فى الدين هو النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته عليهم السّلام،حيث تم بجهودهم المباركة تشييد المعارف الصحيحة و رفض الجبر و التفويض و التجسيم و التشبيه و التعطيل و غيرها من العقائد الفاسدة،فهم عليهم السّلام وسائط الفيض و سفراء الأرواح و العقول.

و هذا بيان عقلى لمعطيات الشهادة الثانية و الشهادة الثالثة يضاف إلى البيانات السابقة المعتمدة على الآيات القرآنية المباركة.

فنشير إلى القاعدة التى نحن فيها و نقول:بأن التوجه و التقرب فى المقامات الثلاثة المذكورة تعم جميع الأنبياء و الرسل و كل المخلوقات من الملائكة و غيرها.

أهل الكهف آيات للعالمين

حيث بنى على قبورهم و عندها مسجدا تقام فيه الصلاة و العبادة للّه تعالى.

قال تعالى:وَ كَذلِکَ بَعَثْناهُمْ لِيَتَسائَلُوا بَيْنَهُمْ قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزْكى طَعاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ

ص:193

مِنْهُ وَ لْيَتَلَطَّفْ وَ لا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً (1).

الآيـة المباركـة تشـير إلى قصـة أصـحاب الكهف الذين وصـفهم اللّه سـبحانه و تعالى فى القرآن المجيد فقال لنبيه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم:أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً(9) لوجود آيات عديدة أكثر عجبا هى موجودة فى السماوات و الأرض،و المعاجز التى تتعلق بالنبى الأكرم لهى خير مثال فى ذلک.

ذكر المفسـرون:أن أصحاب الكهف لما بعثوا بأحدهم إلى المدينة بورقهم لجلب الطعام عثر عليهم أهل المدينة و علموا بأمرهم جاؤوا إلى الكهف،فلما دخل الـذى هو من أصـحاب الكهف دعا اللّه تعالى مع أصـحابه أن يميتهم لئلا يكونوا فتنة للناس،فأماتهم اللّه تعالى،و خفى على أهل المدينة مدخل الكهف،فلم يهتدوا إليه(2).

حيث دلت الروايات بأنه كان لهم فى ذلک الزمان ملک يقال له:

دقيـانوس،يعبـد الأصـنام فبلغه عن الفتيـة خلافهم إياه فى دينه،فطلبهم فهربوا منه حتى انتهوا إلى الكهف(3)فأرقـدهم قرونا ثم ابتعثهم من رقـدتهم بعـدما رفع المسـيح،فى فترة بينه و بين النبى الأكرم صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم،حيث تعرض المسـيحيون فى زمانه إلى تعـذيب شديد.

و قـد أيقظهم اللّه عزّ و جل بعـد هـذه الإنامة الطويلة لكى يرسخ البارى عقيدة المعاد فى قلوب المؤمنين التى تقوم على أساس عودة الناس إلى الحياة مرة أخرى عند البعث.

1- (1) سورة الكهف،الآية:19.

2- (2) لاحظ التبيان الشـيخ الطوسـى:فهرس المواضيع سورة الكهف ج 7 ص 26/جامع البيان الطبرى:سـيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ج 15 ص 281.

3- (3) تاريخ الطبرى:ذكر الخبر عن أصحاب الكهف ج 1 ص 373.

إحياء اللّه الموتى بعد مماتهم:

قال الأندلسى فى تفسيره لهذه الآية:

«و كما أنمناهم تلك النومة،كذلک بعثناهم:إذكارا بقدرته على الإماتة و البعث جميعا،ليسأل بعضهم بعضا و يتعرفوا حالهم و ما صنع اللّه بهم،فيعتبروا و يستدلوا على عظم قدرة اللّه،و يزدادوا يقينا و يشكروا ما أنعم اللّه به عليهم و كرموا به»(1).

فالذى انتدب منهم ليحضر الطعام الحلال هو رئيسهم تمليخا المخول بهذا الأمر،و هو أحد وزراء(دقيانوس)الذى أنكر عبادة الأصنام و أزال الشک عن قلوب الفتية و ألبسهم ثوب التوحيد و أعلن للناس جهرا عبادته للّه الواحد القهار ليعلنها ثورة باعتزالهم و رفضهم دين الشرک و الظلم و الحصول على محيط أكثر استعداد لغرس التوحيد حيث اختار اللّه لهم حياة أخرى و مكان آخر قال تعالى:وَ إِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَ ما يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً (2).

و بعد أن استيقظوا من نومهم توهّم لهم أنهم باتوا ليلة واحدة أو بعض يوم و أحسوا بالجوع و العطش قال تعالى:فَلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزْكى طَعاماً قال ابن عباس أحلّ ذبيحة؛لأن أهل بلدهم كانوا يذبحون على اسم الصنم،و كان فيهم قوم يخفون إيمانهم(3)و طلبهم لطيب الطعام دلالة على اهتمامهم بمأكلهم و مشربهم و التجنب عن النجاسات المعنوية فضلا عن النجاسات و القذرات الظاهرية التى نحرص اليوم على تجنبها،

1- (1) تفسير البحر المحيط للأندلسى:ج 6 ص 106.

2- (2) سورة الكهف،الآية:16.

3- (3) تفسير القرطبى:ج 10 ص 375 قوله تعالى و كذلک بعثناهم ليتساءلوا بينهم.

فإن الأكل المشبوه و الحرام له تأثير عظيم على صفاء النفس و الإقبال على البارى تعالى و استجابة الدعاء،فبعد دخولهم فى مرحلة أخرى و صفحات أخرى تتعلق بعوالم نورانية لابد من تهيئة المقدمات الكثيرة تؤهلهم لهذا المقام و المنزلة العظيمة.

البعث و المعاد الجسمانى:

ذكر الطبرى فى تاريخه:(بأن أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم، رزقهم اللّه الإسلام،فتفردوا بدينهم،و اعتزلوا قومهم،حتى انتهوا إلى الكهف،فضرب اللّه على سمخانهم.فلبثوا دهرا طويلا،حتى هلكت أمتهم،و جاءت أمة مسلمة،و كان ملكهم مسلما،و اختلفوا فى الروح و الجسد،فقال قائل:تبعث الروح و الجسد جميعا،و قال قائل:تبعث الروح،و أما الجسد فتأكله الأرض،فلا يكون شيئا،فشق على ملكهم اختلافهم،فانطلق فلبس المسوح،و جلس على الرماد،ثم دعا اللّه عزّ و جل، فقال:يا رب،قد ترى اختلاف هؤلاء،فابعث لهم ما يبين لهم،فبعث اللّه أصحاب الكهف)(1).

قال تعالى:وَ كَذلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَ أَنَّ السّاعَةَ لا رَيْبَ فِيها إِذْ يَتَنازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْياناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً (2)لا شک بأن هذه الحادثة كانت آية من آيات اللّه سبحانه و تعالى،التى بينت لهم بأن البعث بعد الموت يوم القيامة حق لا ريب فيه و أن اللّه يبعث من فى القبور و يحيى العظام و هى رميم كما حصل مع عزير الذى أحياه اللّه بعد

1- (1) ذكر الخبر عن أصحاب الكهف:ص 457 ج 1.

2- (2) سورة الكهف،الآية:21.

مائـة عام قال تعالى:أَوْ كَالَّذِی مَرَّ عَلی قَرْیَـةٍ وَ هِیَ خاوِیَةٌ عَلی عُرُوشِ ها قالَ أَنَّی یُحْیِی هذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللّهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ کَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ یَوْماً أَوْ بَعْضَ یَوْمٍ قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَـةَ عامٍ فَانْظُرْ إِلی طَعامِکَ وَ شَـرابِکَ لَـمْ یَتَسَـنَّهْ وَ انْظُرْ إِلی حِمارِکَ وَ لِنَجْعَلَکَ آیَـةً لِلنّاسِ وَ انْظُرْ إِلَی الْعِظامِ کَیْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَکْسُوها لَحْماً فَلَمّا تَبَیَّنَ لَهُ قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلی کُلِّ شَیْ ءٍ قَدِیرٌ (1).

و روی أن ابن الکوا قال لعلی علیه السّلام:(یا أمیر المؤمنین ما ولد أکبر من أبیه من أهل الدنیا؟قال:نعم أولئک ولد عزیر حیث مر علی قریة خربة،و قد جاء من ضـیعة له تحته حمار و معه شنة(2)فیها تین(3)و کوز فیه عصیر فمر علی قریة خربة فقال:أنّی یحیی هذه اللّه بعد موتها؟ فأماته اللّه مائـة عام فتوالـد ولـده و تناسـلوا ثم بعث اللّه إلیه فأحیاه فی المولد الذی أماته فیه فأولئک ولده أکبر من أبیهم(4)و قولهأَنّی یُحْیِی هـذِهِ اللّهُ بَعْـدَ مَوْتِها لم یکن هذا القول منه إنکارا للبعث،لکن أحب أن یری کیف یحیی اللّه الموتی فیزداد بصـیرة فی إیمانه،فنام علی تلک الحالة.

فما ذکر فی آیـة الکهف فی البعث بعد الممات یأتی هنا لتعریف المنکرین قدرة اللّه عزّ و جل علی إحیاء خلقه بعد مماتهم،و إعادتهم بعد فنائهم،و أنه بیده الحیاة و الموت و إنه علی کل قدیر.

1- (1) سورة البقرة،الآیة:259.

2- (2) الشنة:القربة الخلق.

3- (3) و فی نسختی البحار و البرهان«قتر»و هو مصحف.

4- (4) تفسیر العیاشی:قوله تعالی إذ قال إبراهیم رب أرنی کیف تحی الموتی ج 1 ص 141/البحار:قصص أرمیا و دانیال و عزیر و بخت ج 14 ص 374.

و جاء فی کتاب الاحتجاج عن الصادق علیه السّلام فی حدیث:

قد رجع إلی الدنیا ممن مات خلق کثیر منهم أصحاب الکهف أماتهم اللّه ثلاثمائة عام و تسعة ثم بعثهم فی زمان قوم أنکروا البعث لیقطع حجّتهم و لیریهم قدرته و لیعلموا أن البعث حقّ إِذْ یَتَنازَعُونَ أعثرنا علیهم حین یتنازعونبَیْنَهُمْ أَمْرَهُمْ أمر دینهم و کان بعضهم یقول تبعث الأرواح مجردة و بعضهم یقول تبعثان معا لیرتفع الخلاف و یتبیّن أنهما تبعثان معا(1).

فهذا الاطلاع و العثور لم یزد علی سویعات لیستعلم الناس حالهم و استخبارهم عن قصتهم و إخبارهم بها،فتبین للقوم الحقیقة الثابتة لدی المؤمنین الذین یؤمنون ببعث الروح و الجسد معا فی یوم القیامة فیثیب المطیعین و یعذب العاصین،فالمعاد الجسمانی هو إعادة کیان الإنسان فی یوم البعث ببدنه بعد الخراب،و إرجاعه إلی هیئته الأولی بعد أن یصبح رمیما.

و الظاهر بأن الشکوک التی تثار فی المعاد الجسمانی تعود إلی قصور الإنسان عن إدراک هذه الأمور الغائبة و الخارجة عن محیط وجودنا لأنها تتعلق بالخلق النورانی اللطیف و ذلک فوق مستوانا الأرضی الکثیف قال تعالی:أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ (3)بَلی قادِرِینَ عَلی أَنْ نُسَوِّیَ بَنانَهُ (4) (2)لا شک بأن المشککین و المنکرین لهذه العقیدة لن یؤمنوا بهذه الحقیقة الثابتة حتی بعد أن ظهر لهم هذه الآیات العظیمة فی أهل الکهف و هذا ما علیه هذه الشرذمة الضالة فی زماننا.

1- (1) الاحتجاج:ج 2 ص 88 فیما احتج الصادق علیة السلام علی الزندیق و بیان مذهب التناسخ.

2- (2) سورة القیامة،الآیتان:3-4.

و قد حکی ابن کثیر عن ابن جریر فی المتنازعین و القائلین ذلک قولین:أحدهما إنهم المسلمون منهم.و الثانی:أهل الشرک منهم(1).

قال ابن عباس:تنازعوا فی البنیان و المسجد،قال المسلمون:

نبنی علیهم مسجدا،لأنهم علی دیننا و قال المشرکون:نبنی علیهم بنیانا؛لأنهم من أهل سنتنا(2).

تنبه الشوکانی(3)إلی روایة عنهم علیهم السّلام التی تلفت إلی عنوان المسجد یشعر بأن هؤلاء الذین غلبوا علی أمرهم هم المسلمون،و قیل هم أهل السلطان و الملک من القوم المذکورین فإنهم الذین یغلبون علی أمر من عداهم،و الأول أولی.

و الظاهر بأن المتنازعین اتفقوا علی تکریم الفتیة الذین هجروا أوطانهم لنشر عقیدة التوحید فی البلاد و نبذ الوثنیة،غایة الأمر اختلفوا فی کیفیة تکریمهم،فالذی قال بالبناء لجدار أراد طمس حقیقة البعث و المعاد کی یسلبوا أنصار المعاد هذا الدلیل القاطع،و أن تغلق فتحة الغار لکی یکون الکهف خافیا إلی الأبد،و تندرس معالم هذه الآثار فَقالُوا ابْنُوا عَلَیْهِمْ بُنْیاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ أی اترکوهم علی حالهم ینقطع عنهم الناس فلم یظهر لنا من أمرهم شیء و اترکوا الحدیث فی قصتهم، و هذا الفکر یتناسب مع قول الذین لا یؤمنون بعقیدة البعث.

و نقول:بأن الآیة فی سیاق المدح و لم تأت بذم عملهم و فعلهم، مما یشیر إلی أنه من سنن الملة الإبراهیمیة اتخاذ مسجد علی قبور الصالحین،لذلک لم یصف القرآن الکریم ما فعلوه بأنه عبادة وثن،و لا

1- (1) تفسیر ابن کثیر:ج 3 باب قصة أصحاب الکهف ص 82.

2- (2) تفسیر الثعلبی:ج 6 ص 162.

3- (3) فتح القدیر للشوکانی:ج 3 باب قصة أهل الکهف و هی من بدائع القرآن ص 277.

سیما بأنه لو کان فی شرع اللّه حرمة بناء المسجد علی قبور الصالحین لأنه عین الوثنیة کما تدعی هذه الشرذمة لنادی القرآن الکریم بأن هذا نقض للغرض،لا سیما بأن الغرض من هذه الحادثة زیادة فی الهدایة للتوحید باللّه عزّ و جل لا للوثنیة،و إلا کان فعل اللّه عزّ و جل خلافا للمطلوب و العیاذ باللّه علی مدعی هذه الفئة.

و الروایات الواردة فی تحریم القبور(1)لا یمکن الاغترار بظاهرها بل الواجب هو التدبر فی حقیقة المراد منها و إن النهی لکون أصحاب القبور هم المشرکون و المقابر فی أول عهد الإسلام کانت قبورا للمشرکین من ذوی أرحام المسلمین،و الذین یستدلون بتلک الأحادیث غرضهم هدم شعیرة الزیارة و التقرب إلی اللّه تعالی،لأنها مخالفة للأحادیث الواردة و السنة الشریفة عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من قوله(ما بین قبری و منبری روضة من ریاض الجنة)(2)و کذلک عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم(من زار قبری وجبت له شفاعتی)أو(حلت له شفاعتی)و قوله(من زارنی بعد موتی کمن زارنی فی حیاتی)(3)و کذلک فی زیارة قبر أمه فبکی و أبکی من حوله و قال:

استأذنت ربی أن استغفر لها فلم یأذن و استأذنت ربی أن أزورها فأذن لی (مع أنها غیر مؤمنة کما یزعمون)و سوف نستدل لهذه الروایات فی قول أدلة وجوب عمارة قبر النبی و أهل بیته.

و بذلک یظهر أن ما ذکره القرآن الکریم من ضمن المعالم و المآثر

1- (1) کروایة التی تقول:«لعن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الیهود و اتخاذهم القبور مساجد بعد قتلهم للأنبیاء الصالحین».

2- (2) من لا یحضره الفقیه الصدوق:إتیان المنبر ج 2 ص 568،مسند أحمد:مسند أبی سعید الخدری ج 3 ص 64،صحیح البخاری:باب فضل الصلاة فی مسجد مکة و المدینة ج 2 ص 57.

3- (3) نیل الأوطار للشوکانی:باب فائدة فی حکم زیارة قبر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ج 5 ص 179.

المشـيدة لأصحاب الكهف أنهم بنى عليهم مسجدا،و أصبحوا علما و رمزا،و أن بناء المساجد على القبور إشادة لصلاح الصالحين،و إشادة فى الآيات التى صنعها اللّه فى أصحاب الكهف.

فالـذين قالوا:إِذْ يَتَنازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْياناً أرادوا إطفاء هـذا المعلم و هدم تلك الآية التى أعطاها اللّه لهؤلاء الفتية، و إلا البناء عليها إبقاء لتلك الآية و إبقاء لنور اللّه عزّ و جل،كما أن البناء على قبر النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم تخليد للدين و شـريعة سـيد المرسلين.

كما أن المقرر شـرعا ليس فقط قبر النبى و أهل بيته صـلوات اللّه عليه أجمعين بل بيان بأنها ركن من معالم الـدين،و أن طمس تلك المعلم طمس للعقيدة قال اللّه تعالى:وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى (1)فيبقى هـذا المقام خالدا من قبل اللّه عزّ و جل لدى كل أتباع الديانات السماوية، و اتخاذه مصلى يتقرب به إلى اللّه سبحانه.

و أن عمـارة قبر النبى و أهـل بيته بالبناء و الزيارة هى شـعائر يتقرب بها إلى اللّه و بأنها ركن من معالم الـدين و هـذا بنفسه اعتقاد بنبوة خاتم الأنبياء و المرسلين صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

تعظيم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأنه من الشرك:

فى هذا البحث نسـتعرض نفثاتهم المسـمومة التى ينادون بها باسم التوحيد،كقولهم بأن تعظيم النبى الأكرم من الشـرك فى حين أن القرآن الكريم عظم خاتم الأنبياء و المرسـلين فى سور عديدة،فإن تعظيم النبى الأكرم من تعظيم اللّه عزّ و جل كما أن تعظيم خلقة اللّه تعظيم للّه إذ هى بيان لكون الخالق لهذه الخلقة عظيم خلق الخلق على نظم عظيم وصفة

1- (1) سورة البقرة،الآية:125.

عظیمة،و تصغیر خلقة اللّه هو تهوین و تصغیر لعظمة اللّه قال تعالی فی تعظیم اللّه له صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:إِنَّ اللّهَ وَ مَلائِکَتَهُ یُصَلّونَ عَلَی النَّبِیِّ یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَیْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِیماً (1).

و قد ذکر صاحب البیان فیما یتعلق بتعظیم النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بأنه التعظیم الذی لیس یقاربه تعظیم و لا یدانیه،فقال:إِنَّ اللّهَ وَ مَلائِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی النَّبِیِّ معناه إن اللّه یصلی علی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و یثنی علیه بالثناء الجمیل و یبجّله بأعظم التبجیل و ملائکته یصلّون علیه و یثنون علیه بأحسن الثناء و یدعون له بأزکی الدعاء.

و جاء عن أبی حمزة الثمالی حدثنی السدی و حمید بن سعد الأنصاری و برید بن أبی زیاد،عن عبد الرحمن بن أبی لیلی،عن کعب بن عجرة قال:لما نزلت هذه الآیة قلنا:یا رسول اللّه هذا السلام علیک قد عرفناه،فکیف الصلاة علیک؟قال:قولوا:اللّهم صلّ علی محمد و آل محمد کما صلیت علی إبراهیم و آل إبراهیم إنک حمید مجید، و بارک علی محمد و آل محمد کما بارکت علی إبراهیم و آل إبراهیم إنک حمید مجید»(2)و قد أجمع علی هذا التفسیر علماء الأمة قاطبة بلا استثناء.

لکن هذه الفئة استکبروا علی ذلک و لم یسترشدوا بأهل البیت علیهم السّلام و أخذوا بآرائهم الفاسدة القاصرة و قد قال تعالی:وَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا وَ اسْتَکْبَرُوا عَنْها أُولئِکَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِیها خالِدُونَ (36) (3).

1- (1) سورة الأحزاب،الآیة:56.

2- (2) بحار الأنوار للمجلسی باب العشرة معة و تفخیمه ج 17 ص 19/مسند أحمد بن حنبل ج 1 باب مسند أبی محمد طلحة بن عبید اللّه رضی اللّه عنه ص 162/سنن النسائی ج 3 ص 48 باب کیفیة الصلاة علی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم/المعجم الطبرانی ج 19 ص 123.

3- (3) سورة الأعراف،الآیة:36.

و هذه التعبيرات الواردة هی موجودة حتی فی بعض شاذ من وسطنا الداخلی،حیث یعتقدون بأن الانشداد بشدة إلی أولیاء اللّه هی صنمیة و العیاذ باللّه،و الحال بأن الانشداد إلیهم انشداد إلی آیات اللّه العظمی وهم الطریق إلی اللّه.

و هـذه الـدعوة مغلفـة بهـذه التعابیر الشـیطانیة هی الدعوة إلی الصد عنهم،و الإهانة لآیات اللّه هو نوع من الاسـتهانة و الهتک لنفس حرمة الذات الإلهیة.

و القرآن الکریم یـذکر لنـا فی سورة الأحزاب مقامات عظیمـة للنبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم هی فوق إدراک البشـر قال تعالی:*یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَیْنَ یَدَیِ اللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (1)یـا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَکُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِیِّ وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ کَجَهْرِ بَعْضِکُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُکُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (2) (1)فإن رفع الصوت علی صوت النبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم موجب لحبط الأعمال علی وجه الاسـتخفاف به صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم،لأن الخضوع للنبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم تعظیم له بما هو آیة کبری من آیات اللّه عزّ و جل و شـعیرة من شـعائره و معلما من أعلام دینه،قال تعالی:ذلِکَ وَ مَنْ یُعَظِّمْ شَعائِرَ اللّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَی الْقُلُوبِ (2)و أما الذین لا یخضـعون للنبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لا یحافظون علی التزام الآداب فی ساحة الحضرة النبویة،برفعهم الأصوات فوق صوته،و التعامل معه کأحدهم،فقد توعدهم اللّه تعالی بحبط أعمالهم؛ لأن ذلک یوجب الإعراض عن الآیات الإلهیة.

و فی عمدة القاری:عن زید بن أرقم قال:جاء ناس من العرب إلی النبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم فقال بعضهم لبعض:انطلقوا بنا إلی هذا الرجل فإن یکن

1- (1) سورة الحجرات،الآیتان:1-2.

2- (2) سورة الحج،الآیة:32.

نبينا نكن أسعد الناس،و إن يكن ملكا نعش فى جنابه،فجاؤوا إلى حجرة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فجعلوا ينادونه:يا محمد يا محمد1،فأنزل اللّه تعالى:إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونکَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَکْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (4) .

(فهى نزلت على قوم من بنى تيم لما قدموا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هم من أعراب أجلاف الذين لا يراعون الأدب و الحشمة،فجعلوا ينادون من وراء الحجرات:يا محمد إخرج إلينا و قد تأذى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من هذا الأمر).

و أما ما يتعلق بالآية الأولى من هذه السورة*يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (1) 2قال القرطبى فى تفسيره:أى لا تقدموا قولا و لا فعلا بين يدى اللّه و قول رسوله و فعله فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر الدين و الدنيا.و من قدّم قوله أو فعله على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقد قدّمه على اللّه تعالى؛لأن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنما يأمر عن أمر اللّه عزّ و جل3.

و من جملة الروايات التى ذكروها عن الواحدى من حديث ابن جريح قال:حدّثنى ابن أبى مليكة أن عبد اللّه بن الزبير أخبره:أنه قدم ركب من بنى تميم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فقال أبو بكر:أمر القعقاع بن معبد.و قال عمر:أمر الأقرع بن حابس.فقال أبو بكر:ما أردت إلا خلافى.و قال عمر:ما أردت خلافک.فتماديا حتى ارتفعت أصواتهما؛ فنزل فى ذلک:يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللّهِ وَ رَسُولِهِ -إلى

قوله-وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ .رواه البخارى عن الحسن بن محمد بن الصباح؛ذكره المهدوىّ أيضا(1).

و قـد ذكر أحمد بن حنبل هذا الحديث بلفظ آخر عن ابن مليكة قال كاد الخيران أن يهلكا(2)و المقصود بهما(أبو بكر و عمر)حتى ارتفعت أصواتهما عند محضر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و كذا ما جاء فى سـنن الترمذى:قال حدثنا محمد بن مثنى أخبرنا مؤمل بن إسـماعيل أخبرنا نافع بن عمر بن جميل الجمحى قال حدثنا ابن أبى مليكـة قـال«حـدثنى عبـد اللّه بن الزبير أن الأقرع بن حابس قـدم على النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم قال:فقال أبو بكر:يا رسول اللّه اسـتعمله على قومه، فقال عمر:لا تسـتعمله يا رسول اللّه،فتكلما عند النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتى ارتفعت أصواتهما،فقال أبو بكر لعمر:ما أردت إلا خلافى.فقال عمر:ما أردت خلافك.قال فنزلت هذه الآيةيا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ (3)قال:و كان عمر بعد ذلك إذا تكلم عند النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يسمع كلامه حتى يستفهمه(4).

ذكر المؤرخون فى صـلح الحديبية عندما بعثت قريش عروة بن مسـعود الثقفى إلى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم:فكلمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم بنحو مما كلم به أصحابه و أخبره أنه لـم يأت يريد حربا،فقام من عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد رأى ما يصنع به أصحابه؛لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه،و لا يبصق

1- (1) تفسير القرطبى:ج 16 ص 300/تفسير ابن كثير:تفسير سورة الحجرات ج 4 ص 220/تفسير الثعالبى ج 9 ص 70.

2- (2) مسند أحمد بن حنبل:حديث قيس أبى عرزة ج 4 ص 6.

3- (3) سورة الحجرات،الآية:2.

4- (4) سنن الترمذى:ج 5 ص 63.

بصاقا إلا ابتدروه،و لا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه،فرجع إلى قريش فقال:يا معشر قريش،إنى قد جئت كسرى فى ملكه،و قيصر فى ملكه،و النجاشى فى ملكه،و إنى و اللّه ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه؛و لقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا،فروا رأيكم(1)و هذا ما كان عليه المؤمنون و الحواريون من أصحابه فى تعظيم النبى الأعظم عليه الصلاة و السلام.

و قد جاء فى صحيح ابن حبان بلفظ آخر فى باب استحباب استعمال الإمام المهادنة:(أن عروة جعل يرمق صحابة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعينه فواللّه ما يتنخم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجه و جلده و إذا أمرهم انقادوا لأمره و إذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه و إذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده و ما يحدون إليه النظر تعظيما له)(2).

و من هنا يفهم بأن رفع الصوت فوق صوت النبى موجب لحبط الأعمال بما فيه العقيدة،و أن تعظيم النبى من تعظيم آيات عزّ و جل قال تعالى:إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ أُولئِکَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ (3).

و من هنا نقول:بأن الطلب و النداء إنما يكون عبادة للمدعو إذا اعتقد الداعى أن المدعو مستقل بالقدرة غنى بالذات،و أما إذا اعتقد الداعى أن المدعو لا يستقل بالقدرة،بل يستمد القدرة من البارى تعالى

1- (1) السيرة النبوية لابن هشام:502 باب قريش تبعث عروة بن مسعود الثقفى.

2- (2) صحيح ابن حبان:استحباب استعمال الإمام المهادنة بينه و بين الأعداء ج 11 ص 220.

3- (3) سورة الحجرات،الآية:3.

و أن الحول و القـدرة التی لدیه هی من البارئ تعالی و أن المدعو إنما حصل علیها لمکان حظوته و قربه عند البارئ و أن الداعی إنما یدعوه نظرا لقربه و وجـاهته من البارئ و أن تکریم اللّه له بالقرب و الوجاهـة حفاوة منه تعالی و إذن منه للاستشـفاع و التوسل و التوجه به إلیه عزّ و جل،فإن دعاء ذلک الغیر یعد حینئذ توجها و قصدا إلی الحضرة الإلهیة،لأن قصد القریب من الحضرة الإلهیة قصد للحضرة،کما أن الصد و الإعراض عن القریب ابتعاد عن الحضرة الإلهیة،فدعاء ذلک الغیر هو دعاء للّه بآیاته العظیمة و دعاء له بأسمائه الحسنی التی یظهر بها.

ولم یدع أحد بأن ذلک یوجب کفرا و شـرکا إلا هذه الفئة حیث یدعون بأن الطلب و الاستغاثة بالمیت فضلا عن الحی شرک باللّه عزّ و جل یجب قتله و هو مهدور الدم.

الحاصـل:«بأن اللّه عزّ و جل بکل شـیء محیط و قیوم علی کل شـیء، و هو المالک لما ملکهم و القادر لما علیه أقـدرهم،بل إن التملیک بعینه مخلوق من المخلوقات و المعطی و العطیة کلها قائمة باللّه تعالی حدوثا و بقاء،فکیف یستقل المخلوق فی فعله و هو محتاج فی ذاته و مفتقر إلی قیومیة البارئ تعالی؟».

و نقول بأن الصـفات الفعلیة تنم و تدل علی الصفات الذاتیة،و من یخفق فی فهم الصفات الفعلیة یخفق فی الصفات الذاتیة للّه عزّ و جل،و لن تعرف عظمـة هـذه الصـفات إلا إذا عرفت عظمت الخلقـة فی المخلوقات، فإن نفس المخلوقات العظیمة هی بنفسـها عینات للصـفات الفعلیة الإلهیة و بالتالی عظمة المخلوق دالة علی عظمة الصفة الذاتیة التی هی غیب الغیوب.

ص:207

فـالنظر فی هـذا المنهـج إلی الآیـات الإلهیـة الفعلیـة مـن حیث هی مخلوقـة للبـاری تعـالی و مرتبطـة به و مفتقرة إلیه و دالـة علیه،و أکرم المخلوقـات و أعظم الآیات هو النبی الأعظم صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم و أهل بیته علیهم السّلام؛إذ حباهم اللّه عزّ و جل بالکرامات و المقامات التکوینیة.

و بالتالی زیارة قبر النبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم و أهل بیته من أعظم أبواب العبادات و القربات إلی اللّه تعالی التی هی مشاعر إلهیـة و الأعراض عن الآیات الإلهیـة و ترک و جحـد هـذه الشـعائر موجب لحبط الأعمال و الخسـران فی الـدنیا و الآخرة،و الولایـة بحـدّ ذاتها لا تکفی،فلا بدّ من ضم شرط آخر لکی تقبل الأعمال و هو التوجه بهم و الإقبال علیهم بزیارتهم و الانشداد إلیهم.

الفتاوی الشیطانیة فی هدم القبة النبویة:

قـال اللّه تعـالی:ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُکُمْ مِنْ بَعْـدِ ذلِـکَ فَهِیَ کَالْحِجـارَةِ أَوْ أَشَـدُّ قَسْوَةً وَ إِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما یَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ وَ إِنَّ مِنْها لَما یَشَّقَّقُ فَیَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ وَ إِنَّ مِنْها لَما یَهْبِطُ مِنْ خَشْیَةِ اللّهِ وَ مَا اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ (1).

کمـا قال تعالی فی القلوب المریضـة:فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَ لَهُمْ عَـذابٌ أَلِیمٌ بِما کانُوا یَکْـذِبُونَ (2)التی هی من صفات من یشاقق اللّه و رسوله،المتبعین لأئمة الضلال المنحرفین حینما یتجرؤون بصریح القول فی فتاوهم بهدم قبة النبی الأعظم صلّی اللّه علیه و آله و سـلّم باسم التوحیـد، و هـذا من نفثاتهم السامة علی الإسـلام و المسـلمین و للصدّ عن هذه الشـعائر المقدسة التی یوجب تخلید ذکرها تخلید الدین و معالم التوحید،التی

1- (1) سورة البقرة،الآیة:74.

2- (2) سورة البقرة،الآیة:10.

شیدها المسلمون بسیرتهم المبارکة یقول الألبانی فی کتابة(تحذیر الساجد من اتخاذ القبور مساجد):

(و ممـا یؤسف له أن هـذا البناء قـد بنی علیه منـذ قرون-إن لم یکن قـد أزیل-تلک القبـة الخضـراء العالیـة،و أحیط القبر الشـریف بالنوافذ النحاسـیة و الزخارف و السـجف،و غیر ذلک مما لا یرضاه صاحب القبر نفسه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،بل قد رأیت حین زرت المسجد النبوی الکریم و تشرفت بالسلام علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم سنة 1368 ه رأیت فی أسفل حائط القبر الشمالی محرابا صغیرا و وراءه سـدة مرتفعة عن أرض المسـجد قلیلا، إشارة إلی أن هذا المکان خاص للصـلاة وراء القبر،فعجبت حینئذ کیف ظلت هذه الظاهرة الوثنیة قائمة فی عهد دولة التوحید!)(1)،حیث یدعی بأن هذه الأفعال من الوثنیة،خلافا لأحادیث النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن ما بین قبری و منبری روضـة من ریـاض الجنـة أی یتعبـد و یتقرب فیها إلی اللّه تعالی و فی زیارة المشاهـد المشـرفة التی هی محلا للعبادة و نیل القربان و المقامات عند اللّه تعالی.

و قد أفتی بعضهم:(یجب هدم المشاهد التی بنیت علی القبور، و لا یجوز إبقاؤها بعد القدرة علی هدمها و إبطالها یوما واحدا)(2).

و منهم من ختم اللّه علی قلبه و علی سمعه و علی بصره حیث أعلن علی النبی الأکرم الحرب و العدواة و البغضاء حیث یقول:

و إنی أقول إن الناس من سـتمائة سـنة لیسوا علی شـیء و إنی أدعی الاجتهاد،و إنی خارج عن التقلید و إنی أقول إن اختلاف العلماء نقمة، و إنی أکفر من توسل بالصالحین،و إنی أکفر البوصیری لقوله یا أکرم

1- (1) تحذیر الساجد من اتخاذ القبور مساجد للألبانی ص 28.

2- (2) زاد المعاد فی هدی خیر العباد:لابن القیم،ص 661.

الخلق،و إنی أقول لو أقدر علی هدم قبة رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم لهدمتها،و لو أقدر علی الکعبة لأخذت میزابها و جعلت لها میزابا من خشب،و إنی أحرم زیارة قبر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و إنی أنکر زیارة قبر الوالدین و غیرهما(1).

هذه القلوب القاسـیة المیتة المتبعون للهوی و موالون للشـیطان و حزبه قال تعالی:أَ فَرَأَیْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَ أَضَـلَّهُ اللّهُ عَلی عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلی سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلی بَصَرِهِ غِشاوَةً فَمَنْ یَهْدِیهِ مِنْ بَعْدِ اللّهِ أَ فَلا تَذَکَّرُونَ (2).

قال الحافظ تقی الدین السـبکی:(و لم یزل أهل العلم ینهون العوام عن البدع فی کل شؤونهم و یرشدونهم إلی السـنة فی الزیارة و غیرها إذا صدرت منهم بدعة فی شـیء،و لم یعدوهم فی یوم من الأیام مشرکین بسبب الزیارة أو التوسل،کیف و قد أنقذهم اللّه من شرک و أدخل فی قلوبهم الإیمان،و أول من رماهم بالإشـراک بتلک الوسیلة هو ابن تیمیة و جری خلفه من أراد استباحة أموال المسلمین و دمائهم لحاجة فی النفس(3).

الحاصل:فالإسـلام یـدعو إلی التوجه بالنبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم فی الإیمان و الاعتقاد و هو أفضل عبادة،فضـلا عن بقیة العبادات الأـخری،و الإبـاء عن التـوجه فی العبـادة بخـاتم الأنبیـاء إنکـار للشـهادة الثانیـة،و دعـوة إلی الشـرک بـاسم التوحیـد،و هـذا مـا أخفق فیه السلفیون،حین جحدوا التوسل بالنبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،فلا تراهم یقرنون لون الشهادة الثانیة و مؤداها و معطیاتها بلون

1- (1) المجلد 6 الرسائل الشخصـیة للشـیخ محمد بن عبد الوهاب(عقیدة الشـیخ و بیان حقیقة دعوته ورد ما ألصق به من التهم)الرسالة الأولی:رسالة الشیخ إلی أهل القصیم لما سألوه عن عقیدته ص 7.

2- (2) سورة الجاثیة،الآیة:23.

3- (3) السیف الصقیل:ص 179.

الشهادة الأولى فی رسم بناء التوحید فی أدبیات کتبهم،فیقتصرون علی تفسیر الشهادة الأولی فی التوحید،من دون أن یهتدوا إلی کیفیة رکنیة مؤدی الشهادة الثانیة فی أرکان التوحید،و کیفیة ضرورة الربط و الارتباط بین مؤدی کل من الشهادتین فی رسم أصل التوحید،و منه یظهر أن التوسل و التوجه بالنبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ضرورة و لیس مجرد خیار مشروعیة.

ص:211

الفصل الثالث: فی أدلة القول بوجوب عمارة قبر النبی صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قبور أهل بیته الطاهرین صلوات اللّه علیهم أجمعین

اشارة

بعد استعراضنا للدلیل الأول فی الفصل الثانی من بیانات قرآنیة، ها نحن نستعرض هنا بیانات نبویة فنقول:

البیان الأول:بأنه أوصـی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علیا أن یدفن فی بیته الذی قبض فیه،و قد قبض النبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی الغرفـة الشـریفة التی کانت مشترکـة بینه و بین فاطمـة علیها السّـلام و هی الغرفـة التی نزل فیها هو و ابنته أول ما هاجر إلی المدینة المنورة و التی ضـمتها عائشـة بعد ذلک إلی غرفتها بعد وفاته و وفاة ابنته صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم و أزالت الجدار الذی کان بینها و بین غرفتها.

فإن أمره صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم لأمیر المؤمنین علیه السّـلام بالدفن فی الغرفة الشـریفة هو بناء حول القبر الشریف و أنه أدل دلیل علی تشعیره صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لقبره کمعلم للدین الحنیف.

و هذا أمر قطعی بضـرورة الدین لا یجحده إلا المکابر و العاتی المتبع للأهواء و البدع إذ جعل مثوی بدنه الشریف منذ اللحظة الأولی لدفنه و قبره فی غرفـة خاصة به و بناء جدران الغرفة الشـریفة کهیئة أضـلاع الضـریح المبنی علی قبور أهل بیته علیهم السّـلام و من ذلک یعلم أن عمارة قبره

و أهل بيته سنة قطعية فى الدين لا تجحد إلا بغرض طمس هذا المعلم و محاربة الركن الثانى فى الدين و هو الشهادة الثانية.

سيرة المسلمين فى قبور الانبياء:

وكذا سيرة المسلمين اتجاه قبور الأنبياء فى الشام و منها قبر النبى إبراهيم الخليل عليه السّلام فإن سيرتهم عندما فتحوا الشام إلى يومنا هذا قائمة على تشييدها و المحافظة عليها،و منها قبر إسماعيل عليهم السّلام فى بيت اللّه الحرام فى الحجر و كذا قبر أمه هاجر مع أن الذى دفن هاجر فى الحجر هو إسماعيل و هو الذى بنى الحجر صونا لقبرها عن المشى عليه من قبل الطائفين.

و الذى تشير إليه جملة من الروايات لدى الفريقين تدل على هذا المضمون و هى كالتالى:

1-ما رواه الكافى:عن محمد بن يحيى،عن أحمد بن محمد،عن حسين بن سعيد،عن فضالة بن أيوب،عن معاوية بن عمار قال:

(سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن الحجر أمن البيت هو أو فيه شىء من البيت؟فقال:لا و لا قلامة ظفر و لكن إسماعيل دفن أمه فيه فكره أن توطأ فحجر عليه حجرا و فيه قبور أنبياء)(1).

2-و روى:(أن إبراهيم عليه السّلام لما قضى مناسكه أمره اللّه-عزّ و جل- بالانصراف،فانصرف،و ماتت أم إسماعيل،فدفنها فى الحجر، و حجر عليه لئلا يوطأ قبرها)(2).

1- (1) الكافى ج 4/كتاب الحج:باب حج إبراهيم و إسماعيل و بنائهما.

2- (2) الفقيه ج 2 ص 149.

3-و بعض أصحابنا،عن ابن جمهور،عن أبيه،عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر،عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال:(الحجر بیت إسماعیل و فیه قبر هاجر و قبر إسماعیل)(1).

بل قد ورد بأن هناک سبعین نبیا مدفونین حول الکعبة و التی تشیر إلی هذه الشعیرة و السیرة القائمة لدی المسلمین فمنها:

4-عدة من أصحابنا،عن سهل بن زیاد،عن محمد بن الولید شباب الصیرفی عن معاویة بن عمار الدهنی،عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال:

(دفن ما بین الرکن الیمانی و الحجر الأسود سبعون نبیا،أماتهم اللّه جوعا و ضرا)(2).

5-و روی الکافی:عن الباقر علیه السّلام قال:(صلی فی مسجد الخیف سبعمائة نبی و إن ما بین الرکن لمشحون من قبور الأنبیاء و إن آدم لفی حرم اللّه عزّ و جل)(3).

6-کما روی القرطبی فی تفسیره قال ابن عباس:(فی المسجد الحرام قبران لیس فیه غیرهما،قبر إسماعیل و قبر شعیب علیهما السّلام،فقبر إسماعیل فی الحجر،و قبر شعیب مقابل الحجر الأسود.و قال عبد اللّه بن ضمرة السلولی:ما بین الرکن و المقام إلی زمزم قبور تسعة و تسعین نبیا جاؤوا حجاجا فقبروا هنالک،صلوات اللّه علیهم أجمعین)(4).

1- (1) الکافی ج 4/کتاب الحج:باب حج إبراهیم و إسماعیل و بنائهما.
2- (2) الکافی ج 4:کتاب الحج/باب حج الأنبیاء علیهم السّلام.
3- (3) الکافی ج 4/214.
4- (4) تفسیر القرطبی ج 2/تفسیر قوله تعالی:ربنا و اجعلنا مسلمین لک.

7-و أخرج الطبرانی عن ابن عباس قال:(و أول من طاف بالبیت الملائکة و إن ما بین الحجر إلی الرکن الیمانی لقبور من قبور الأنبیاء و کان النبی إذا آذاه قومه خرج هو من بین أظهرهم فعبد اللّه فیها حتی یموت)(1).

8-و روی الهیثمی فی مجمع الزوائد عن ابن عباس قال:(و أول من طاف بالبیت الملائکة و أن بین الحجر إلی الرکن الیمانی لقبور من قبور الأنبیاء کان النبی إذا آذاه قومه خرج من بین أظهرهم یعبد اللّه فیها حتی یموت)(2).

شعیریة قبور الأنبیاء فی المسجد الحرام

و هذه السنة من الأنبیاء فی دفنهم عند بیت اللّه الحرام دلیل صریح علی رجحان و شعیریة التعبد عند قبور الأنبیاء و علی رجحان الطواف بها و الإتیان بمختلف العبادات عندها،و منها قبر ذی کفل فی العراق و دانیال فی شوشتر و الذی دفن فی عهد الخلیفة الثانی بإشارة من أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام و منها قبر عزیر فی العمارة جنوب العراق،و کذا قبر زکریا فی حلب و یحیی فی الشام و شعیب فی الأردن و شیث فی لبنان و غیرها من قبور الأنبیاء علیهم أفضل الصلاة و السلام المشیدة فی العراق و الشام و فلسطین.

حفظ قبور الأنبیاء عن الاندراس بعمارتها:

و بعبارة أخری أن حفظ هذه القبور عن الإندراس و الضیاع

1- (1) المعجم الکبیر الطبرانی ج 11/باب سعید بن جبیر عن ابن عباس.

2- (2) مجمع الزوائد ج 1/باب سبب النهی عن کثرة السؤال.

و الطمس لا يمكن إلا بتعهدها المستمر بالزيارة و العمران و هذا ما يعهد من أسلوب عمارتها و هو الملاحظ من تدوين الآثار فى الكتب المؤلفة قرنا بعد قرن من مؤلفات علماء المسلمين.

الروضة عند قبره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مشعر عند المسلمين:

البيان الثانى:و هو قول النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأسانيد مستفيضة(ما بين قبرى و منبرى روضة من رياض الجنة)و فى لفظ آخر(ما بين بيتى و منبرى روضة من رياض الجنة و منبرى على حوضى)(1).

و لفظ آخر فى مسند أحمد(قال ما بين هذه البيوت(يعنى بيوته) إلى منبرى روضة من رياض الجنة و المنبر على ترعة من ترع الجنة)(2).

كما روى السيوطى فى تفسيره الدر المنثور:و أخرج البيهقى عن محمد بن المكندر:قال رأيت جابرا و هو يبكى عند قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو يقول هاهنا تسكب العبرات سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:(ما بين قبرى و منبرى روضة من رياض الجنة)(3).

و قد روى هذا الحديث المتواتر من الرواة منهم أمير المؤمنين على عليه السّلام و جابر الأنصارى و عائشة و أم سلمة و عبد اللّه بن عمر و أبو سعيد الخدرى و سعد و الزبير و عبد اللّه بن زيد و عمر بن الخطاب فى عمدة القارى،و يدل هذا الحديث المتواتر على تشعير قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم معلما للعبادة و جعله من المشاعر الدائمة إلى يوم القيامة كما شعّر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عموم المدينة حرما له.

1- (1) البخارى/باب الرقاق ج 7،ج 2 باب فضل الصلاة على المجسد/باب حرم المدينة.

2- (2) مسند أحمد ج 4/حديث عبد اللّه بن زيد بن عاصم.

3- (3) الدر المنثور ج 1/تفسير سورة البقرة الآية 17.

و معنى الحرمية هو التشعير و التقديس و التبرک و الملجئ و الملاذ فضلا عن مسجده الشريف و عن ما بين قبره و منبره.

و التشـعير فى الشريعة لا يقاس بالوقف إذ التشعير الذى يتم بيد الشارع فى البقاع الخاصة أبدى إلى يوم القيامة،و الذى يضفى عليه هالة من التقديس و التعظيم و يكون مواطن للعبادة بغض النظر عن المسجدية كما هو الحال فى ازدياد ثواب العبادة فى سائر بقاع الحرم المكى و إن لم يكن من المسجد الحرام،نعم يتضاعف ثواب العبادة فى المسجد الحرام كما تتضاعف فى البقعة المكيّة المشرفة.

و الحاصـل أن بـاب التشـعير يختلف عن بـاب الوقف فمسـجدية المسـجد الحرام من بـاب المشاعر و لا تختص بالمسـجدية كما فى بقية المساجد،بل كما هو الحال فى منى و المزدلفة من حيث تأبيد المشعرية.

فضيلة المشاهد المشرفة عند جمهور علماء السنة:

و قال الشوكانى فى(نيل الأوطار)و قد اسـتدل القائلون بأفضـلية المدينة(على مكة)بأدلة منها حديث:(ما بين قبرى و منبرى روضة من رياض الجنة).و هذا يدل أنهم استظهروا و فهموا من هذا الحديث المتواتر تشعير القبر الشريف مشعرا إلهيا يعظم على حرمة الحرم المكى(1).

و ما جاء فى وفاء الوفا:بأن القبر الشـريف ينزل عليه من الرحمة و الرضوان و الملائكة و له عند اللّه من المحبة،و لساكنه ما تقصر العقول عن إدراكه،و ليس ذلک لمكان غيره،فكيف لا يكون أفضل الأماكن؟(2).

1- (1) نيل الأوطار للشوكانى:باب حجج من قال بأفضلية المدينة ج 5.

2- (2) وفاء الوفا للسمهودى ج 1:30.

تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة على سائر البقاع:

يذكر السمهودى فى كتابه الوفاء الوفا بأن ما ضم الأعضاء الشريفة أشرف من الكعبة و بأن الكعبة أفضل من المدينة ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة إجماعا(1)بل نقل التاج السبكى عن ابن عقيل الحنبلى أن تلك البقعة أفضل من العرش.

كما قال التاج الفاكهى:قالوا لا خلاف أن البقعة التى ضمت الأعضاء الشريفة أفضل بقاع الأرض على الإطلاق حتى موضع الكعبة، ثم قال:و أقول أنا:أفضل بقاع السماوات أيضا بل لو قال قائل إن جميع البقاع الأرض أفضل من جميع بقاع السماء شرفا لكون النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حالا فيها لم يبعد(2).

الروضة بين بيوته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شاملة لقبور ذريته الأطهار:

فائدة:قد مر أن لفظ الحديث فى مسند أحمد(ما بين هذا البيوت (يعنى بيوته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم)روضة من رياض الجنة)مما يقتضى أن ما بين بيته إلى قبره الشريف روضة من رياض الجنة و قد أدرج فى بيوته فى أحاديث عديدة بيوت على و فاطمة و الحسنين عليهم السّلام نظير ما رواه و أخرجه فى ذيل قوله تعالى:فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ (3).

فى الدر المنثور للسيوطى قال و أخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد (فى بيوت أذن اللّه أن ترفع)قال هى بيوت النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالک و بريدة قال قرأ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هذه الآيةفِي

1- (1) الوفاء الوفا للسمهودى الباب الأول:28.

2- (2) حاشية ابن عابدين ج 2 ص 688.

3- (3) سورة النور،الآية:36.

بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ فقام إليه رجل فقال أی بیوت هذه یا رسول اللّه قال بیوت الأنبیاء فقام إلیه أبو بکر فقال:یا رسول اللّه هذا البیت منها (یعنی بیت علیّ)لبیت علی و فاطمة قال نعم من أفاضلها(1).

و غیرها من الروایات فی هذا الصدد فضلا عن الروایات الواردة فی أهل البیت علیه السّلام فی کون بیوت الأئمة علیهم السّلام و مواضع قبورهم و بیوت النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم روضة من ریاض الجنة،و أنها قد شعرت للعبادة و الزیارة لزیارتهم و التوسل بهم لکونها مشاعر إلهیة و هذا الوجه بهذا التعلیل هو الوارد فی الآیة الکریمة و بالجمع دون المفرد،و قد مر شرح ذلک فی البحث الأول فی هذه القاعدة من المبحث القرآنی.

روی الکافی فی مصحح عن جمیل بن دراج قال:سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول:قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«ما بین منبری و بیوتی روضة من ریاض الجنة و منبری علی ترعة من ترع الجنة و صلاة فی مسجدی تعدل ألف صلاة فیما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام»،قال جمیل:قلت له:بیوت النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بیت علی منها؟(یعنی هی أیضا من ریاض الجنة من بیوت النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لا تختص ببیوت أزواجه بل تشمل بیوت قرابته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الخاصة من أصحاب الکساء کما بین المنبر و البیوت) قال:نعم و أفضل(2).

فبیوت النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم شاملة لبیت علی و فاطمة و الحسن و الحسین و الأئمة من ذریة الحسین و أنها أفضل بیوت النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

فیظهر من ألفاظ الحدیث المتعدد أن المراد من قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم(ما بین منبری و بیوتی روضة من ریاض الجنة)هو العموم بنحویه المجموعی

1- (1) الدر المنثور ج 5،سورة النور 36.

2- (2) الکافی:باب المنبر و الروضة و مقام النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ج 4.

و الاستغراقی،أی تحدید البقعة الواقعة فی البین المحددة بهذه الأطراف المذکورة فی الحدیث کما أن المراد کل من الأطراف فی نفسه علی روضة من ریاض الجنة،فمع کون عنوان بیوته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم شاملة بنحو العموم الاستغراقی لبیت علی و فاطمة و ذریته یتم هذا المفاد.

و بعبارة أخری أن لورود الحدیث فی ألفاظ أخری من تخصیص المنبر بکونه علی ترعة من ترع الجنة أو علی حوض أو علی روضة من ریاض الجنة کل ذلک یدل علی إرادة أن کل طرف من أطراف التحدید هو علی روضة من ریاض الجنة فعنوان(بیوتی)عموم استغراقی،و أن عنوان(بیوتی)داخلة فی حکم المغیی أی أن الروضة جزء منها المنبر و جزء منها بیوت و جزء منها ما بینهما.

و عنوان(البیوت)کما ورد فی روایات الفریقین فی ذیل قوله:فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ أنها بیوت الأنبیاء و التی فیها بیوت سید الأنبیاء صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حیث قال:(إن بیت علی و فاطمة منها و من أفاضلها)کما ذکره السیوطی فی الدر المنثور فی ذیل الآیة أخرجه عن ابن مردویه عن أنس بن مالک و بریدة.

مما یعزز أن بیت علیّ و فاطمة نسبته إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أتم من نسبة بیوت و غرف أزواجه إلیه و أن اندراج بیت علیّ و فاطمة فی بیوته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم اندراج فی الحقیقة لا فی التنزیل(1).

و بالتالی یکون عموم بیوته شامل لقبور ذریته المطهرة بحسب المفاد الأولی للحدیث،و قد ورد عنهم من طرقنا أن بقاع قبورهم من ریاض الجنان و أنه یندب الصلاة و التعبد عندها و لا سیما عند الرأس الشریف،

1- (1) بالتنزیل و ذلک لأن علاقة القربی لا تنقطع بخلاف علاقة الزوجیة فإنها بالاعتبار.

و من ثم ورد فی النصوص المستفیضة عنهم فی الأذن للدخول فی زیارة مشاهدهم المبنیة علی قبورهم(اللّهم إنی وقفت علی باب من بیوت نبیک)و قد روی عنهم قول النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم(ألا إن باب فاطمة بابی و بیتها بیتی فمن هتکه هتک حجاب اللّه)(1)،کما یستفاد من هذا الحدیث الحث العظیم علی زیارة قبره صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أنها مواطن مقدسة شعّرها اللّه عزّ و جل و جعلها أسبابا و وسائط لنیل القربی و الزلفی إلیه تعالی.

و هذا الحدیث المتواتر القطعی صدورا و مضمونا متطابق مع قطعی الکتاب فی قوله تعالی:وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِیمَ مُصَلًّی (2).

فکیف بمقام محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو أعظم حرمة من النبی إبراهیم علیه السّلام و کیف بجسده الطاهر مع أن مقام إبراهیم لیس مثوی لجسد إبراهیم علیه السّلام و إنما لامس قدم إبراهیم علیه السّلام،فمفاد هذا الحدیث الشریف القطعی متطابق مع قطعی ضروری من ضروریات المسلمین و اتخاذهم مقام إبراهیم مصلی و منه یستفاد أن عمارة قبره الشریف و الصلاة عنده و الدعاء و الأذکار و التبرک بها بالمسح و غیرها من أبواب العبادة للّه سبحانه و تعالی.

تشعیر المدینة من قبل الرسول مضافا إلی تشعیر القبر:قال السمهودی:کما شعّر الحرم المکی من قبل نبی اللّه آدم و إبراهیم علیه السّلام، شعّر الحرم المدنی من قبل الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و کما شعّر المسجد الحرام و الکعبة کذلک شعّر المسجد النبوی و القبر الشریف من قبل سید الأنبیاء(3).

1- (1) غایة المرام ج 2:الباب الحادی و العشرون،الباب التاسع و العشرون.

2- (2) سورة البقرة،الآیة:125.

3- (3) وفاء الوفاء:الفصل الثانی عشر فی حکمه تخصیص هذا المقدار المعین بالتحریم.

فقد روى فى باب حرم المدينة:عن أنس رضى اللّه عنه عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:

«المدينة حرم من كذا إلى كذا لا يقطع شجرها و لا يحدث فيها حدث و من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة اللّه و الملائكة و الناس أجمعين»(1).

و روى أحمد فى مسنده حديث أبى مالک الأشجعى رضى اللّه عنه عن رافع بن خديج قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«أنه ذكر مكة قال إن إبراهيم حرّم مكة و إنى أحرم ما بين لابتيها(يريد المدينة)»(2).

و لا يخفى على اللبيب أن تشعّير قبر الرسول و المدينة أعظم و أعلى شرفا من بقية المشاعر بما فيهم مقام إبراهيم الخليل عليه السّلام و من ثم ورد أن مسجد النبى ازدادت حرمته بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بأهل بيته عليهم السّلام و من ذلک يعلم أن جحد هذا المشهد العظيم بائقة من بوائق الدين.

ثم إن مفاد هذا الحديث(ما بين قبرى و منبرى)قطعىّ كما علمت فكيف يتشبثون بهذه الاستظهارات مضافا إلى أن هذا الحديث القطعى الوارد فى قبره الشريف،و كذلک الحديث المستفيض فى زيارة قبر والدته الشريفة أى تشريع سنه زيارة قبور أهل بيته أخص من عموم الروايات التى يتكلف تظنيها و الخاص مقدم على العام،مضافا إلى أنه لو بنى على التوهم للتعارض بينها،فإن عمارة قبره و قبور أهل بيته مطابق للكتاب كما مر فى(البحث القرآنى)و مطابق لضرورة الدين من الشهادة الثانية و الثالثة.

فائدة فى حدود الروضة:أن الملاحظ فى أكثر الروايات الواردة عند الفريقين سواء عندنا أو عندهم هو ورود لفظ الحديث النبوى بصيغة (ما بين منبرى و بيوتى روضة من رياض الجنة).

1- (1) البخارى ج 2:باب حرم المدينة 220.

2- (2) مسند أحمد:حديث أبى مالک الأشجعى،البخارى ج 4:كتاب بدء الخلق.

و حیث إن بیوت النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم منها غرف أزواجه و هی متوزعة بین جهة القبلة للقبر الشریف و الذی هو ممر للزائرین حالیا و بین خلف القبلة و هی الدکة التی تقع بعد انتهاء بیت علی و فاطمة من جهة الشمال(أی الملتصقة بشباک الضریح من الخلف)و فی تلک الدکة تقع غرفة سودة بنت زمعة و فیها محراب النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عند تهجده و صلاته فی اللیل أی مما یکون قبلة محرابه بیت علی و فاطمة.

و علی ضوء ذلک یکون بیت علیّ و فاطمة یقع وسطا متوسطا ما بین بیوت النبی إذ کان له صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ما یقرب من تسع غرف متوزعة بین الأمام و الخلف،و أما الغرفة التی دفن فیها صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فتلک هی الغرفة التی کانت مشترکة بینه و بین ابنته فاطمة سلام اللّه علیها و هی الغرفة التی أقام فیها النبی و فاطمة فی المدینة قبل زواجها علیهما السّلام بعلیّ و کانت فاطمة قد منعت عائشة أن تفتح نافذة فی غرفتها تلک کما ذکر ذلک ابن أبی الحدید فی شرح النهج.

و کذلک ورد فی روایات الفریقین أیضا أن بیت علی و فاطمة هی من بیوته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و من بیوت الأنبیاء کما روی ذلک السیوطی فی در المنثور فی ذیل قوله تعالی:فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ یُذْکَرَ فِیهَا اسْمُهُ و کذلک ما ورد من طرقنا أیضا عن أبی عبد اللّه علیه السّلام(1)و علی ضوء ذلک ورد بأنها من أفاضلها و أن الصلاة فیها أفضل من الروضة،و علی ضوء هذا التعمیم لحدود الروضة یتبین أن الروضة الشریفة هی أوسع من التحدید المرسوم فی کتب الفریقین و الظاهر منهم أنهم اقتصروا علی التحدید المستفاد من لفظ الحدیث الوارد بصیغة(ما بین قبری و منبری روضة من ریاض الجنة).

1- (1) الوسائل:الباب 59 من أبواب أحکام المساجد الحدیث 1/2 من کتاب الصلاة/الکافی ج 4 باب المنبر و الروضة و مقام النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ح 14/13.

بینما مقتضی مفاد صیغة الحدیث الأکثر ورودا هو اتّساع الروضة طولا إلی ما بعد شباک الضریح و إلی حدّ نهایة الدکة المتصلة به و یعضد هذا الاستظهار ما ورد فی صحیح علی بن جعفر من أن الصلاة فی بیت علی و فاطمة أفضل من الروضة و هو بمعنی أفضل مواضع الروضة لأن البیوت من الروضة و الغایة داخلة فی المغیی،و یشیر إلی هذا المفاد ما رواه السیوطی فی در المنثور فی ذیل قوله تعالیفِی بُیُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ فقام إلیه أبو بکر فقال یا رسول اللّه هذا البیت منها لبیت علی و فاطمة قال:«نعم من أفاضلها»(1).

و یعضد ذلک أن الإمام الجواد علیه السّلام کان یکثر من الصلاة عند الأسطوانة التی هی بحذاء بیت فاطمة علیها السّلام و علی ضوء ذلک یستفاد من عموم و شمول قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم(بیوتی)و شموله لقبور الأئمة العترة المطهرة من ذریته کقبر الحسن المجتبی علیه السّلام فی البقیع و قبر أمیر المؤمنین علیه السّلام و الحسین و الکاظم و الرضا و الجواد و العسکریین من أئمة أهل البیت علیهم أفضل الصلاة و السلام بعد ما ورد من بیانه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن البیوت التی أذن اللّه أن ترفع أنها بیوت الأنبیاء و هو بیوته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أن منها بیوت علی و فاطمة و ذریته.

و منها:ما ورد فی صحیحة الحسین بن ثویر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام الواردة فی آداب الحسین علیه السّلام قال:فاغتسل علی شاطئ الفرات و البس ثیابک الطاهرة،ثم امش حافیا فإنک فی حرم من حرم اللّه و حرم رسوله(2).

1- (1) الدر المنثور ج 5:سورة النور.

2- (2) الوسائل:ج 14 أبواب المزار باب 62.

ولاحظ ما ورد فی الوسائل من طرق مستفیضة أن قبر الحسین روضة من ریاض الجنة(1).

و فی صحیح أبی هاشم الجعفری قال:سمعت أبا جعفر علیه السّلام محمد بن علی الرضا علیه السّلام یقول:إن بین جبلی طوس قبضة قبضت من الجنة،من دخلها کان آمنا یوم القیامة من النار(2).

کذلک ما رود فی قدسیة أرض کربلاء فی الوسائل أبواب

المزار:

روایة أبی عامر واعظ أهل الحجاز قال:أتیت أبا عبد اللّه علیه السّلام فقلت له:ما لمن زار قبره یعنی أمیر المؤمنین علیه السّلام و عمّر تربته؟فقال:یا أبا عمار حدثنی أبی عن أبیه،عن جده الحسین بن علی علیه السّلام أن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال له:«و اللّه لتقتلن بأرض العراق و تدفن بها»،قلت:

یا رسول اللّه ما لمن زار قبورنا و عمّرها و تعاهدها؟قال لی:«یا أبا الحسن إن اللّه جعل قبرک و قبر ولدک بقاعا من بقاع الجنة و عرصة من عرصاتها،و إن اللّه جعل قلوب نجباء من خلقه و صفوة من عبادة تحن إلیکم،و تحتمل المذلة و الأذی فیکم فیعمرون قبورکم،و یکثرون زیارتها تقربا منهم إلی اللّه،و مودة منهم لرسوله،أولئک یا علی المخصوصون بشفاعتی،و الواردون حوضی،و هم زواری غدا فی الجنة،یا علیّ من عمّر قبورکم و تعاهدها فکأنما أعان سلیمان بن داود علی بناء بیت المقدس،و من زار قبورکم عدل ذلک له ثواب سبعین حجة بعد حجة الإسلام،و خرج من ذنوبه حتی یرجع من زیارتکم کیوم ولدته أمه فأبشر

1- (1) الوسائل ج 14:أبواب المزار باب 67.

2- (2) الوسائل ج 14:أبواب المزار باب 82 ح 13.

و بشـر أوليائک و محبيک من النعيم و قرة العين بما لا عين رأت و لا أذن سـمعت و لا خطر على قلب بشر،و لكن حثالة من الناس يعيّرون زوار قبوركم بزيارتكم كما تعيّر الزانية بزناها أولئک شرار أمتى لا أنالهم اللّه شفاعتى و لا يردون حوضى»(1).

كذلک ما رواه الشيخ الطوسى فى التهذيب فى كتاب المزار فى زيارة الامير عليه السّلام و فضل الكوفة(2).

كما وردت لدينا النصوص المستفيضة فى آداب الزيارة للأئمة من ذريته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الدالة على أن بقاع قبورهم من حرم اللّه تعـالى و حرم رسوله و إنها من بيوت النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و كيفيـة الاستئـذان قبل الـدخول إلى مشاهـدهم المشـرفة كما فى النصوص التالية:(اللّهم إنى وقفت على باب بيت من بيوت نبيک و آل نبيک عليه و عليهم أفضل السلام و قد منعت الناس الدخول إلى بيوته إلا بإذن نبيک)(3)فجعلت قبورهم بيوتـا من بيوت النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و لأجـل ذلـک و ما مر من الروايات ذهب الشـريف المرتضـى و ابن الجنيـد و بعض من تأخر كالعلامة الشـيخ حسـين العصـفور إلى عموم رجحان الإتمام فى السـفر عند كل قبورهم عليهم السّلام لا خصوص المواطن الأربعـة بتقريب أن الاتمام فى الاربعـة علل بمضاعفـة الثواب للصـلاة و هـذه العلـة موجودة فى بقية بقاعهم عليهم السّلام.

سن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إقامة المأتم عند قبور أهل بيته عليهم السّلام:

البيان الثالث:و قد روى أحمد بن حنبل فى مسنده عن أبى هريرة

1- (1) الوسائل:ج 14 ب 26 أبواب المزار/تهذيب الطوسى ج 6:باب فضل زيارته عليه السّلام.

2- (2) تهذيب الأحكام ج 6:باب فضل الكوفة و المواضع التى يستحب فيها الصلاة.

3- (3) البحار ج 97:كيفية الاستئذان و زيارة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

قال:(زار النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قبر أمه فبکی و بکی من حوله فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

استأذنت ربی فی أن أستغفر لها فلم یؤذن لی و استأذنته فی أن أزور قبرها فأذن لی فزوروا القبور فإنها تذکر الموت)(1).

و روی مسلم فی صحیحه فی باب استئذان النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ربه عزّ و جل لزیارة أمه:(زار النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قبر أمه فبکی و أبکی من حوله)فقال:

استأذنت ربی فی أن استغفر لها فلم یؤذن لی و استأذنته فی أن أزور قبرها فأذن لی فزوروا القبور فإنها تذکر الموت)(2).

و روی الحاکم فی المستدرک قال:إن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم زار قبر أمه فی ألف مقنع فما رئی أکثر باکیا من ذلک الیوم.

هذا الحدیث صحیح علی شرط الشیخین(3)و صدر هذه الأحادیث و ان کان ساقط مضمونه لدینا(و هو نهیه عن الاستغفار لأمه)إذ والدة النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم صّدیقة عظیمة القدر فی التوحید و الإیمان إذ إن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم تقلب فی الساجدین من الآباء و الأمهات من الأصلاب الطاهرة و الأرحام المطهرة،و إلا أن ذلک لا یمنع من التمسک بذیل تلک الأحادیث.

أقول یظهر من أحادیث زیارة النبی لقبر أمه سلام اللّه علیها و حشرنا اللّه فی زمرتها(المتواتر)أن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أقام مآتما عند قبر أمه

1- (1) مسند أحمد ج 2:مسند أبی هریرة رضی اللّه عنه،حدیث بریدة الأسلمی ج 5.

2- (2) صحیح مسلم ج 3/باب استئذان النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ربه عزّ و جل فی زیارة قبر أمه/سنن ابن ماجه ج 1:باب ماجاء فی زیارة قبور المشرکین/سنن أبی داود ج 2:باب المحرم یموت کیف یصنع به/المستدرک ج 1:باب زیارة النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قبر أمه/ و رواه البیهقی ج 7:بنفس الألفاظ فی(شعب الأیمان)و ذکر أنه یوم الفتح ص 15/و رواه فی سنن الکبری للبیهقی ج 4 ص 76،70 ج 7،311/القرطبی فی الاستذکار ج 1 187/عمدة القاری ج 8 ص 70.

3- (3) المستدرک ج 2:زیارة النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قبر أمه.

و أقام مجلس عزاء فی مقام مصاب فقد والدته الشـریفة و أنه سنّ سـنة عظیمة فی مشـهد عام من المسلمین کی تکون مبدأ و منطلقا لهم فی إقامـة المآتم و مجالس العزاء علی مصائب أهل بیته علیهم السّـلام عنـد قبور أهل بیته علیهم السّـلام و الطریف فی هـذا الحدیث المتواتر عندهم أن الذی قام بعملیة البکاء هو شخص النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فبکی من حوله و أبکی.

قال النووی فی شـرح مسلم بعد ذکره لهذا الحدیث و رواه النسائی عن قتیبة عن محمد بن عبید و رواه ابن ماجه عن أبی بکر بن أبی شیبة عن محمد بن عبید و هؤلاء کلهم ثقات فهو حدیث صحیح بلا شک قوله (فبکی و أبکی من حوله)(1).

سن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الدعاء و العبادة عند قبور أهل بیته علیهم السّلام:

و فی مجمع الزوائد للهیثمی روی ابن عباس أن النبی صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم لما أقبل من غزوة تبوک و اعتمر فلما هبط من ثنیة عسفان أمر أصـحابه أن یستندوا إلی العقبة حتی أرجع إلیکم فذهب فنزل علی قبر أمه فناجی ربه طویلا ثم إنه بکی فاشتد بکاؤه و بکی هؤلاء لبکائه و ذکر أنه رواه الطبرانی فی الکبیر(2).

و یظهر من لفظ هذا الحدیث أن النبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم سنّ الدعاء و المناجات عند قبور أهل بیته علیهم السّلام کما أن اشتداد بکائه سنّة منه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی إقامة الجزع عند قبور أهل بیته علیهم السّلام،و قد روی هذا الحدیث المتواتر بألفاظ مختلفة ما یظهر منها تکرار زیارة النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لقبر أمه و إقامة العزاء و الدعاء فی عدة مرات من زیارته.

1- (1) شرح مسلم ج 7/باب استئذان النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ربه فی زیارة قبر أمه.

2- (2) مجمع الزوائد/ج 1 باب فی شیطان المؤمن،باب فی أهل الجاهلیة.

جملة من سنن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی زیارة قبر والدته علیهم السّلام:

و یستفاد من هذا الحدیث(ثم بکی فاشتد بکاوءه و بکی من حوله) المتواترة جملة من الأمور منها:

1-رجحان شدّ الرحال و السفر لزیارة قبور أهل البیت علیهم السّلام حیث تکرر سفره لزیارة قبر أمه.

2-سنة إقامة المآتم و العزاء علی أهل البیت علیهم السّلام.

3-تشعیر قبور أهل بیته علیهم السّلام کمواطن للعبادة و المناجاة و مواطن لإقامة المآتم و الحزن و العزاء علیهم و رجحان البکاء و الإبکاء علی مصائب أهل بیته و أن هذه سنة عظیمة قد تکررت منه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قد استقصی العلامة الأمینی فی کتابه(سنتنا و سیرتنا)سنة النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و سیرته اثنی عشر مجلسا أقامها سید الأنبیاء و قام برثاء ابنه الحسین سید الشهداء و ذکر لکل مأتم جملة وافرة من المصادر عند العامة.

ثم إن الذی ذکر(زیارة النبی لقبر أمه)صاحب کتاب الاستذکار للقرطبی و شعب الأیمان للبیهقی و عمدة القارئ(1).

و فی فتح الباری لابن حجر ذکر فی لفظ حتی جلس إلی قبر فناجاه طویلا- ثم بکی فبکینا لبکائه فقال:إن القبر الذی جلست عنده قبر أمی(2).

و فی روایة الطبری من هذا الوجه لما قدم مکة أتی رسم قبر (ناقص)عن عطیة لما قدم مکة وقف علی قبر أمه حتی سخنت علیه الشمس رجاء أن یؤذن له فیستغفر(3).

1- (1) الاستذکار ج 1:187/شعب الإیمان ج 7 15/عمدة القاری:ج 8 ص 7.

2- (2) فتح الباری ج 8 ص 390.

3- (3) جامع البیان ج 11:58 فی ذیل قوله تعالی ما کان للنبی و الذین آمنوا أن یستغفروا للمشرکین.

و للطبرانی من طریق عکرمة عن ابن عباس أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لما أقبل من غزوة تبوک و اعتمر فلما هبط من ثنیة عسفان فهذه طرق یعضد بعضها بعضا،و ذکر أنه زار قبر أمه بعد رجوعه من تبوک(1).

و قال العینی فی عمدة القارئ:و کان الشارع صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یأتی قبور الشهداء عند رأس الحول فیقول:السلام علیکم بما صبرتم،فنعم عقبی الدار،و کان أبو بکر و عمر و عثمان رضی اللّه عنهم،یفعلون ذلک،وزار الشارع قبر أمه،یوم الفتح فی ألف مقنع ذکره ابن أبی الدنیا،و ذکر ابن أبی شیبة عن علی و ابن مسعود و أنس رضی اللّه عنهم،و کانت فاطمة رضی اللّه عنها تزور قبر حمزة رضی اللّه عنه کل جمعة و کان عمر رضی اللّه عنه،یزور قبر أبیه فیقف علیه و یدعو له،و کانت عائشة رضی اللّه عنها،تزور قبر أخیها عبد الرحمن و قبره بمکة(2).

4-و یستفاد من هذا الحدیث المتواتر أن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم سنّ السفر إلی زیارة قبور أهل بیته و أن ما رووه من أنه لا تشدّ الرحال إلا إلی المساجد الثلاثة بأن عموم النفی هذا مخصوص بذلک مع أن النفی کما قد عرفت محمول علی الفضیلة عند أکثر علماء أهل السنة.

روی الصدوق فی الصحیح إلی یاسر الخادم قال:قال علی بن موسی الرضا علیه السّلام لا تشدّ الرحال إلی شیء من القبور إلا إلی قبورنا ألا و إنی مقتول بالسم ظلما و مدفون فی موضع غربة فمن شدّ رحله إلی زیارتی استجیب دعاؤه و غفر له ذنوبه(3).

و قال النووی فی شرح مسلم و الصحیح عند أصحابنا و هو الذی

1- (1) مجمع الزوائد ج 1:ص 117/الدر المنثور ج 3 ص 283/المعجم الکبیر للطبرانی ج 11 ص 296.

2- (2) عمدة القاری:ج 8 ص 70.

3- (3) عیون أخبار الرضا ج 1:باب فی ذکر ثواب زیارة الإمام علیه السّلام ص 285.

اختار إمام الحرمين و المحققون أنه لا يحرم و لا يكره قالوا و المراد أن الفضيلة التامة إنما هى فى شد الرحال إلى هذه الثلاثة خاصة و اللّه أعلم(1).

و هذا مضافا إلى جملة من الأجوبة السابقة و الآتية أنه ورد مستفيضا عن الفريقين أنه من حج و لم يزرنى فقد جفانى بل هناک ألفاظ أخرى للحديث الشريف مفادها كما هو ظاهر توقيت معلوم لأحد مواسم زيارته فهذا المفاد يبطل الاستدلال بظاهر هذا الحديث.

هذا و روايات أهل البيت عليهم السّلام متواترة فى كون زيارة و عمارة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته من معالم و شعائر الدين الكبرى،فقد عقد صاحب الوسائل(96)بابا و أخرج فيها مئات الأحاديث هذا فضلا عمّا أورده صاحب البحار فى أبواب المزار و الميرزا النورى فى مستدرک الوسائل عن الأصول المروية عن أصحابنا فى ذلک و غيرهم من أساطين المحدثين و أبواب أحكام المساجد و غيرها من الأبواب فى كتب الحديث،فالأمر بالغ حدّ التواتر من الدرجة الكبيرة جدا و من ثم هو من الأسس فى شعائر و معالم أهل البيت عليهم السّلام حتى أن الحث ورد منهم على زيارة قبورهم و عمارتهم فى ظرف الخوف على النفس مما يشير إلى مدى ركنية هذه الشعيرة فى الدين،و هى سيرة مأخوذة يدا بيد قائمة عند شيعة أهل البيت عليه السّلام منذ القرن الأول و الثانى للهجرى.

البيان الرابع:ما رواه ابن ماجه عن ابن أبى مليكة،عن عائشة أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رخص فى زيارة القبور(2).

و الرواية فى الأصل كما رواه الغزالى فى إحياء العلوم:(عن

1- (1) شرح مسلم ج 9:باب سفر المرأة مع المحرم إلى حج و غيره.

2- (2) سنن ابن ماجه ج 1:باب ما جاء فى زيارة القبور.

عبد اللّه بن أبی ملیکة ان عائشة أقبلت ذات یوم من المقابر فقلت لها:

یا أم المؤمنین من أین أقبلت؟قالت:من قبر أخی عبد الرحمن بن أبی بکر فقلت:أ‌لیس کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نهی عن زیارة القبور؟قالت:نعم، کان نهی ثم أمر بزیارتها)(1)و فی هذه الروایة دلالة علی أن أذنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عام للنساء فی مرتکز الرواة و استظهارهم.

و روی ابن ماجه عن ابن مسعود،أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال:«کنت نهیتکم عن زیارة القبور،فزوروها.فإنها تزهد فی الدنیا،و تذکر الآخرة»(2).

کما رواه أبی داود فی سننه عن ابن بریدة،عن أبیه،قال:قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:(نهیتکم عن زیارة القبور فزوروها فإن فی زیارتها تذکرة)(3).

توقیته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الحج بزیارة قبره:

البیان الخامس:و من الأدلة ما روی مستفیضا فی قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم(من حج و لم یزرنی فقد جفانی و من زار قبری وجبت له شفاعتی)(4)و هذا التوقیت و إن لم یکن حصریا و لکنه أحد مواقیت زیارته بفعل الحج.

و فی بعض ألفاظ الحدیث(من زارنی بعد موتی فکأنما زارنی فی حیاتی)(5)و روی الهیثمی فی مجمع الزوائد عن ابن عمر عن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

1- (1) إحیاء العلوم:باب زیارة القبور ج 4/السنن الکبری:ج 4 باب ما یقول إذا دخل المقبرة/نیل الاوطار للشوکانی:ج 4 الدلیل علی تحریم اتباع الجنائز للنساء.

2- (2) سنن ابن ماجه:ج 1 باب ما جاء فی زیارة قبور المشرکین.

3- (3) سنن أبی داود:ج 2 باب المحرم یموت کیف یصنع به.

4- (4) الدر المنثور:ج 1 سورة البقرة.

5- (5) کنز العمال:ج 5 زیارة قبر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من الإکمال.

قال من زار قبری وجبت له شفاعتی رواه البزاز(1).

و عن ابن عمر قال قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم«من جاءنی زائرا لا یعلم له حاجة إلا زیارتی کان حقا علی أن أکون له شفیعا یوم القیامة»)(2)و الحدیث صریح فی الحث علی تمحض القصد من السفر و شدّ الرحال فی قصد زیارته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و رواه الطبرانی فی الکبیر و الأوسط و فیه حفص بن أبی داود القاری وثقه أحمد و عن ابن عمر قال قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«من زار قبری بعد موتی کان کمن زارنی فی حیاتی»قال الهیثمی فی مجمع الزوائد:

رواه الطبرانی فی الصغیر و الأوسط و فیه عائشة بنت یونس ثم ذکر باب (وضع الوجه علی قبر سیدنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم)(3).

و روی الهندی فی کنز العمال عن ابن عباس،عن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، قال:«من حج إلی مکة ثم قصدنی فی مسجدی کتبت له حجتان مبرورتان»(4).

و الحدیث دال علی تمحض القصد لزیارته و هو یدحض ما ابتدعته الوهابیة من حصر قصد السفر إلی المدینة المنورة أنه لا بد أن یکون بقصد مسجده النبوی لا بقصد قبره الشریف و لا بقصد زیارته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بانین ذلک علی ما تخّیلوا فی استظهاره من حدیث(لا تشدّ الرحال)مع أن تلازم قصد مسجده مع زیارته بل تلازم قصد المسجد الحرام مع زیارته دال علی الأمر بشدّ الرحال إلی زیارة قبره الشریف.

1- (1) مجمع الزوائد:ج 4 باب زیارة سیدنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

2- (2) مجمع الزوائد:ج 4 باب قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لا تجعل قبری وثنا.

3- (3) مجمع الزوائد:ج 4 باب قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لا تجعل قبری وثنا.

4- (4) کنز العمال:ج 5 باب زیارة قبر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من الإکمال.

الحج و زيارة قبر النبى و أهل بيته من دون التفريط بكل

منهما:

ثم إن الحديث الشريف يفيد تكثير الثواب لزيارته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مضاعفا على الحج و لا يتوهم فى معناه سدّ باب الحج و هوانه و العياذ باللّه بل هو تأكيد لأهميته و ولاية الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ضرورة ضم زيارته إلى الحج و إن الولاية ركن من أركان الدين كالحج و الصلاة و الصيام و الزكاة بل هى أعظم الأركان من دون التفريط ببقية الأركان،و مثله ما ورد من الحث الشديد على زيارة قبور أهل البيت لثواب مضاعف و أنه ليس فى ذلک تغرير بترک الحج كما يتوهمه السلفية و الوهابية،كيف و قد ورد فى رواية أهل البيت عليهم السّلام أن المسلمين(لو تركوا الحج فى عام من الأعوام لهلكوا)(1).

و قد ورد أيضا عنهم عليهم السّلام:(إن اللّه ليدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج من شيعتنا،و لو أجمعوا على ترک الحج لهلكوا،و هو قوله تعالى:وَ لَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ (2)أى إن إقامة الحج من قبل المسلمين و المؤمنين واجب كفائى بغض النظر عن الاستطاعة.

كما ورد عنهم عليهم السّلام أنه يجب على الوالى أن يبذل من بيت المال لإقامة الحج و إرسال الحجيج لو عجز الناس لكى لا يعطل بيت اللّه الحرام كما يبذل من بيت المال لإقامة زيارة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بل ورد عنهم عليهم السّلام

1- (1) وسائل الشيعة:ج 1 أبواب مقدمة العبادات/الكافى:ج 2 باب أن ترک الخطيئة أيسر/مستدرک الوسائل:ج 8 باب عدم جواز تعطيل الكعبة عن الحج/تفسير العياشى ج 1 قوله تعالى:وَ لَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ.

2- (2) سورة البقرة،الآية:251.

أن الواجب على الوالى أن يبقى مكة و المدينة المنورة معمورة بالساكنين و المقيمين(1).

كذلک ورد عنهم عليهم السّلام أن الجوار بالسكنى(2)و الإقامة عند بيت اللّه الحرام و المدينة المنورة و بقية المدن التى فيها قبور أهل البيت عليهم السّلام هو من الجهاد و الذى يستفاد من كل ذلک أن اللازم و الواجب هو إقامة و عمارة معالم الدين و أركانه أجمع لا بعضها على حساب البعض الآخر و لا الاكتفاء ببعضها دون البعض.

و عن داود بن أبى صالح قال(أقبل مروان يوما فوجد رجلا واضعا وجهه على القبر فقال:أتدرى ما تصنع فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب فقال:نعم جئت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لم آت حجر)و جاء بلفظ(لم أر الحجر)(3).

و هو بتمامه فى كتاب الخلافة،رواه أحمد و داود بن أبى صالح قال الذهبى لم يرو عنه غير الوليد بن الكثير و روى عنه الكثير بن زيد كما فى المسند و لم يضعفه أحد.

أقول و فى هذه الأحاديث و غيرها الدالة على الحث على زيارته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بنحو مستفيض رد على حشوية السلفيين الذين استظهروا حرمة شد الرحال لغير المساجد الثلاثة.

1- (1) الكافى:ج 4 باب الإجبار على الحج/الوسائل:ج 11 باب وجوب إجبار الوالى الناس على الحج.

2- (2) وسائل الشيعة:باب اشتراط وجوب الجهاد بأمر الإمام و أذنه ج 15 ب 12 ح 19957.

3- (3) مسند أحمد:حديث أبى أيوب الأنصارى ج 5/المستدرک باب ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله ج 4/مجمع الزوائد:باب قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا تجعل قبرى وثنا ج 4/ ولاية المناصب ج 5/تاريخ مدينة مدينة ابن عساكر باب مروان بن الحكم ج 57.

و في تحفة الأحوذي قال: و اختلف في شدّ الرحال إلى غيرها كالذهاب إلى زيارة الصالحين أحياء و أمواتا، و إلى المواضع الفاضلة لقصد التبرك بها و الصلاة فيها، إلى أن قال و الصحيح عند إمام الحرمين و غيره من الشافعية أنه لا يحرم و أجابوا عن الحديث بأجوبة منها: (أن المراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شدّ الرحال إلى هذه المساجد بخلاف غيرها فإنه جائز وقع في رواية لأحمد سيأتي ذكرها بلفظ لا ينبغي للمطي أن تعمل و هو لفظ ظاهر في غير التحريم)(1).

و يدعم هذا الاستظهار ما ورد عن أبي هريرة بألفاظ أخرى نحو (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة) و نحو: (إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد) أخرجه البخاري باللفظ الأول(2)، و مسلم باللفظ الآخر من طريق ثان عنه(3) و أخرجه من الطريق الأول أصحاب السنن و غيرهم(4).

و رواه البزاز بهذا النحوين من ألفاظ الحديث(5) حيث يعزز أن الحديث مسوق إلى بيان أهمية و فضيلة المساجد الثلاثة و ما يعزز هذا الاستظهار أيضا ما ورد في الأحاديث المستفيضة عند الفريقين من عظم الثواب في المسجد الحرام و المسجد النبوي.

1- تحفة الأحوذي: ج 2 باب ما جاء في أي المساجد أفضل.

2- صحيح البخاري: ج 2 باب فضل الصلاة في المسجد.

3- صحيح مسلم: ج 4 باب بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى.

4- صحيح مسلم/باب سفر المرأة مع محرم، باب لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة ج 4 /إرواء الغليل محمد ناصر الألباني باب النهي عن شدّ الرحال ج 3، باب تفضيل الصلاة في مسجده ج 4، أحكام الجنائز باب صيغة سلام عند الدخول/ و المعجم الصغير للطبراني: باب من اسمه سلمة ج 1 /و المعجم الأوسط ج 2، ج 4، ج 5 /و المعجم الكبير باب من يكنى أبو نجيح ج 22 /مجمع الزوائد باب قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة ج 4.

5- مجمع الزوائد: ج 4 باب قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة.

مسجد الكوفة أعظم من بيت المقدس:

مع إنه ورد في أحـاديث أهـل البيت أن الصـلاة في مسـجد الكوفـة أعظم ثوابا من الصـلاة في بيت المقـدس بل في روايات أهل البيت أن الإتمام في السفر لعظم الثواب فيها و هي (الحرم المكي و المدني و مسجد الكوفة و الحائر الحسيني في كربلاء)(1).

و قد تقدم إن قوله صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم في حديث الفريقين: (ما بين قبري و بيوتي روضة من رياض الجنة) شامل لبيت علي و فاطمة و ذريته، فبيوته شـامله لقبره و قبور أهـل بيته المطهرين و من ثم ورد عنهم عليهم السّـلام كثرة فضـيلة الصـلاة عنـد قبورهم، فهناك فرق في الاستظهار بين ما ذهب إليه جمهور علماء السنة و بين ما ذهب إليه السلفية (الوهابية) حيث حمل المشهور الحديث (لا تشد الرحال) على النفي للكمال البالغ و لشدة الرجحان بينما حمل الوهابية الحديث على النهي التحريمي مما يشـير إلى أن المسـلك الحشوي في اسـتظهار الحديث هو سـبب الأزمة في هذا الفهم العاطل حيث يقتصرون في الاستظهار بالجمود على لفظ الحديث من بعض طرقه دون بقية الطرق و من دون الالتفات إلى جملـة من القرائن في البين و هـذا طامة كبرى في منهج الاسـتظهار في الأدلة و إلا فهذا التعبير مسـتعمل بكثرة في موارد نظير (لا حلم كالصبر) و غيرها من الموارد المتعددة.

عمارة قبره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بقاء للشهادة الثانية:

هذا مضافا إلى اعتضاد هذه الأحاديث بقوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جٰاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اَللّٰهَ وَ اِسْتَغْفَرَ لَهُمُ اَلرَّسُولُ (2).

1- الوسائل الشيعة: ج 8 الباب 25 من صلاة المسافر.

2- سورة النساء، الآية: 64.

و قوله تعالى: وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمْ تَعٰالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اَللّٰهِ (1).

حيث دلت الآيتان على أن المجيء بحضرة النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حثّ أكيد منه تعالى على ذلك الموطن لكي يتحقق فيه استجابة التوبة و الغفران.

و بعبارة أخرى أن الحث في القرآن الكريم و السنة المتواترة و المستفيضة لزيارته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يستلزم جعل قبره معلما و مشعرا كي لا تضيع هذه السنة الإلهية بل كي يبقى ذكره الشريف أساس الدين و حقيقة الشهادة بالرسالة و من ثم يعلم أن عمارة قبره الشريف معلم عظيم لبقاء ذكر الدين في أجيال البشر و العالمين إلى يوم القيامة.

طمس قبره الشريف إماتة لذكره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

فالدعوة إلى طمس قبره الشريف هي دعوة إلى طمس الدين و الشريعة الخاتمة كما هو غرض اليهود و النصارى و من ذلك يظهر النظر و الإشكال في استظهارهم طمس قبور الأنبياء و المرسلين السابقين مما روى من قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «لعن اللّه اليهود و النصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» و في لفظ آخر (قاتل اللّه اليهود) فإن عمارة قبور الأنبياء و المرسلين تخليدا لذكراهم و قد أكد القرآن الكريم على ذكرهم و إبقاء ذكراهم ليكونوا قدوة للبشر و منابع للنور كما في قوله تعالى: وَ اِتَّخِذُوا مِنْ مَقٰامِ إِبْرٰاهِيمَ مُصَلًّى ، فكيف يدعو الدين إلى طمس قبورهم، إلاّ أن يكون الحديث الشريف بمعنى النكير على ما فعله اليهود و النصارى من تأليه النبي عيسى و عزير، أو إنهم طمسوا قبور الأنبياء و اتخذوا الصلاة و السجود عليها مما يؤدي إلى طمس معلميتها و تسويتها مع الأرض.

و روى في البخاري عن محمد بن مقاتل، أخبرنا عبد اللّه أخبرنا

1- سورة المنافقون، الآية: 5.

أبو بكر بن عيّاش عن سفيان التمّار أنّه حدّثه أنّه رأى قبر النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم مسنّما(1).

كما روى أحمد في مسنده (حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، قال سمعت سليمان الشيباني، قال سمعت الشعبي، قال أخبرني من مر مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على قبر منبوذ فأمهم وصفوا عليه فقلت: يا أبا عمرو من حدثك ؟ قال: ابن عباس)(2) كذلك في صحيح ابن حبان بسنده عن ابن عباس قال: أتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على قبر منبوذ فصلى عليه و صلينا معه)(3).

قال أبو حاتم رضي اللّه عنه في هذا الخبر بيان واضح أن صلاة المصطفى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على القبر إنما كانت على قبر منبوذ و منبوذ ناحية فدلتك هذه اللفظة على أن الصلاة على القبر جائز إذا كان جديدا في ناحية لم تنبش أو في وسط قبور لم تنبش فأما القبور التي نبشت و قلب ترابها صار ترابها نجسا لا تجوز الصلاة على النجاسة إلاّ أن يقوم الإنسان على شيء نظيف ثم يصلي على قبر المنبوش دون المنبوذ الذي لم ينبش(4)، و هذه الروايات تعزّز أن المعنى المراد من النهي عن جعل القبور مساجد هو تجنيب موطن الصلاة من موارد التلوث و القذارة و التحّري عن الأماكن النظيفة للصلاة.

البيان السادس: ما ورد من متفرقات الروايات الدالة على الحياة

1- صحيح البخاري: ج 2 باب ما جاء في قبر النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

2- مسند أحمد: ج 1 مسند عبد اللّه بن عباس/صحيح البخاري: ج 1 باب في الجنائز/المعجم الكبير للطبراني: ج 12 باب الشعبي عن ابن عباس.

3- صحيح ابن حبان: ج 7 باب إباحة الصلاة على قبر المدفون.

4- صحيح ابن حبان: ج 7 باب إباحة الصلاة على قبر المدفون.

البرزخية لأهل القبور، منها ما رواه مسلم في مسنده عن أبي هريرة عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: (إن امرأة سوداء كانت تقوم في المسجد – أوشابا – ففقدها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فسأل عنها – أو عنه – فقالوا ماتت قال «أفلا كنتم آذنتموني» قال: فكأنهم صغروا أمرها – أو أمره – فقال: «دلوني على قبرها فدلوه فصلى عليها» ثم قال: «إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها و إن اللّه عزّ و جل ينورها لهم بصلاتي عليهم»(1).

كما أشار ابن حبان إلى ذلك و عقب على هذه الرواية و قال (إن بعض المخالفين احتج بهذه الزيارة على أن ذلك من خصائصه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، حيث ينكر هذه الخاصية لرسول اللّه مع أنها ظاهرة في المطلوب و لها دلالة واضحة على الحياة البرزخية(2).

و روي عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه قال: «آنس ما يكون الميت إذا زاره من كان يحبه في الدار الدنيا»(3).

و ورد في وفاء الوفاء عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه عليه [و آله] و سلّم «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السّلام»(4).

و منها: إن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أمر في معركة بدر بأن تلقى أجساد المشركين في بئر (قليب) ثم خاطبهم قائلا: «فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا» قال فقال عمر: يا رسول اللّه ما تكلم من

1- صحيح مسلم: ج 3 باب القيام للجنازة/مسند أحمد: ج 2 مسند أبي هريرة.
2- فتح الباري: باب الميت يسمع خفق النعال ج 3، باب كنس المسجد و التقاط الخرق ج 1.
3- وفاء الوفاء للسمهودي: ج 4، 1360 /السيرة النبوية للشامي: ج 11، 382.
4- وفاء الوفاء للسمهودي: ج 4، 1351.

أجساد لا أرواح فيها، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «و الذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم قال قتادة أحياهم اللّه حتى أسمعهم قوله توبيخا و تصغيرا و نقمة و حسرة و ندما»(1).

فهذا التعجب و الاعتراض من بعض الصحابة لجهلهم بالحياة البرزخية لأصحاب القبور فرد النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأنه (ما أنتم بأسمع).

و مفاد هذا الحديث يطابق ما ورد من مخاطبة النبي شعيب عليه السّلام لقومه بعد هلاكهم في قوله تعالى: فَأَخَذَتْهُمُ اَلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دٰارِهِمْ جٰاثِمِينَ (91) اَلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا اَلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كٰانُوا هُمُ اَلْخٰاسِرِينَ (92) فَتَوَلّٰى عَنْهُمْ وَ قٰالَ يٰا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسٰالاٰتِ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسىٰ عَلىٰ قَوْمٍ كٰافِرِينَ (93)(2).

كذلك ما ورد على لسان صالح في قوله تعالى: فَأَخَذَتْهُمُ اَلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دٰارِهِمْ جٰاثِمِينَ (78) فَتَوَلّٰى عَنْهُمْ وَ قٰالَ يٰا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسٰالَةَ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ وَ لٰكِنْ لاٰ تُحِبُّونَ اَلنّٰاصِحِينَ (79)(3).

و بهذا نجد من يعتقد بأن الإنسان ينقطع عن هذه الحياة بمجرد موته لا نفع فيه و لا يسمع فإنه يجهل الحياة البرزخية التي يختلف عن هذه الحياة المادية و التي بين النبي الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته هذه العوالم و بأن النفس البشرية فيها تمتلك من الحواس أضعاف ما يملكه البشر في هذا العالم المادي و بأنهم يسمعون ما نقول و أن زيارتهم بعد الموت من الإيمان الذي لا بد منه.

1- البخاري: ج 5 باب قتل أبي جهل باب قصة غزوة بدر.

2- سورة الأعراف، الآيات: 90-93.

3- سورة الأعراف، الآيتان: 78-79.

فهرس الآيات القرآنية

الآية الصفحة الفاتحة

2: الحمد لله رب العالمين (2) الرحمن الرحيم(3) 100

4: مالك يوم الدين(4) 101

5: إياك نعبد و إياك نستعين(5) 101

6: اهدنا الصراط المستقيم(6) 101

7: صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم و لا الضالين(7) 101

البقرة

10: فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا و لهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون(10) 208

30: و إذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة 76

34: و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى و استكبر و كان من الكافرين(34) 77، 123

37: فتلقى آدم من ربه كلمت فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم(37) 174

124:إنى جاعلک للناس إماما قال و من ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين(124)80،175،180

125:و اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى9،40،66،86، 91،108،109،112،201

128:ربنا و اجعلنا مسلمين لک و من ذريتنا أمة مسلمة لک86

143:و ما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول73،74،82،86،88

144:قد نرى تقلب وجهک فى السماء فلنولينک قبلة ترضاها فول وجهک شطر المسجد الحرام72

253:تلک الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله و رفع بعضهم درجت180

255:من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه63

259:أو كالذى مر على قرية و هى خاوية على عروشها197

آل عمران

19:إن الدين عند الله الإسلم166

42:و إذ قالت الملائكة يمريم إن الله اصطفاک و طهرک و اصطفاک على نساء العالمين(42)115

45:إن الله يبشرک بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم174

61:فمن حاجک فيه من بعد ما جاءک من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم141،173

81:و إذ أخذ اللّه ميثق النّبيّن163،168

85:و من يبتغ غير الإسلم دينا فلن يقبل منه و هو فى الأخرة من الخسرين(85)166

83:و له أسلم من فى السّموت و الأرض189

132:و أطيعوا اللّه و الرّسول لعلّكم ترحمون(132)144

النساء

54:فقد ءاتينا ءال إبرهيم الكتب و الحكمة و ءاتينهم مّلكا عظيما(54)143

59:يأيّها الّذين ءامنوا أطيعوا اللّه و أطيعوا الرّسول18،142،146، 150،189

64:و ما أرسلنا من رّسول إلاّ ليطاع بإذن اللّه و لو أنّهم إذ ظّلموا أنفسهم جاءوک فاستغفروا اللّه و استغفر لهم الرّسول17،64،68،145، 240،158،153

65:فلا و ربّک لا يؤمنون حتّى يحكّموک فيما شجر بينهم181

69:و من يطع اللّه و الرّسول فأولئک مع الّذين أنعم اللّه عليهم من النّبيّن و الصّدّيقين101

80:مّن يطع الرّسول فقد أطاع اللّه و من تولّى فما أرسلنک عليهم حفيظا(80)75

83:و إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به148

171:و لا تقولوا ثلثة41

المائدة

3:اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الإسلم دينا177

55:إنّما وليّكم اللّه و رسوله و الّذين ءامنوا الّذين يقيمون الصّلوة و يؤتون الزّكوة و هم ركعون(55)149،177

67:و إن لّم تفعل فما بلّغت رسالته98

92:و أطيعوا اللّه و أطيعوا الرّسول و احذروا144

الأنعام

90:و إذ أخذ اللّه ميثق النّبيّن لما ءاتيتكم مّن كتب و حكمة ثمّ جاءكم رسول مّصدّق لّما معكم165

162:قل إنّ صلاتى و نسكى و محياى و مماتى للّه ربّ العلمين(162)165

الأعراف

12:قال ما منعک ألاّ تسجد إذ أمرتک قال أنا خير مّنه خلقتنى من نّار و خلقته من طين(12)77

36:و الّذين كذّبوا بئايتنا و استكبروا عنها أولئک أصحب النّار هم فيها خلدون(36)186،202

37:حتّى إذا جاءتهم رسلنا يتوفّونهم54

40:إنّ الّذين كذّبوا بئايتنا و استكبروا عنها لا تفتّح لهم أبوب السّماء15،137،181، 184،187

54:ألا له الخلق و الأمر تبارک اللّه ربّ العلمين(54)146

ص:248

90:فأخذتهم الرّجفة فأصبحوا فى دارهم جثمين(78)244

157:الّذين يتّبعون الرّسول النّبىّ الأمّىّ الّذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التّوراة و الإنجيل182

الأنفال

41:و اعلموا أنّما غنمتم من شىء فأنّ للّه خمسه و للرّسول178

20:يأيّها الّذين ءامنوا أطيعوا اللّه و رسوله و لا تولّوا عنه و أنتم تسمعون(20)144

التوبة

28:يأيّها الّذين ءامنوا إنّما المشركون نجس69،70

82:و لا تصلّ على أحد مّنهم مّات أبدا

113:ما كان للنّبىّ و الّذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين30

84:و لا تصلّ على أحد مّنهم مّات أبدا و لا تقم على قبره إنّهم كفروا باللّه و رسوله و ماتوا و هم فسقون(84)30

يونس:

18:و يعبدون من دون اللّه ما لا يضرّهم و لا ينفعهم62

58:قل بفضل اللّه و برحمته فبذلک فليفرحوا هو خير مّمّا يجمعون(58)98

72:فإن تولّيتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلاّ على اللّه و أمرت أن أكون من المسلمين(72)166

87:و أوحينا إلى موسى و أخيه أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتا48

ص:249

يوسف

7:*لقد كان فى يوسف و إخوته ءايت لّلسّائلين(7)117

24:و لقد همّت به و همّ بها لو لا أن رّءا برهن ربّه117

93:اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا116

111:لقد كان فى قصصهم عبرة لّأولى الألبب ما كان حديثا يفترى117

إبراهيم

36:و إذ قال إبرهيم ربّ اجعل هذا البلد ءامنا83

37:فاجعل أفئدة مّن النّاس تهوى إليهم71،83،85، 90،91،105

الحجر

28:و إذ قال ربّک للملئكة إنّى خلق بشرا مّن صلصل مّن حمإ مّسنون188

30:فسجد الملئكة كلّهم أجمعون(30)189

87:و لقد ءاتينک سبعا من المثانى و القرءان العظيم(87)100

النحل

2:ينزّل الملئكة بالرّوح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنّه لا إله إلّا أنا فاتّقون(2)131،147

الإسراء

23:و قضى ربّک ألاّ تعبدوا إلّا إيّاه و بالولدين إحسنا22

55:و لقد فضّلنا بعض النّبيّن على بعض180

46:و إذا ذكرت ربّک فی القرءان وحده ولّوا علی أدبرهم نفورا(46)100

72:و من كان فی هذه أعمی فهو فی الأخرة أعمی و أضلّ سبيلا51

79:عسی أن يبعثک ربّک مقاما مّحمودا(79)108

الكهف

16:و إذ اعتزلتموهم و ما يعبدون إلاّ اللّه فأوا إلی الكهف ينشر لكم ربّكم مّن رّحمته195

19:و كذلک بعثنهم ليتساءلوا بينهم قال قائل مّنهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم194

21:و كذلک أعثرنا عليهم ليعلموا أنّ وعد اللّه حقّ و أنّ السّاعة لا ريب فيها196

82:و أمّا الجدار فكان لغلمين يتيمين فی المدينة و كان تحته كنز لّهما و كان أبوهما صلحا55

مريم

31:و جعلنی مباركا أين ما كنت و أوصنی بالصّلوة و الزّكوة ما دمت حيّا(31)111

51:و ندينه من جانب الطّور الأيمن و قرّبنه نجيّا(52)118،119

طه

9:و هل أتک حديث موسی(9)إذ رءا نارا فقال لأهله امكثوا إنّی

ءانست نارا لّعلّى ءاتيكم مّنها بقبس118

68:لا تخف إنّک أنت الأعلى(68)170

82:و إنّى لغفّار لّمن تاب و ءامن و عمل صلحا ثمّ اهتدى(82)95،96،98،103

87:قالوا ما أخلفنا موعدک بملكنا و لكنّا حمّلنا أوزارا مّن زينة القوم فقذفنها113

95:قال فما خطبک يسمرىّ(95)قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة مّن أثر الرّسول113

109:يومئذ لاّ تنفع الشّفعة إلاّ من أذن له الرّحمن و رضى له قولا154،155

الأنبياء

107:و ما أرسلنک إلاّ رحمة للعلمين(107)168

الحج

26:و إذ بوّأنا لإبرهيم مكان البيت أن لاّ تشرک بى شيئا و طهّر بيتى للطّائفين105

27:و أذّن فى النّاس بالحجّ يأتوک رجالا و على كلّ ضامر يأتين من كلّ فجّ عميق(27)105،129

32:ذلک و من يعظّم شعئر اللّه فإنّها من تقوى القلوب(32)8،183،203

46:أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها50

78:هو اجتبكم و ما جعل عليكم فى الدّين من حرج مّلّة أبيكم إبرهيم هو سمّكم المسلمين80،163

المؤمنون

50:و جعلنا ابن مريم و أمّه ءاية16،184

100:لعلّى أعمل صلحا فيما تركت كلّا إنّها كلمة هو قائلها و من ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون(100)53

النور

35:اللّه نور السّموت و الأرض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح فى زجاجة121

36:فى بيوت أذن اللّه أن ترفع و يذكر فيها اسمه42، 221

37:رجال لاّ تلهيهم تجرة و لا بيع عن ذكر اللّه127

63:لاّ تجعلوا دعاء الرّسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا144

الفرقان

21:و قال الّذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملئكة152،192

الشعراء

80:و إذا مرضت فهو يشفين(80)117

القصص

29:فلمّا قضى موسى الأجل و سار بأهله ءانس من جانب الطّور نارا119

العنكبوت

64:و إنّ الدّار الأخرة لهى الحيوان51

السجدة

5:يدبّر الأمر من السّماء إلى الأرض ثمّ يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة ممّا تعدّون(5)146

24:و جعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا و كانوا بئايتنا يوقنون(24)148

الأحزاب

23:صدقوا ما عهدوا اللّه عليه فمنهم مّن قضى نحبه و منهم مّن ينتظر و ما بدّلوا تبديلا(23)115،130

33:إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت و يطهّركم تطهيرا(33)173

40:رّسول اللّه و خاتم النّبيّن166

56:إنّ اللّه و ملئكته يصلّون على النّبىّ يأيّها الّذين ءامنوا صلّوا عليه و سلّموا تسليما(56)202

فاطر

10:إليه يصعد الكلم الطّيّب و العمل الصّلح يرفعه16،185

22:و ما يستوى الأحياء و لا الأموت إنّ اللّه يسمع من يشاء و ما أنت بمسمع مّن فى القبور(22)49،63

يس

13:و اضرب لهم مّثلا أصحب القرية إذ جاءها المرسلون(13)51

20:و جاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يقوم اتّبعوا51

82:إنّما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون(82)146

ص

71:إذ قال ربّک للملئکة إنّی خلق بشرا مّن طين(71)80

الزمر

11:قل إنّی أمرت أن أعبد اللّه مخلصا لّه الدّين(11)و أمرت لأن أكون أوّل المسلمين(12)165

الشورى

23:قل لّا أسئلكم عليه أجرا إلاّ المودّة فی القربى86،89،179

52:و كذلک أوحينا إليک روحا مّن أمرنا ما كنت تدرى ما الكتب و لا الإيمن130،146

50:و ما كان لبشر أن يكلّمه اللّه إلاّ وحيا أو من وراى حجاب192

الزخرف

26:و إذ قال إبرهيم لأبيه و قومه إنّنی براء مّمّا تعبدون(26)87

الدخان

3:إنّا أنزلنه فی ليلة مّبركة إنّا كنّا منذرين(3)147

الجاثية

18:ثمّ جعلنک على شريعة مّن الأمر فاتّبعها و لا تتّبع أهواء الّذين لا يعلمون(18)147

24:و قالوا ما هی إلاّ حياتنا الدّنيا نموت و نحيا و ما يهلكنا إلاّ الدّهر53

محمد

33:*يأيّها الّذين ءامنوا أطيعوا اللّه و أطيعوا الرّسول و لا تبطلوا أعملكم(33)68،145

الحجرات

1:يأيّها الّذين ءامنوا لا تقدّموا بين يدى اللّه و رسوله203،204

2:يأيّها الّذين ءامنوا لا ترفعوا أصوتكم فوق صوت النّبىّ 183،205

3:إنّ الّذين يغضّون أصوتهم عند رسول اللّه183،206

ق

22:فكشفنا عنک غطاءک فبصرک اليوم حديد(22)52

القمر

50:و ما أمرنا إلاّ وحدة كلمح بالبصر(50)146

الواقعة

77:إنّه لقرءان كريم(77)فى كتب مّكنون(78)لاّ يمسّه إلاّ المطهّرون(79)148

الحشر

7:و ما ءاتكم الرّسول فخذوه و ما نهكم عنه فانتهوأ و اتّقوا اللّه إنّ اللّه شديد العقاب(7)18،179

الممتحنة

13:يأيّها الّذين ءامنوا لا تتولّوا قوما غضب اللّه

عليهم49،64

المنافقون

5:و إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول اللّه لوّوا رءوسهم و رأيتهم يصدّون و هم مّستكبرون(5)16،183،186،241

نوح

23:و قالوا لا تذرنّ ءالهتكم و لا تذرنّ ودّا و لا سواعا و لا يغوث و يعوق و نسرا(23)39

المدثر

51بل يريد كلّ امرئ مّنهم أن يؤتى صحفا مّنشّرة152،192

القيامة

3:أيحسب الإنسن ألّن نّجمع عظامه(3)بلى قدرين على أن نّسوّى بنانه(4)198

26:كلّا إذا بلغت التّراقى(26)54

30:و التفّت السّاق بالسّاق(29)إلى ربّک يومئذ المساق(30)54

النازعات

1:و النّزعت غرقا(1)54

15:هل أتک حديث موسى(15)إذ ناداه ربّه بالواد المقدّس طوى(16)118

40:و أمّا من خاف مقام ربّه108

الأعلى

17:و الأخرة خير و أبقى(17)52

الفجر

24:يومئذ يتذكّر الإنسن و أنّى له الذّكرى(23)يقول ياليتنى قدّمت لحياتى(24)53

القدر

3:ليلة القدر خير مّن ألف شهر(3)تنزّل الملئكة و الرّوح فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر(4)147

ص:258

ثبت المصادر

1-القرآن الكريم.

2-دعاء الندبة.

3-الخصال.

الصدوق، جماعة المدرسين،قم 1403 ه.

4-تحف العقول الحرانى.

5-مقتل أبى مخنف.

6-تاريخ الطبرى.

7-تاريخ دمشق.

ابن عساكر،دار الفكر، 1415 ه.

8-اللّهوف فى قتلى الطفوف.

ابن طاوس الحسينى:مطبعة مهر-قم(1417 ه).

9-بحار الأنوار.

محمد باقر المجلسى، مؤسسة الوفاء،بيروت،ط 1403 ه.

10-الكافى.

محمد بن يعقوب الكلينى،دار الكتب الإسلامية،طهران،ط 3، 1388 ه.

11-عيون أخبار الرضا عليه السّلام.

الصدوق، مؤسسة الأعلمی، بيروت، ط 1، 1404 ه.

12-كشف الغطاء.

للشيخ جعفر كاشف الغطاء ط حجرية-مهدى أصفهان.

13-معانى الأخبار.

الصدوق، النشر الإسلامی، 1361 ه.

14-روضة الواعظين.

الفتال النيسابورى، منشورات الرضى، قم.

15-زاد المسير فى علم التفسير.

ابن الجوزى، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1382 ه.

16-تهذيب الأحكام.

الشيخ الطوسى، دار الكتب الإسلامية، ط 1407 ه.

17-مسند أحمد بن حنبل.

18-صحيح مسلم.

دار الفكر، بيروت.

19-سنن النسائى.

دار الفكر، بيروت، ط 1، 1348 ه.

20-المستدرک على الصحيحين.

الحاكم النيسابورى، دار المعرفة، بيروت، 1406، ه.

21-وسائل الشيعة.

الحر العاملى، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط 2، 1414 ه.

22-سنن أبی داود.

السجستانی،دار الفکر،بیروت،ط 1 1410 ه.

23-سنن الترمذی.

الترمذی.

24-منهاج السنة.

ابن تیمیة الحرانی الدمشقی-دار الآثار.

25-شرح مسلم.

النووی.

26-تحفة الأحوذی فی شرح الترمذی.

المبارکفوری،دار الکتب العلمیة،بیروت،ط 1،1410 ه.

27-عمدة القاری.

العینی.

28-نیل الأوطار.

الشوکانی.

29-فتح الباری.

ابن حجر العسقلانی،دار المعرفة،بیروت،ط 2.

30-ذکری الشیعة فی أحکام الشریعة.

الشهید الأول محمد بن مکی جمال الدین العاملی.

31-سنن ابن ماجه.

محمد بن یزید القزوینی،دار الفکر،بیروت.

32-أحكام الجنائز.

ناصر الدين بن محمد الألبانى.

33-السنن الكبرى.

البيهقى،دار الفكر،بيروت.

34-تلخيص الحبير.

ابن حجر العسقلانى المتوفى فى سنة 852.

35-سنن الدارمى.

عبد اللّه بن بهرام الدارمى.

36-الموطأ.

أو عبد اللّه مالک بن أنس.

37-مجمع الزوائد و منبع الفوائد.

الهيثمى،دار الكتب العلمية،بيروت،1407 ه.

38-صحيح ابن حبان.

محمد بن حبان التميمى البستى،مؤسسة الرسالة،بيروت،الطبعة الثانية 1414 ه.

39-المعجم الكبير.

الطبرانى،مكتبة ابن تيمية،القاهرة،الطبعة الثانية.

40-صحيح البخارى.

دار الفكر،بيروت،1401 ه.

41-الدر النضيد فى إخلاص كلمة التوحيد.

الشوكانى.

42-علل الشرائع.

الصدوق،المكتبة الحيدرية،النجف الأشرف،1386 ه.

43-مجمع البيان فی تفسير القرآن.

الطبرسی،مؤسسة الأعلمی،بيروت،ط 1،1415 ه.

44-تفسير العياشی.

محمد بن مسعود بن عياش السلمی السمرقندی،المكتبة العلمية الإسلامية،طهران.

45-ثواب الأعمال.

الصدوق أبی جعفر محمد بن علی بن الحسن بن بابوية،منشورات الرضی،قم،ط الثانية 1412 ه.

46-الأمالی.

الشيخ الطوسی،دار الثقافة،قم،ط 1،1414 ه.

47-المحاسن.

البرقی،تحقيق جلال الدين الحسينی،المكتبة الإسلامية.

48-المقنع.

الصدوق أبی جعفر محمد بن علی بن الحسين بن بابويه،مؤسسة الإمام المهدی،قم،1415 ه.

49-الوسيلة إلی نيل الفضيلة.

ابن حمزة،مكتبة المرعشی النجفی،قم،الطبعة الأولی 1408 ه.

50-كامل الزيارات.

ابن قولويه،مؤسسة نشر الفقاهة،ط 1،1417 ه.

51-مستدرک الوسائل و مستنبط المسائل.

المحدث النوری، مؤسسة أهل البیت لإحیاء التراث، ط 1، 1408 ه.

52-تفسیر القرطبی.

أبی عبد اللّه محمد بن أحمد الأنصاری القرطبی، دار إحیاء التراث، 1405 ه.

53-تفسیر القمی.

علی بن إبراهیم القمی، مؤسسة دار الکتاب، ط 3، 1404 ه.

54-جامع البیان.

ابن جریر الطبری، دار الفکر، بیروت، 1415 ه.

55-السیرة النبویة.

لابن هشام، دار ابن حزم، الطبعة الأولی، 1422 ه.

56-تفسیر نور الثقلین.

العلامة الشیخ عبد علی بن جمعة العروسی الحویزی المتوفی سنة 1112 ه.

57-تفسیر المیزان.

العلامة الطباطبائی، مؤسسة النشر الإسلامی.

58-کلمة التقوی.

العلامة الشیخ محمد أمین زین الدین، المطبعة الشرقیة.

59-بصائر الدرجات.

محمد بن الحسن الصفار، مؤسسة الأعلمی، طهران، 1404 ه.

60-المعجم الأوسط.

الطبرانی،دار الحرمین،1415 ه.

61-الدر المنثور.

جلال الدین السیوطی،دار المعرفة،بیروت،ط 1،1365 ه.

62-التوحید.

الصدوق،جماعة المدرسین،1387 ه.

63-مناقب أمیر المؤمنین.

ابن المغازلی الشافعی.

64-التبیان فی تفسیر القرآن.

الطوسی،دار إحیاء التراث العربی،ط 1،1409 ه.

65-فضائل الصحابة.

أحمد بن حنبل،دار الکتب العلمیة،بیروت.

66-نظم درر السمطین.

الزرندی الحنفی،ط 1،1377 ه.

67-میزان الاعتدال.

الذهبی،دار المعرفة،بیروت،ط 1،1382 ه.

68-المعجم الکبیر.

الطبرانی،مکتبة ابن تیمیة،القاهرة،الطبعة الثانیة.

69-تفسیر ابن کثیر.

ابن کثیر،دار المعرفة،بیروت،1412 ه.

70-المجموع فی شرح المهذب.

النووی،دار الفکر،بیروت.

ص:265

71-الطوسی،دار الأندلس،بیروت.

72-فتح العزیز فی شرح الوجیز.

عبد الکریم الرافعی،دار الفکر،بیروت.

73-سنن الدارقطنی.

علی بن عمر الدارقطنی،دار الکتب العلمیة،بیروت،ط 1، 1417 ه.

74-الأم.

الشافعی،دار الفکر،بیروت،ط 2،1403 ه.

75-روضة الطالبین.

الإمام العلامة محیی الدین بن شرف النووی الدمشقی المتوفی 676 ه.

76-فتح المعین.

الملیباری الهندی،دار الفکر،ط 1،1418 ه.

77-لسان المیزان.

ابن حجر العسقلانی،مؤسسة الأعلمی،بیروت،ط 2.

78-کفایة الأثر.

الخزاز الطوسی،دار الأندلس،بیروت.

79-کتاب المصنف.

أبو بکر عبد الرزاق الصنعانی،المجلس العلمی.

80-الأذکار النوویة.

یحیی بن شرف النووی،دار الفکر،1414 ه.

81-الشفا بتعريف حقوق المصطفى.

القاضى عياض،دار الفكر،بيروت،1409 ه.

82-وفاء الوفاء.

السمهودى.

83-الهداية الكبرى.

الحسين بن حمدان الخصيبى،مؤسسة البلاغ بيروت،ط 4، 1411 ه.

84-الإرشاد فى معرفة حجج اللّه على العباد.

الشيخ المفيد،دار المفيد.

85-مختصر البصائر.

الحسن بن سليمان الحلى،المطبعة الحيدرية،النجف،ط 1، 1370 ه.

86-خصائص أمير المؤمنين.

النسائى.

87-ينابيع المودة.

القندورى الحنفى،دار الأسوة،ط 1،1416 ه.

88-الغدير.

الأمينى،دار الكتاب العربى،بيروت،1389 ه.

89-شرح أحقاق الحق.

السيد المرعشى،مكتبة المرعشى النجفى،قم.

90-شرح نهج البلاغة.

ابن أبى الحديد المعتزلى،دار إحياء الكتب العربية،ط 1،1378 ه.

91-كنز العمال.

المتقى الهندى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1409 ه.

92-الاحتجاج.

الطبرسى، دار النعمان، النجف الأشرف، 1386 ه.

93-فتح القدير.

الشوكانى، عالم الكتب.

94-تفسير الثعلبى.

أو إسحاق الثعلبى.

95-ما لا يحضره الفقيه.

الصدوق، جماعة المدرسين، ط 2، 1404 ه.

96-تحذير المسجد فى اتخاذ القبور مسجد.

ناصر الدين الألبانى.

97-البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان.

المتقى الهندى، مطبعة الخيام قم.

98-عقد الدرر فى أخبار المهدى المنتظر.

يوسف بن يحيى بن على المقدسى الشافعى السلمى، طبعة مصر، 1399 ه.

99-تفسير البحر المحيط.

الأندلسى.

100-زاد المعاد فى هدى خير العباد.

ابن القيم.

101-الرسائل الشخصية.

الشيخ محمد عبد الوهاب.

102-الاستذكار.

القرطبى.

103-إحياء علوم الدين.

الغزالى.

104-تاريخ مدينة دمشق.

ابن عساكر،دار الفكر،1415 ه.

105-شعب الإيمان.

البيهقى.

106-السيف الصقيل.

الحافظ تقى الدين السبكى،مكتبة زهران.

107-غاية المرام و حجة الخصام.

السيد هاشم البحرانى.

108-رد المحتار على الدر المختار.

(حاشية ابن عابدين)،ابن عابدين.

109-تقييد العلم.

أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغداردى أبو بكر.

110-تفسير الثعلبى.

أبو أسحاق الثعلبى.

111-الإحكام فى أصول الأحكام.

لابن حزم.

ص:269

112-مناقب المهدى.

الحافظ أبو نعيم الأصفهانى.

113-إمتاع الأسماع.

المقريزى.

114-الفواكه الدوانى على رسالة ابن أبى زيد القيروانى.

أحمد بن غنيم بن سالم النفراوى المتوفى 1126 ه.

115-القوانين الفقهية.

لابن الجزى الكلبى.

116-شرح المواهب اللدنية.

القسطلانى.

117-القاعدة الجليلة فى التوسل و الوسيلة.

ابن تيمية.

118-تطهير الاعتقاد فى أدران الإلحاد.

محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعانى.

119-الرد على الإخنائى.

ابن تيمية.

120-منسک المروزى.

أحمد بن حنبل.

الفهرس

المقدمة 5

الفصل الأول:فی أدلة القول بحرمة عمارة قبر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أهل بیته علیهم السّلام 13

البحث القرآنی و العقلی 15

البحث الروائی 19

أزمة منهج الاستظهار عند السلفیة 21

کراهة ارتفاع القبور عند جمهور علماء السنة لا الحرمة 23

اختصاص هدم القبور بالمشرکین 27

سبب نسخ النهی عن زیارة القبور 28

اتفاق جمهور السنة علی رجحان زیارة القبور 29

الحکمة فی الأمر بهدم قبور المشرکین 30

و قد یشکل فی دلالة آیة القیام علی القبر 31

وضوح دلالة الآیتین علی سنة زیارة القبور 31

الحكمة فی النهی ثم الأمر بزیارة القبور 32

جملة أخری من روایات المستدل بها علی الحرمة 33

الحکمة فی نهی النساء عن زیارة القبور مقیدة 33

زیارة فاطمة بنت النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لقبر حمزة 34

نسخ کل من النهی عن زیارة القبور و النهی عن عمارتها 35

اتخاذ قبره وثنا أی نصب التماثیل کأصنام علی القبر 39

الحکمة فی النهی عن جعل القبور محلا لسجود الصلاة 40

اتخاذ القبور مساجد أی السجود و الصلاة علیها 41

بناء قبر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی الصدر الأول 42

اتخاذ قبره وثنا هو بالقول بأنه ابن اللّه أو بالقول بتعدد الآلهة:42

اتخاذ قبور الأنبیاء أو الأولیاء مساجد أی بالقول بتألیههم 44

فضیلة المسجد النبوی بأهل البیت علیهم السّلام 48

الحیاة فی الآخرة و البرزخ أشد قوة من الدنیا 50

الیأس من الموتی و أصحاب القبور من صفة الکفار و المنافقین و الإیمان بأصحاب القبور من صفات المؤمنین 52

الصدّ عن زیارة القبور صدّ عن الآخرة و دعوة للعکوف علی الدنیا 53

الفصل الثانی:وجوب عمارة قبر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أهل بیته علیهم السّلام

ص:272

و تشعيرها كمشعر و حرم إلهى الدليل الأول:البيانات القرآنية 57

جهات البحث 59

إن هذا افتراء بحت و كذب محض على الشيعة الإمامية 66

من تمام الحج ولاية النبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم 67

نبذ ولاية النبى الأكرم هو العود إلى الوثنية الجاهلية 69

البرهان الأول 71

البرهان الثانى 73

البرهان الثالث 76

أن زيارة قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قبور عترته هى من تمام العبادات 83

البرهان الرابع 83

الغاية من إسكان هاجر و إسماعيل عند بيته الحرام 84

النتيجة:بأن الآية مشتملة على ثلاثة فقرات 91

البرهان الخامس 95

سبع المثانى فاتحة الكتاب هى أم القرآن 100

النتيجة 103

البرهان السادس 105

مقام إبراهيم عليه السّلام 107

بيان آخر للآية الكريمة 109

التبرک بمواضع الأنبياء 111

و قد وردت هذه القصة فی روايات الفريقين 113

1-آية التطهير 115

2-مريم بنت عمران عليها السّلام 115

3-يوسف عليه السّلام 116

البقعة المباركة 118

أهل البيت عليهم السّلام أنوار إلهية 121

الأئمة التسعة من ولد الحسين عليه السّلام فی آية النور 126

بيان آخر للآية المباركة 127

خلقة أهل البيت عليهم السّلام النورية 130

التوجه بالنبی الأكرم صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته شرط فی قبول العبادة 132

اقتران اسم النبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته بأعظم العبادات 134

اقتران الصلاة علی النبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم فی بقية العبادات 136

«برهان آخر»142

التوسل عبادة توحيدية 151

1-التوسل آية للزلفی و القربی إلی البارئ تعالی 151

2-شرطية التوسل بالنبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم فی طلب المغفرة 153

شرطية التوسل بالنبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم 159

التوسل بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ميثاق الأنبياء 163

الأنبياء على دين النبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم 164

أهل البيت عليه السّلام شركاء النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى دائرة الميثاق 168

اقتران أهل البيت عليهم السّلام بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الطهارة 173

النبى و أهل بيته هم كلمات اللّه التامّات«صلوات اللّه عليهم أجمعين»174

كذلک بنفس البيان مفاد ما ورد فى قوله تعالى 179

التسليم زيارة للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم 181

حبط الأعمال و قبولها 182

التكذيب بآيات اللّه تعالى موجب لحبط الأعمال 184

التوجه إلى خليفة اللّه لنيل المقامات و قبول الطاعات فى جميع النشآت 188

و النتيجة 190

تأبيد رسالة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و وساطته فى الوحى الإلهى لجميع النشآت 191

الخلاصة 193

أهل الكهف آيات للعالمين 193

إحياء اللّه الموتى بعد مماتهم 195

البعث و المعاد الجسمانى 196

و جاء فى كتاب الاحتجاج عن الصادق عليه السّلام فى حديث 198

تعظيم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأنه من الشرک 201

الفتاوى الشيطانية فى هدم القبة النبوية 208

الفصل الثالث:وجوب عمارة قبر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته عليهم السّلام الدليل الثانى:البيانات النبوية 213

سيرة المسلمين فى قبور الأنبياء 216

شعيرية قبور الأنبياء فى المسجد الحرام 218

حفظ قبور الأنبياء عن الاندراس بعمارتها 218

الروضة عند قبره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مشعر عند المسلمين 219

فضيلة المشاهد المشرفة عند جمهور علماء السنة 220

تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة على سائر البقاع 221

الروضة بين بيوته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شاملة لقبور ذريته الأطهار 221

كذلک ما رود فى قدسية أرض كربلاء فى الوسائل أبواب المزار 228

سن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إقامة المأتم عند قبور أهل بيته عليهم السّلام 229

سن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الدعاء و العبادة عند قبور أهل بيته عليهم السّلام 231

جملة من سنن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى زيارة قبر والدته عليهم السّلام 232

توقيته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الحج بزيارة قبره 235

الحج و زيارة قبر النبى و أهل بيته من دون التفريط بكل منهما 237

مسجد الكوفة أعظم من بيت المقدس 240

عمارة قبره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بقاء للشهادة الثانية 240

طمس قبره الشريف إماتة لذكره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم 241

فهرس الآيات القرآنية 245

ثبت المصادر 259

الفهرس 271

ص:277

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹